

بن كسبيت • ايلان كفير
أيحود براك .. الجندي الأول
رئيس الوزراء الإسرائيلي المحتمل

ترجمة
بدر العقيلي و نور البواطة



ايكهود براك.. الجندي الأول

رئيس الوزراء الإسرائيلي المحتمل

رقم التصنيف : ٩٢٠, ٠٤٠٢
المؤلف ومن هو في حكمه : بن كسييت ، إيلان كفير
ترجمة بدر العقيلي ، نور البواطلة
عنوان الكتاب : " إيهود براك " الجندي الأول رئيس الوزراء
الإسرائيلي المحتمل
الموضوع الرئيسي : ١ - التاريخ والجغرافيا
٢ - التراجم
٣ - الإسرائيليون
٤ - السياسيون
رقم الإيداع : ١٩٩٨ / ١٢ / ٢٠٨٢
بيانات النشر : عمان : دار الجليل
* - تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

رقم الإجازة المتسلسل : ١٩٩ / ١٢ / ١٧٣٩

الطبعة الأولى
١٩٩٩

جميع الحقوق محفوظة

دار الجليل للنشر

والدراسات والأبحاث الفلسطينية - عمان

هاتف : ٥١٥٥٦٢٧ - ٥١٥٧٦٢٧

فاكس : ٥١٥٣٦٦٨

ص.ب ٨٩٧٢ - رمز بريدي ١١١٢١

البريد الإلكتروني E - Mail : Darjalil @ go. com. jo



تصميم الغلاف : أزمنة

الطباعة : شركة الشرق الأوسط للطباعة

الفهرس

٦	تقديم
٩	الفصل الأول
	طفل فضولي وعنيد
٢٣	الفصل الثاني
	ضر في سلاح المشاة
٣١	الفصل الثالث
	أيهود حبيب قلب قائد الدورية
٣٧	الفصل الرابع
	خارج الحدود
٤٧	الفصل الخامس
	أيهود ٠٠٠ الضابط ٠٠٠ التلميذ
٦١	الفصل السادس
	قائدا لدورية الأركان
٧٥	الفصل السابع
	عملية سابينا
٨٩	الفصل الثامن
	يقود عملية اختطاف ضباط سوريين.
١٠٥	الفصل التاسع
	أيهود في قلب بيروت
١٢٣	الفصل العاشر
	من الجامعة الى سيناء
١٣٩	الفصل الحادي عشر
	أيهود ٠٠ المدرعات ٠٠ الاستخبارات
١٤٧	الفصل الثاني عشر
	عملية عنتيبي
١٦٩	الفصل الثالث عشر
	اللواء الصغير في هيئة الاركان

١٨١	الفصل الرابع عشر
	رئيسا للاستخبارات العسكرية
١٩٩	الفصل الخامس عشر
	براك . . قائد للقطاع الأوسط
٢٠٩	الفصل السادس عشر
	نائباً لرئيس الأركان
٢٢٧	الفصل السابع عشر
	حرب رئاسة الأركان
٢٤١	الفصل الثامن عشر
	أيهود يتسلم القيادة
٢٤٩	الفصل التاسع عشر
	براك وحادثة تساليم
٢٥٩	الفصل العشرون
	فرص السلام ورعب العنف
٢٨١	الفصل الحادي والعشرون
	براك في حزب العمل
٢٨٧	الفصل الثاني والعشرون
	مواجهة تلغزيونية مباشرة
٢٩٣	الفصل الثالث والعشرون
	براك . . وزيرا
٣٠١	الفصل الرابع والعشرون
	اليمن الاسرائيلي يقتل رابين
٣١١	الفصل الخامس والعشرون
	براك وزيرا للخارجية
٣١٧	الفصل السادس والعشرون
	الصراع على الرئاسة.
٣٣١	الفصل السابع والعشرون
	معركة حياته
٣٣٧	الفصل الثامن والعشرون
	براك في منتصف حياته

تقديم:

عندما أصدرت هذه الدار كتاب "مكان تحت الشمس" لـ "بنيامين نتنياهو"، كان الرجل وحزبه الليكود، يجلسان في مقاعد المعارضة، وإذا كانت الظروف حينئذ تسير في قنوات حزب العمل واليسار الحاكم في حايين كثيرة، فإن تساقط الأوراق، واحدة تلو الأخرى، آذن بخريف مبكر، وأقول نجم حزب العمل، الذي ظن لوهلة، أن النصر حليفه، كتحصيل حاصل، وأن الانتخابات ليست سوى "روتين" ليس إلا.

في ذلك الوقت، اكتسح اليمين الإسرائيلي الشارع بأيديولوجيته المنادية بـ "أرض إسرائيل الكاملة"، التي سلبتها اتفاقيات أوسلو والقدس الموحدة عاصمة إسرائيل الأبدية التي يسعى بيرس إلى إعادة تقسيمها حتى إذا ما انطلقت رصاصات الحقد القومي-الديني ضد رابين، انتقل اليمين من موقع الهجوم إلى موقع الدفاع، وانتظار الآتي، الذي أعاد الكرة إلى ملعب حزب العمل، وخاصة إثر اغتيال عياش وما تبعها من عمليات.

نقول، نبوءتنا تحققت، حيث توقعنا أن يكون نتنياهو رئيس الوزراء الإسرائيلي القادم، فقد تحصنا آنذاك أوراق الأحزاب، والرأي العام الذي يتسم، في العادة بعدم الاستقرار، خاصة إذا كان الأمر يتعلق بأمنه الشخصي حتى لكأنه يبحث عن النجاة من خلال التعلق بأهداب هذا الحزب أو ذاك، وتحديدًا أصحاب الأصوات العائمة.

نسوق هذا المدخل، ونحن نقدم لكتاب يتحدث عن زعيم حزب العمل، إيهود براك، الذي قد يكون رئيس وزراء إسرائيل القادم، وهو يشكل مقدمة للتساؤل عن فرص الرجل في الوصول إلى سدة الحكم.

لسنا في وضع يسمح لنا بالتأكيد أو النفي، بيد أننا لا نستبعد تغيير الأحوال بين عشية وضحاها، ذلك أن "لكل إسرائيليين اثنين، ثلاثة آراء" كما يقال، على الرغم من الثغرات العميقة القائمة في حزب العمل، وعدم نضوج زعيمه براك سياسيًا، الأمر الذي يستلزم جهودًا تقترب من الثورة. على أن المجتمع الإسرائيلي، يقدس زعماءه العسكريين، وبخاصة، أولئك الذين بلغوا قمة الهرم، في رئاسة الأركان، وإيهود براك، رئيس الأركان الأسبق، يجمع بين نوط وأوسمة الشجاعة، والأداء العسكري المتميز، وهو رصيده الذي يباهي به.

وإذا لا للكر قدرة براك الفذة، في المجال العسكري، فإننا لا نروج له، بل نسرد حقائق موضوعية ينبني عليها أسلوب العمل العربي المستقبلي، ذلك أن التعامل مع الزعيم الإسرائيلي الآتي من رئاسة الأركان، يعني معادلة طرفها عسكري وسياسي.

يهود براك، لم يؤلف الكتاب، لكننا لا نحتاج إلى كبير عناء، للاستنتاج بأن براك طرح ملفه وفرد أوراقه أمام المؤلفين ليقدماه إلى الناخب الإسرائيلي زاهيا ملمعا.

نقرأ في ثنايا الكتاب، أحداثا وعمليات، معظمها ما زال عالقا في ذهن معاصريها، أو متابعي الصراع العربي-الإسرائيلي، وإذا نظرنا بعضها عابيا، والآخر تحقق بفضل الامداد اللوجستي الخارجي، فإن الكتاب أفرد مساحات شاسعة ليظهر براك في صورة "الرامبو" الإسرائيلي، القادر على مواجهة فرقة بكاملها، والخروج منتصرا، تجسيدا لمقولات من مثل "العقل اليهودي المتميز"، و"شعب الله المختار"، و"الجندي النوعي" وغيرها.

الجديد في العمليات التي ساقها الكتاب، ونسب بطولاتها إلى براك، يتعلق بالتفاصيل التي ظلت مخبأة في "قاصات" الأسرار، وربما بقي المزيد منها طي الكتمان، وفي اعتقادنا أن هذا الكتاب يحقق هدفين أحدهما عسكري والآخر سياسي:

أما العسكري فيتلخص في إظهار قدرة الجيش الإسرائيلي على عمل المعجزات، بما يعنيه ذلك من التخويف والردع.

أما السياسي: فهو إلقاء الضوء الساطع على شخصية الرجل الذي قد يكون رئيس الوزراء الإسرائيلي القادم، وهو بذلك يجمع بين العسكري والسياسي، الذي يوفر الأمن والامان لبني إسرائيل، ويهود براك مؤهل لذلك.

كتاب: أيهود براك "الجندي الأول"، رئيس الوزراء الإسرائيلي المحتمل، وعلى الرغم من أنه ترجمة حال لرجل قال عنه اسحق رابين "انه خليفتي"، فهو رصد لعمليات رافقت مسيرة عمل براك في الجيش الإسرائيلي، تجعل منه "صقرا"، وإن كان زعيما لحزب العمل "الأقل تطرفا"، الأمر الذي ينبغي أن يرسم صورة المستقبل، ذلك أننا نحن العرب، أدما الاصطفاف في طابور الانتظار، كل أربع سنوات، لتتعرف على شخصية من اختاره شعب إسرائيل، ضارعين إلى الله، أن يكون "الأقل سوءا".

مترجما الكتاب، بدر عقيلي، نور البواطلة، جعلنا من الحس الوطني مدخلا إلى الأمانة العلمية في الترجمة، فبدأ الكتاب أكثر سلاسة، يشد القارئ نحو النهاية.

"أسرة دار الجليل"

الفصل الأول

طفولة تميزت بالفضول والعناد
برع في تفكيك الساعات وفتح الأقفال

شاعت الأقدار أن نبدأ قصة حياة إيهود براك الشخصية -والذي قضى عمره في القتال- بالدم. ولا زال والده "يسرائيل بروج" يتذكر ذلك جيداً حتى اليوم.

حدث ذلك في عالم آخر، بعيد كل البعد عن حقول الكيبوتس في السهل الأوسط، والذي قضى فيه جل أيامه. ولد يسرائيل عام ١٩١٠ في قرية بوشيلط في لتوانيا، وكانت آنذاك جزءاً من روسيا البيضاء، التي كانت تمر بأحداث جسام. ورغم رياح الثورة البلشفية العاتية التي بدأت تهب على روسيا، إلا أن هذه الرياح لم تعكس أثراً كبيراً على حياة الجالية اليهودية الكبيرة في القرية والتي بدأت تتذوق بداية الرفاه الاقتصادي. وقد كان من بين سكان القرية من توفر لديهم المال الكافي لشراء قطعة أرض صغيرة، أو شراء حصان أو بقرة والعمل في الزراعة.

وعلى بعد عدة كيلومترات من بوشيلط كانت تقوم عاصمة اللواء (بونيبز)، وهي مدينة حاخامات معروفة، وقد انطلق منها بعد سنوات معدودة رؤساء الطائفة (الحراذية) - المتدينون الورعون - وهم الذين أقاموا في إسرائيل تباشير الطائفة الحراذية، والمدرسة الدينية الكبيرة، ذات التأثير الواسع "بونيبز" والتي يترأسها الحاخام اليعازر شناخ.

كان والد يسرائيل - روبن بروج - من وجهاء القرية وهو رجل متدين وحاخام، وعالم. ولم يكتف، روبن، على عكس غالبية أبناء القرية من الحراديم - بدراسة التوراة فقط، بل أنهى دراسته في كلية الصيدلة في (فيلنا)، رغم أن هذه المهنة لم تكن، في تلك الأونة، تحظى بالشعبية في أوساط اليهود.

وفي صيف عام ١٩١١، اجتاحت القرية كارثة، حيث اندلعت نيران شديدة فيها، وأحرقت قسماً كبيراً من منازلها التي كانت سقوفها من القش كما أحرقت كنيس القرية اليهودي.

شك رؤساء الجالية اليهودية في القرية بأن جيرانهم من غير اليهود - هم الذين دبروا الحريق فتقدموا بشكوى إلى السلطات الروسية، بيد أن هذه

السلطات ردتهم وسخرت منهم. ووجد يهود القرية صعوبة في جمع الأموال اللازمة لترميم المنازل التي أكلتها النيران.

وصلت أنباء الحريق إلى حي ايست اند وهو حي المهاجرين اليهود في نيويورك فهبوا لجمع التبرعات فوراً لمساعدة سكان بوشليط وكان من الطبيعي أن يرسلوها إلى الصيدلي المتكف روبن، الذي وافق واستعان بالوجهاء لتوزيع الأموال على المتضررين.

وفي أعقاب استكمال ترميم المنازل وصلتهم مساعدة جديدة لإعادة ترميم الكنيس، بيد أن هذا المبلغ اسهم في انقسام السكان على أنفسهم، حيث طالب بعضهم ببناء الكنيس، في حين طالب الآخر بتوزيع المبلغ على السكان اليهود، لكن روبن عارض الطرح الأخير، وقال: يجب علينا أن نحترم رغبة المتبرعين من نيويورك. وحظي بتأييد حاخام القرية.

وخلال فترة الانتظار، حتى بدء البناء، أخفى روبن المبلغ في مكان سرّي في منزله، بيد أن السر تسرب، وسادت شائعة في القرية تقول: أن الصيدلي روبن يخفي في منزله مبلغاً كبيراً جداً من المال. ولا شك أن الشائعات التي تتعلق بالمال، تنتشر بسرعة النار في الهشيم، وتصل إلى الأذان المصغية بلهفة.

وهكذا وصلت الشائعة إلى آذان اثنين من غير اليهود، واللذين قاما ليلة عيد العرش، عام ١٩١٢ باقتحام منزل روبن وزوجته فريده، فحطما رأسيهما بهراوة كانت معهما، ثم توجهوا إلى السرير الصغير، الذي كان قريباً من سريرهما، وكالا ضربة شديدة إلى جمجمة ماثير بروج ابن الرابعة والنصف، وغادرا المكان حاملين معهما صندوق المال، دون أن يعرفا أن هناك طفلاً عمره سنتان ونصف السنة ينام في الغرفة الأخرى.

وفي ساعات الظهر، وصل رسول عاجل من قرية بوشليط إلى بلدة (كيندن) القريبة من (بونيز)، حيث كانت تقيم الجدة ايتسلع - ٨٠ سنة والدة روبن بروج. وما كادت الجدة تسمع بالنبأ، حتى سارعت إلى عربتها، وأطلقت العنان

للحصان الذي يجرها. وحينما وصلت إلى المنزل المنكوب، لم تتوجه لرؤية الجثث، ولم تذرف دموعاً واحدة، بل سارعت إلى مائير وحملته، وطارت به إلى الطبيب، الذي ما كاد يراه، حتى قال لها: الوضع يائس. والأمل الوحيد هو أن تصلي به بسرعة إلى المستشفى في (دورفت) الواقعة على بعد خمس عشرة ساعة سفر بالقطار.

لم تتردد الجدة للحظة، فأبقت يسرائيل الصغير لدى إحدى بنات العائلة، وطلبت من فتاتين تعملان لديها، أن تصاحبها في الرحلة الطويلة، كي تمسكا رأس مائير، حتى لا تتفاقم الإصابة. وهناك قالوا لها: إن الأمل ضعيف جداً، لكن قد تحدث المعجزة.

وحدثت المعجزة، وبعد ثمانية أشهر، عاد مائير إلى منزل جدته، ولم يبق من الإصابة القاتلة سوى آثار جرح عميق يقسم رأسه إلى نصفين. كانت الجدة قوية، وأشهر القصص على صلابتها تتمثل في إنقاذها لابنها روبن عندما أخذوه للتجنيد.

فعندما ناهز روبن الثامنة عشرة ألقى موظفو التجنيد القبض عليه، وأرسلوه لأداء الخدمة لمدة خمس وعشرين سنة وهي ظاهرة لم تكن غريبة أو مستهجنة.

كان اليهود، آنذاك، يتهربون من الخدمة العسكرية باتباع العديد من الأساليب والطرق، كان يقطع سبابه، أو أن يحتسي الشاي فترة طويلة كي يرفع ضغط دمه. بيد أن روبن رفض عمل ذلك، وأرسل إلى جبال القوقاز لأداء الخدمة، على بعد آلاف الكيلومترات من (كيذن).

لم تكن الأم الأرملة على استعداد للتسليم بأخذ ابنها، لذا جمعت المال لمدة ثلاث سنوات حتى بلغ كما كبيرا، وخبأته على جسمها بعناية، ثم اتجهت إلى القوقاز لتخليص ابنها به.

وبعد ثلاثة أشهر، عادت الجدة ايتسلى ومعها روبن إلى (كيدين). ورغم أنها وروبن لم يتحدثا أبدا عما حدث خلال تلك الأشهر، إلا أنها كانت تحمل بطاقة تؤكد أن روبن معفى من التجنيد.

وهكذا نجا روبن من الخدمة طيلة عشرين سنة، ليقع بعد عشرين سنة ضحية لهرأوة اللصوص.

وفي صبيحة أحد أيام آب ١٩١٤ أيقظت حفيدتها وقالت لهما: ارتديا ملابسكما بسرعة نحن مسافرون إلى بوشيلط، لقد اندلعت الحرب. وعلى الجدران كان الجيش الروسي قد علق منشورات تطالب اليهود بمغادرة المنطقة، التي سرعان ما تحولت إلى ميدان اقتتال لأكبر جيشين في أوروبا: الجيش الألماني والروسي. وقد تم تجميع اليهود، وإرسالهم بالقطار إلى بلدة مليطوفول الواقعة جنوب أوكرانيا.

وقد احتل الألمان، بعد سنتين، البلدة، ويقوا فيها حتى ورثهم الجيش الروسي الأحمر، في أعقاب اندلاع الثورة السوفيتية عام ١٩١٧، وبعد أن وضعت الحرب أوزارها، عادت الجدة بالحفيدين إسرائيل ومائير - إلى (بونيز).

عندما بلغ إسرائيل السن المناسبة، تم تسجيله في المدرسة الثانوية العبرية، في بلدة (كوبانه) القريبة، وهناك اكتشف الصراع الثقافي الدائر بين المحافظين على التقاليد، الذين رغبوا في إبقاء لغة (الايدش) كلغة للشعب اليهودي، وبين أولئك الذين يؤيدون اللغة الجديدة التي دخلت حديثا إلى المدرسة، والشارع اليهودي وهي اللغة العبرية.

كانت تلك بداية اليقظة في الجالية اليهودية هناك، حيث أخذ رسل الحركة الصهيونية: بوعلی تسيون، بوعلی تسيون سمول، ليبرالين، صهاينة عامون، بيتار، هشومير هتسمير - يبذلون قصارى جهدهم، لكسب الشبيبة اليهودية في أوروبا الشرقية بما فيها كوبانا. وقد تعرض الأخوان للتأثيرات الجديدة على الشارع اليهودي.

وفي عام ١٩٢٣، بدأ مائير يتحدث عن الهجرة إلى إسرائيل، وبعد سنتين حزم حقائبه وانطلق في طريقه، في حين بقي إسرائيل بصحبة الجدة يعتني بها، رغم أن قواها بدأت تخور إلى أن توفيت عام ١٩٢٧. وفي عام ١٩٣٠، حصل على تصريح من حكومة الانتداب، لدخول فلسطين لإكمال تعليمه في الجامعة العبرية. وقد ساعده في ذلك، شقيقه مائير، الذي كان قد أصبح عاملاً دائماً في محطة الكهرباء (روتبيرج) في منطقة الباقورة، وقد تم تسجيله في الجامعة العبرية في كلية الآداب، وتخصص في الشعر والأدب العبري.

ومن ضمن الشخصيات التي انطبعت في ذاكرة إسرائيل شخص طويل القامة يدعى بن تسيون ميليكوبسكي، والذي أصبح فيما بعد يدعى ننتياهو.

ولا زال بروج يتذكر المحاولات التي كان ميليكوبسكي يقوم بها لإشاعة نظرية جابوتنسكي حول قضية 'ضفتان لنهر الأردن هذه لنا وتلك أيضاً'. وكان ميليكوبسكي يحمل معه صندوقاً صغيراً، يضعه في باحة الجامعة، ويلقي من فوقه الكلمات الحماسية.

ولم يكن الاثنان يدركان أن التاريخ سيجعل طريقتهما تتصالبان بعد خمس وستين سنة عندما يتصارع ابناهما الواحد في مواجهة الآخر، حول رئاسة الحكومة.

كانت هناك جماعة تدعى 'مشمار'، وتتألف بغالبيتها من مهاجري لتوانيا، الذين سكنوا بداية في هرتسليا، وعملوا في شق الطرق والزراعة.

وفي عام ١٩٣٣، تحدثت جماعة (مشمار) مع أعضاء حركة (جورديونية الشابة)، الذين استوطنوا اثر هجرتهم من بولندا، بالقرب من ريشون لتسيون، وبنوا أول منازل في الكيبوتس الجديد (مشمار هشارون). وقد انضم إسرائيل إلى هذه المجموعة في اليوم الأول لبناء المنازل.

كان من بين الأعضاء اللاتي انضممن، فيما بعد، إلى عضوية 'جورديونية الشابة' استرجودين، وهي شابة شديدة التمسس ومليئة بالحياة والحيوية، وسلطنة اللسان، عند النقاش.

وقد تواصلت الرواية الغرامية التي بدأت بينها وبين إسرائيل، اربع سنوات، في أعقاب قدومها إلى الكيبوتس، وفي عام ١٩٤٠، تزوجها. وفي الثاني عشر من شباط ١٩٤٢، ولد يهود بروج الابن البكر وفي صبيحة نفس اليوم، قتل في تل أبيب، يائير شتيرن زعيم (البحي) على أيدي المباحث البريطانية، وقد اختار له والده اسم يهود تيمنا باسم البطل العسكري التوراتي (يهود بن جرا). وقد جاء شتاء ذلك العام، من اشد فصول الشتاء التي عرفتھا البلاد، ولم تكن غرفة الأطفال في الكيبوتس دافئة بما فيه الكفاية، بيد أن المشكلة الأساسية كانت تتمثل في انه وعلى بعد عدة مئات الكيلومترات من هناك، كانت دبابات الجنرال الألماني رومل، تندفع في الصحراء الغربية مهددة باكتساح مصر، في طريقها إلى قناة السويس وفلسطين.

وبدا لأول وهلة، أنه لا يوجد هناك من هو قادر على وقف اندفاع الدبابات الألمانية، وإن المسألة ليست سوى مسألة وقت حتى تصل إلى تل أبيب والقدس.

وبدأ الاستيطان، اليهودي يعد العدة لمواجهة المعركة الأخيرة مع الألمان وبدأ أولئك المطلعون يتحدثون عن (متسادة) جديدة، يتم خلالها تجميع الرجال المقاتلين في جبال الكرمل. وأجريت تدريبات على السلاح في جميع أنحاء البلاد داخل الكيبوتس - وفي نفس الوقت أخذت تتدفق على البلاد أنباء حول المجازر التي ينفذها النازيون ضد يهود أوروبا، وبدأ واضحا للجميع، بأنه إذا ما تمكن الجيش الألماني من التغلب على العوائق الأخيرة في الوصول إلى البلاد، فإن نهاية الاستيطان اليهودي ستكون محتومة، وسيؤول إلى ما آل إليه الاستيطان اليهودي في أوروبا.

وفي تشرين الثاني ١٩٤٢، وقعت المعركة الحاسمة في الصحراء الغربية. وكانت الغرفة الثامنة البريطانية بقيادة الجنرال مونتجمري تواجه قوات رومل، وقد جرت المعركة على بعد عدة عشرات الكيلومترات من الحدود المصرية. وقد أدرك الجميع، أن هزيمة قوات مونتجمري تعني اندفاع الدبابات

الألمانية نحو قناة السويس، دون أية عوائق. بيد أن المعجزة وقعت وانتصرت قوات مونتميري ودمرت قوات رومل في إشارة واضحة إلى أنها بداية النهاية للحرب العالمية الثانية.

وحينما تناهت هذه الأنباء إلى البلاد، احتفل اليهود في جميع الأنحاء.

- يهود الطفل الفضولي -

كان يهود أحد أوائل الأولاد الذين ولدوا في الكيبوتس، وكان فضوليا، يحب سماع الروايات. وعندما ناهز الثالثة، عام ١٩٤٥ ولد شقيقه (ابنوعم). وفي الوقت الذي كان فيه يهود ضعيف البنية، ورققا في طفولته، جاء (ابنوعم) ضخما وقويا. ومنذ الصغر، نشأت بينهما علاقة تكامل: يهود الهادئ والمنطوي على نفسه، وابينوعم المشاغب المشاكس.

كان هناك في مشمار هشارون - مثله مثل الكيبوتسات الأخرى، مخزن أسلحة كبير للهجئة وقد انكشف هذا السر، أمام أطفال روضة أطفال يهود بالصدفة، فبينما كانوا يلعبون ذات مرة في زريبة الأبقار، ضغط أحدهم على مفتاح ماء، ولدهشة الأطفال فتح باب كان مغلقا وموها بمخلفات الأبقار، واكتشف الأولاد الأسلحة، بيد أنهم كانوا يدركون، في ظل ظروف تلك الآونة، أن الامر يتعلق بسر كبير لا يجوز التحدث عنه، ومنذ ذلك الحين لم يتوجهوا للعب في نفس المكان. بيد أن المظليين البريطانيين الذين اقتحموا الكيبوتس المرة تلو الأخرى، لم ينجحوا في كشف هذا السر.

وفي إحدى هذه الهجمات، حاول أحد ضباط المظليين إغواء الصغار على البوح بالسر، فقال: الذي سيكشف لي مكان القنابل سأمنحه جائزة- ومن الجدير بالذكر أن كلمة قنبلة باللغة العبرية هي نفس كلمة رمانة- وقد دعر كبار رجال الكيبوتس، عندما قال يهود بحماس بالغ: أنا ساكشف لك أين هي القنابل، وقاد الضابط إلى شجرة رمان، وقال: هاهي. فانفجر الضابط بالضحك، وانتهت الأزمة.

ورغم أن اليهود كان في السادسة من عمره، إلا أن هناك حدثاً لا زال منقوشاً في ذاكرته، وهو ذلك الحدث الذي وقع ليلة الثامن والعشرين من تشرين الثاني ١٩٤٧. كان جميع سكان الكيبوتس يجلسون إلى جوار الراديو وهم يصغون باهتمام بالغ. وعندما انتهى التصويت في الأمم المتحدة خرجوا جميعاً إلى باحة الكيبوتس في فرحة عارمة، وظلوا يرقصون حتى الفجر، فقد شهدوا بداية قيام إسرائيل.

كان (مشار هشارون)، آنذاك، يتكون من عدة عشرات من الأصحاب فقط. ولم يكن في مجموعة "درور" التي تضم يهود سوى اثني عشر ولداً، وكان يهود أصغرهم. ويختلف عنهم بكونه منطوياً على نفسه وشديد الخجل وكان أقرب الأولاد إليه هو (افز هليفي)، الذي صاحبه فيما بعد، وشاركه في الكثير من أعماله. وقد كان هليفي أقوى ولد في المجموعة وفي العديد من المرات، قام بالدفاع عن يهود في الشجار الذي كان يقع بينه وبين صبية آخرين.

أقيم مدرج لهبوط الطائرات المقاتلة إبان حرب ١٩٤٨ بالقرب من الكيبوتس، لاستخدام طائرات سلاح الجو، وكانت طائرات (مسرشميدت) تهبط فيه وتقلع منه في طيران منخفض حلقة على ارتفاع عدة عشرات الأمتار فوق كيبوتس مشار هشارون. وكان يهود يجلس ساعات طويلة على مدخل منزله، يراقب الطائرات المحلقة، ويلوح لطيارها بيديه. وبدأ، منذ ذلك الحين، يحلم بأن يكون طياراً - وقد رافقه هذا الحلم حتى التحاقه بالجيش - فقرأ كل ما نشر عن الطيران، وحفظ عن ظهر قلب الأوصاف التقنية لمبنى الطائرة والتي نشرها في تلك الآونة (اينجر ديفيد ابير) وهو مهندس وخبير طيران.

وعندما كان في الصف الثاني، حل لغزاً نشرته جريدة "شيء للأولاد"، وتلقى من الجريدة إشعاراً بأنه فاز بالجائزة الأولى، والمتمثلة بالقيام بجولة في سماء البلاد، بطائرة تابعة لشركة (اركيع) بيد أنه لم يتلق الجائزة حتى اليوم.

ورويدا رويدا، اكتسب يهود لنفسه مكانة خاصة بين الأولاد، كطفل ذكي، متفتح، وفي نفس الوقت عنيد جداً، لقد لاحظ ذووه عناده، منذ الصف

الأول، ورفضه تقديم أي تنازلات للأولاد الآخرين. ولربما لهذا السبب، فضل في العديد من الأحيان، أن يبقى وحده، ويبني مبان من المكعبات أو الحديد.

تم اختيار ايجال برنر - والذي كان في الصف الثامن آنذاك - كمدرّب ومرشد ليهود، وقد تطورت بين الاثنين علاقة جيدة، تواصلت ودامت زمنا طويلا. وكان ايهود يرى في ايجال بطلا لطفولته.

قرر الكيبوتس، شراء بيانو لحجرة الطعام، وقد احبه ايهود حبا جما. وكان يختلس اللحظات التي لا يكون هناك من يجلس في غرفة الطعام، كي يمرر أصابعه على مفاتيحه.

وذات يوم، جاء مدرس موسيقى، وأراد أن يختبر الأولاد في العزف على الناي، بيد أن ايهود أصر على العزف على البيانو، فأذهل المعلم هو وأربعة أولاد آخرين، وقد تم اختيارهم جميعا لمواصلة التعلم على البيانو. وكان يأتي معلم مرة واحدة أسبوعيا لإعطائهم الدروس اللازمة.

وفي الصف السادس، بدأ طابع ايهود في التبلور، كان فيه خليط من الإنسان الحالم، الفضولي، المشاكس والقائد، وسرعان ما اكتشف الأولاد، إن ايهود قادر على اتخاذ القرار عند الحاجة، حتى ولو كان ذلك القرار يتعلق بقطع الجسر القائم على وادي الكسندر المائج وتنفيذ قراره. وهكذا تقبلوا زعامته بصورة طبيعية.

هواية تفكيك الساعات

وفتح الأقفال

وفي هذه السنة، اكتسب مهارة فائقة في مجال تفكيك الساعات، وفتح الأقفال. وقد تمكن من ذلك بفضل فضوله لمعرفة السبب في تحريك عقارب الساعة بهذه الصورة المنتظمة، والسبب في إغلاق لسان القفل، وعدم فتحه إلا بالمفتاح المخصص. كان يجيد فك الساعات وتركيبها بعد إصلاحها، في زمن قياسي، وكذلك فتح الأقفال.

وكانت تجري منافسات بينه وبين أولاد أكبر منه سنا من كيبوتسات أخرى، بيد أن اليهود كان دائما الأول وكان يعكف على الساعة يفككها بسرعة عجيبة، ويضع أجزائها المفككة بصورة منظمة ثم يعيد تركيبها، ولا يرفع عينيه إلى الحضور، إلا عندما ينجز الهدف، وكان دائما يبتسم ابتسامة فوز لأن أيا من الأولاد، لم يكن يضاهيه في مهارته.

بدأت زعامة أولئك الصبية تتبلور في تلك الآونة، وكانت (تريته جل) تقود الفتيات، بينما أفر هليفي، يقود الأولاد. أما اليهود الذي كان أصغر منهم بكثير فقد كان في مكانة مستشار دائما.

ولم يكن يهود بارزا في الدراسة وكانت لديه كراسة واحدة، اعتاد أن يكتب فيها أفكاره إضافة إلى بعض الدروس، وحينما كان المعلمون يطلبون منه الإجابة عن أحد أسئلة الواجبات المنزلية من كراسته، كان يفتحها ويجيب من عقله، بيد أن هذه الطريقة انكشفت حينما أصر أحد المعلمين ليس على سماع الإجابة فقط، بل أيضا على رؤية ما كتب يهود.

وفي سن البلوغ، أصبح يهود فائدا لمجموعة الأولاد (درور). وذات ليلة، قرر الأولاد أن يطهروا طعاما في الخلاء، فقام يهود بفتح قفل مخزن المون في غرفة الطعام بسهولة. وقام هو وزملاؤه بملاء دلو ببيض الاوز والبطاطا دون أن يلحظ أحد شيئا.

- الأسلحة والديناميت -

وعندما أصبحوا في الثالثة عشرة أبدى الأولاد اهتماما بالأسلحة، وعثروا مصادفة، على كمية من الديناميت، منذ عهد البريطانيين، ولم يدر أعضاء الكيبوتس، ما هو سر الانفجارات التي كانت تهز، في الليل، زجاج النوافذ. بيد أن يهود أصيب ذات مرة، بحروق في يديه الأمر الذي حدا بالمجموعة، للكف عن العبث بالديناميت.

وذات مرة، جر يهود الأولاد، وفتح قفل مخزن الأسلحة في (مشار هشارون)، والذي كان في عهدة (عامي بورر)-ضابط في سلاح التسليح وأخذوا منه بندقية تلسكوبية ومسدسا، وتوجهوا إلى بيارة قريبة لإطلاق النار والتدريب. ثم نظفوا البندقية والمسدس، وأعادوها إلى مكانهما.

وذات مرة، سرقوا مسدسا آخر من المخزن، وحشوه بعبوات غير مناسبة، مما أدى إلى كسر الزناد، وقد حاول يهود إصلاحه، بيد أنه لم يفلح في ذلك، فقرر إعطائه إلى مصلىح أسلحة في الخضيرة، بيد أن المسدس لم يعد إلى مكانه حتى الآن.

وذات ليلة، قام يهود بفتح القفل الذي يقف الدراجة النارية الخاصة بأحد أعضاء الكيبوتس وتجول فيها هو والأولاد طيلة الليل، وقبل الفجر، أعادوها، إلى مكانها دون أن يدري صاحبها بما حدث.

لقد فوجئ أعضاء المجموعة، أكثر من مرة، بقدررة يهود على التحدث عن أماكن وأحداث لم يشهدها. وذات مرة تحدث بحماس بالغ عن فيلم كان يعرض في تل أبيب، فثارت ثائرة صديقه (نافاجولدبيرج) وقالت له: لكنك لم تشاهد هذا الفيلم، فأشار لها بيده، ثم قال لها فيما بعد: إذا ما قرأت بصورة جيدة عن الفيلم، فسوف يمكنك التحدث عنه وكأنك شاهدته.

وفي سن السادسة عشرة، قرر يهود أن يسجل نفسه في جواله كتائب الشبيبة (الجدناع)، وهناك، ظهرت مواهبه الفذة، في أعمال الملاحة، فلم يكن بحاجة إلى وقت طويل كي يفهم ما هو مرسوم على الخارطة، لقد كانت الخطوط

المتشابكة، تبدو له بوضوح في صورة جبال ووديان وآبار مياه لذا تحولت مجموعة بروج إلى إحدى المجموعات المطلوبة بين مجموعات الجواله. كان في هذه الأونة قد أصبح له ثلاثة اخوة، هم: ابينوعم، ومولي وروبي.

كان ايهود في السابعة عشرة، حينما تلقى اكبر ضربة في حياته. فقد تم توزيع أبناء صفه الذين كانوا، حتى ذلك الحين، يدرسون في فصل واحد، فأرسل الذين يدرسون في القسم الأدبي إلى مدرسة (برال) لقضاء عام التخرج الأخير، في حين أرسل البقية ممن يدرسون في القسم العلمي - وهو معهم - إلى مدرسة روفين. وقبل فترة وجيزة من الالتحاق بالمدرسة، اتضح أن المدير يرفض رفضا باتا قبوله، فقد تناهت إليه أعمال الشغب، التي كان يقوم بها، من سرقة أسلحة وفتح أقفال وغير ذلك ولم ينفعه في ذلك المنافسة التي جرت في مدرسة (روفين) لفتح الأقفال، والتي فاز فيها بالمركز الأول. وكان حادث آخر، وقع في الكيبوتس بمثابة القشة التي قسمت ظهر البعير بالنسبة لقبول المدير، فقد انفجرت عاصفة عاتية في الكيبوتس، حيث اتضح أن شبانا قاموا بسرقة أجزاء بندقية رشاشة من طراز عوزي رويدا رويدا، من معرض الجيش الإسرائيلي في (بيت دجن) وتمكنوا من تجميع بندقية عوزي منها.

وشاء حسن طالع ايهود أن يكون في تلك الليلة في تل أبيب لحضور درس موسيقى، وقد أعلمه زملاؤه في مجموعة (درور) بالأحداث العاصفة: بأن إحدى المدربات قد اكتشفت صندوقا ثقيلًا تحت سرير أحد الشبان، وعثرت فيه على بندقية (عوزي)، فيما أنكر الشاب أي صلة له بالبندقية.

وقد حاول بعض أعضاء الكيبوتس معرفة الحقيقة من الأولاد بالقوة، بيد أن الضرب لم يفسد شيئا، ولم يعترف أي منهم على ايهود، رغم أنه كان واضحا لهم، أن ايهود هو العقل المدبر للحادث.

وفي نهاية المطاف، طرح المدير اقتراحا غريبا، فقال: لن أقبل ايهود في المدرسة، بيد أنني سأمنحه في نهاية العام، شهادة تخرج مثله مثل باقي زملائه، المهم هو ألا يشوش عمل زملائه ودراستهم أثناء العام الدراسي.

- الأسلحة والديناميت -

وعندما أصبحوا في الثالثة عشرة أبدى الأولاد اهتماما بالأسلحة، وعثروا مصادفة، على كمية من الديناميت، منذ عهد البريطانيين، ولم يدر أعضاء الكيبوتس، ما هو سر الانفجارات التي كانت تهز، في الليل، زجاج النوافذ. بيد أن إيهود أصيب ذات مرة، بحروق في يديه الأمر الذي حدا بالمجموعة، للكف عن العبث بالديناميت.

وذات مرة، جر إيهود الأولاد، وفتح قفل مخزن الأسلحة في (مشارون) (هشارون)، والذي كان في عهدة (عامي بورر) -ضابط في سلاح التسليح وأخذوا منه بندقية تلسكوبية ومسدسا، وتوجهوا إلى بيارة قريبة لإطلاق النار والتدرب. ثم نظفوا البندقية والمسدس، وأعادوها إلى مكانهما.

وذات مرة، سرقوا مسدسا آخر من المخزن، وحشوه بعبارات غير مناسبة، مما أدى إلى كسر الزناد، وقد حاول إيهود إصلاحه، بيد أنه لم يفلح في ذلك، فقرر إعطاه إلى مصنع أسلحة في الخضير، بيد أن المسدس لم يعد إلى مكانه حتى الآن.

وذات ليلة، قام إيهود بفتح القفل الذي يقف الدراجة النارية الخاصة بأحد أعضاء الكيبوتس وتجول فيها هو والأولاد طيلة الليل، وقبل الفجر، أعادوها، إلى مكانها دون أن يدري صاحبها بما حدث.

لقد فوجئ أعضاء المجموعة، أكثر من مرة، بقدرة إيهود على التحدث عن أماكن وأحداث لم يشهدها. وذات مرة تحدث بحماس بالغ عن فيلم كان يعرض في تل أبيب، فتأثرت ثائرة صديقته (نافاجولديرج) وقالت له: لكنك لم تشاهد هذا الفيلم، فأشار لها بيده، ثم قال لها فيما بعد: إذا ما قرأت بصورة جيدة عن الفيلم، فسوف يمكنك التحدث عنه وكأنك شاهدته.

وفي سن السادسة عشرة، قرر إيهود أن يسجل نفسه في جواله كتائب الشبيبة (الجدناح)، وهناك، ظهرت مواهبه الفذة، في أعمال الملاحة. فلم يكن بحاجة إلى وقت طويل كي يفهم ما هو مرسوم على الخارطة، لقد كانت الخطوط

المتشابكة، تبدو له بصورة جبال ووديان وآبار مياه لذا تحولت مجموعة بروج إلى إحدى المجموعات المطلوبة بين مجموعات الجواله. كان في هذه الآونة قد اصبح له ثلاثة اخوة، هم: ابينوعم، ومولي وروبي.

كان ايهود في السابعة عشرة، حينما تلقى اكبر ضربة في حياته. فقد تم توزيع أبناء صفه الذين كانوا، حتى ذلك الحين، يدرسون في فصل واحد، فأرسل الذين يدرسون في القسم الأدبي إلى مدرسة (برال) لقضاء عام التخرج الأخير، في حين أرسل البقية ممن يدرسون في القسم العلمي - وهو معهم - إلى مدرسة روفين. وقبل فترة وجيزة من الالتحاق بالمدرسة، اتضح أن المدير يرفض رفضا باتا قبوله، فقد تناهت إليه أعمال الشغب، التي كان يقوم بها، من سرقة أسلحة وفتح أقفال وغير ذلك ولم ينفعه في ذلك المناقشة التي جرت في مدرسة (روفين) لفتح الأقفال، والتي فاز فيها بالمركز الأول. وكان حادث آخر، وقع في الكيبوتس بمثابة القشة التي قسمت ظهر البعير بالنسبة لقبول المدير، فقد انفجرت عاصفة عاتية في الكيبوتس، حيث اتضح أن شبانا قاموا بسرقة أجزاء بندقية رشاشة من طراز عوزي رويدا رويدا، من معرض الجيش الإسرائيلي في (بيت دجن) وتمكنوا من تجميع بندقية عوزي منها.

وشاء حسن طالع ايهود أن يكون في تلك الليلة في تل أبيب لحضور درس موسيقى، وقد أعلمه زملاؤه في مجموعة (دور) بالأحداث العاصفة: بأن إحدى المدربات قد اكتشفت صندوقا ثقيلًا تحت سرير أحد الشبان، وعثرت فيه على بندقية (عوزي)، فيما أنكر الشاب أي صلة له بالبندقية.

وقد حاول بعض أعضاء الكيبوتس معرفة الحقيقة من الأولاد بالقوة، بيد أن الضرب لم يقد شيئا، ولم يعترف أي منهم على ايهود، رغم أنه كان واضحا لهم، أن ايهود هو العقل المدبر للحادث.

وفي نهاية المطاف، طرح المدير اقتراحا غريبا، فقال: لن أقبل ايهود في المدرسة، بيد أنني سأمنحه في نهاية العام، شهادة تخرج مثله مثل باقي زملائه، المهم هو ألا يشوش عمل زملائه ودراستهم أثناء العام الدراسي.

لم يكن لدى إيهود أي مشكلة في قبول الاقتراح، فالدراسة لم تكن تشده بشكل خاص، ومستوى المعلمين كان متدنياً في عينيه، بيد أن المشكلة الوحيدة تمثلت في كيفية تلقي ذويه للنبا؟ وقد ساق إليهم النبا رويدا رويدا وبأسلوبه، وقال لهم: أن القرار ليس شيئاً، وبمقدوره إكمال التعليم خارج إطار المدرسة. بيد أن والدته (استر بروج)، لم تستطع هضم الوضع، أما والده، فلم يبد الكثير من التأثير، إذ كان يدرك تماماً طبيعة كفاءات ابنه. بيد أنه اقترح عليه ألا يبقى في الكيبوتس خلال العام الدراسي، وأن ينضم إلى صديقه إيجال جربير، الذي يعمل على جرار زراعي في النقب. لقد استهواه النقب، أكثر مما استهواه الصف الدراسي الثاني عشر.

- يقود تراكثوراً زراعياً -

وفي الأول من أيلول ١٩٥٨، عندما التحق جميع زملائه بمدرسة روفين، كان هو يعتلي تراكثوراً، ويحرث في حقول (موشاف بطيش) وهي قرية زراعية لمهاجرين من شمال إفريقيا. كان أعضاء هذا الموشاف لا يزالون يخطون خطواتهم الأولى، في الزراعة، واعتادت الكيبوتسات القديمة استئجار أراض منهم، وقد استأجر كيبوتس مشمار هشارون، ثلاثمائة دونم، من أراضيهم، وأرسل إليها إيجال جربير الذي أنهى خدمته العسكرية لتوه، ومناحم تحشون، وإيهود بروج.

الفصل الثاني

غرفي سلاح المشاة المدرع
ثم عضوا في دورية الأركان

حلم ايهود بأن يصبح طيارا، كانت فكرة إقلاع الطائرة تستهويه، وتعبث بخياله، كيف يتمكن هذا الجسم الفولاذي الهائل من التحليق في الفضاء؟؟ وكان قائد سلاح الطيران آنذاك هو (عيزر وايزمن) وقد وضع شعارا يقول: "المتميزون لسلاح الطيران". وكان ايهود يعتقد أنه من المتميزين. ولم يكن لديه أدنى شك في انه سيجتاز اختبار السلاح رغم أنه كان أقصر من أبناء جيله، وأضعف منهم جسديا. كانت المشكلة الوحيدة التي تثير قلقه، هي وزنه القليل نسبيا، بيد أنها لم تكن تمس بثقته بنفسه في أنه سيقبل في السلاح.

وبعكس أبناء الكيبوتس الآخرين، لم يكن يرغب في أن يغدو جنديا في سلاح المظليين، لقد كان كيبوتسه يقع على بعد قليل من قاعدة تدريب أغرار المظليين، وكان يراهم ايهود، بين الفينة والأخرى، وهم يعبرون الحقول التي حرثها، وهم يقفزون من فوق التلال، ويحملون النقالات على أكتفاهم، وأجسادهم ترشح عرقا، ولم يكن يرغب في أن يؤدي خدمته العسكرية على هذا النحو.

والبديل الثاني الذي كان ايهود يتطلع إليه بعد الطيران، هو سلاح المدرعات. كانت فترة ما بعد حرب عام ١٩٥٦، التي بدت فيها مزايا الدبابات، وقد جذبت قوة المدرعات، والتكنولوجيا والمحركات هائلة القوة. شريطة أن تكون الأولوية للطيران.

وفي يوم التجنيد الموافق ١٠-١١-١٩٥٩، توجه مباشرة إلى جناح سلاح الجو. وقد نزع جميع الضباط الموجودين في الجناح وجميعهم طيارون- إلى رفض هذا الصبي الذي يرتدي ملابس عسكرية، ويطلب التطوع. بيد انه نجح بعد الحديث القصير الذي أجراه مع ضباط التصنيف، في إقناعهم، بنقله إلى المرحلة الثانية، وهي مرحلة الفحوص الطبية.

اعتقد الطبيب الفاحص أيضا، أن هناك خطأ ما، وإن الصبي المائل أمامه جاء قبل سنتين من موعد التحاقه بالجيش، بيد أن الوزن لم يكن هو المشكلة، فقد اتضح من الفحص، أن لديه التهابا مزمنيا في الحلق، وبالتالي، فإنه غير صالح للطيران، وهو التشخيص الذي ثبت فيما بعد انه لم يكن صحيحا.

توجه ايهود إلى جناح المدرعات، وهو يشعر بخيبة أمل عميقة، وطلب أن يتم تجنيده في سلاح المدرعات فقبلوه، على أن يحول إلى سلاح المشاة المدرع الكتيبة التاسعة.

لم يكن ايهود جندياً متميزاً في الوحدة، لكنه أيضاً، لم يكن سيئاً، والكفاءة الجسمانية لم تكن إحدى مميزاته، كما أن فترة الأغرار كانت من الفترات الصعبة للغاية بالنسبة له.

لم يكن قادة الأغرار - على وجه الخصوص، قائد الحظيرة (يشاي ليفي) يتهاونون مع الأغرار وسرعان ما أصبح ايهود، ومعه جندي آخر يدعى ايتسيك جيل، هدفاً من أهداف القائد.

ويقول ايتسيك جيلا كان يشاي ليفي يحب التتكيل بايهود - نظراً لأنه أقل الجنود حجماً - والتتكيل بي، لأنني كنت صلفاً، وفي إحدى ليالي الشتاء الباردة، أخرجنا، نحن الاثنين، تحت الشتاء، إلى ساحة التدريبات، ونحن نحمل سريرينا على ظهرنا، ووقف تحت مظلة، وأمرنا بالركض والتحرك طيلة الليل. وقد كاد ايهود ينهار، بيد أنه عض على نواجذه وواصل الحركة، وفي نهاية المطاف، سئم يشاي ذلك وأراد العودة إلى الخيمة، فنظر إليه ايهود، وقال له بنصف ابتسامة: هل من الممكن أن نواصل الركض دورة أخرى؟؟ فقال يشاي: أضجرتني ٠٠ اذهب إلى سريرك. وكان يبدو غاضباً.

تواصلت الصداقة بين الاثنين في دورية هيئة الأركان، فقد أوصى ايلي جيل - عم ايتسيك جيل - قائد دورية الأركان، أبراهام ارنان، بأن يقبل ايتسيك في الدورية. وقبل ايهود أيضاً في الدورية.

كان الرقيب (يشاي ليفي) ينكل بالأغرار، ويجعلهم يزحفون بين الأشواك، ويرسلهم في رحلات والأسرة على ظهورهم. وتحولت لياليهم إلى نهار، وكان النوم ٣-٤ ساعات، هو بمثابة كماليات، مما حدا بايهود للنوم بكامل ملابسه، وسكينه وشوكته وملعقته إلى جانبه، استعداداً للاستجابة لنداء القادة.

وفي إجازاته القصيرة، كان يقول لأصدقائه أنه لم يكن يتخيل أبدا أن الخدمة العسكرية، على هذا النحو، فهي لا تشير أي اهتمام لديه، ولا تضع أمامه أي محفزات، لقد تركت الخدمة بالكتيبة التاسعة، في نفس أيهود ندبا ومشاعر. بيد أنها لم تترك في خاطره ذكريات مثيرة للخيال مثلما كان يعتقد.

- التغيير -

ولم يمض سوى نصف سنة، حتى تغيرت مكانة هذا الجندي تغييرا عجيبا. فقد تم الإعلان عن حالة الاستعداد القصوى في الجيش الإسرائيلي في أيار ١٩٦٠، فقد دخلت قوات مصرية إلى سيناء، دون أن تلاحظ الاستخبارات العسكرية ذلك، ودون أن يتخذ الجيش المصري استعداداته لذلك. وتلقت وحدات الجيش النظامي أمرا بالتحرك جنوبا باتجاه الحدود مع مصر. وفي إحدى الليالي، تم إعداد قافلة ذخائر في الوحدة التاسعة، وأخذ القائد يبحث عن جندي قادر على قراءة الخرائط وقيادة القافلة إلى وجهتها في الليل. وقد فاجأ أيهود قادته وتطوع للمهمة. وقد جاء الرد الأول على هذا التطوع بالاستهزاء، فلم يكن أي من القادة يعتقد أن أصغر جنود الكتيبة قادر على القيادة وتوجيه القافلة.

أصر أيهود على موقفه، وطلب تزويده بخارطة والاعتماد عليه. وفي ساعات الليل الأخيرة، انطلقت القافلة إلى وجهتها، وقد تمكن أيهود من قيادتها، بالضبط، إلى نقطة اللقاء. وعندما عاد إلى الكتيبة كان قد أصبح أيهود آخر، فقد استدعاه قائد الفصيل بنفسه، كي يشكر الجندي الذي أنقذ شرف الكتيبة وهيبتها. ومنذ تلك اللحظة، تغيرت معاملته، بل إن قائد الحظيرة (يشاي ليفي) أخذ يتعامل معه باحترام خاص.

- إلى دورية الأركان -

وفي إحدى الإجازات العادية، قابل أيهود صديق طفولته أبراهام امون، والذي سأله عن الوضع في الكتيبة؟؟ فقال بروج: صعب ولا يشير اهتمامه. - امون : "لو اقترحوا عليك الانتقال إلى الدورية هل تقبل؟؟"

- ايهور: "أي دورية؟؟ وما الذي يفعلونه هناك؟؟"

- امون: "دورية ما"، وهناك يقومون بأعمال الملاحه، ويجرون تدريبات مثيرة.

ثار خيال ايهور، وأراد معرفة المزيد عن الدوريه، بيد أن امون لم يكن على استعداد للكشف عن ذلك، وقال : "سنرى ما الذي سيحدث؟؟".

وبعد عدة أسابيع، شعر ايهور أن هناك توترا خاصا حوله، فقد استدعاه قائده، وسأله: من الذي يهتم بأمره؟؟ ولماذا يرغب في الانتقال من الكتيبة؟؟ لم يدر ايهور ما الأمر، ولم يدر أن امون قد نقل اسمه إلى (سامي نحيماس) المسئول عن تجنيد الأشخاص الجدد لدورية هيئة الأركان، وقال له: أن ايهور قادر على القيام بأعمال الملاحه على الخرائط كبدي في الصحراء، وأنه أحد أكفأ الأشخاص في تفكيك وتركيب الساعات، وفي فتح الأقفال، وروى له كيف تمكن ايهور في المناقسه على فتح الأقفال من فتح مائة قفل وهو معصوب العينين في غضون ساعة.

سارع نحيماس لحمل الروايه إلى أبراهام ارنان قائد الوحدة. وبدأت الروايه له خياليه إلى حد ما، لكنه قال لنفسه: إذا كان قسم منها صحيحا، فلا شك أن هذا الجندي هو أحد الجنود الذين يطمح إلى ضمهم لوحده.

استدعي ارنان سامي نحيماس، وإيلي جيل، وقال لهما: احصلوا لي على جميع المعلومات حول هذا الجندي، من الكيبوتس، من المدرسه ومن كل مكان، فإذا ما اتضح أن ما يقال عنه صحيح فليست أرغب في أن يسرقوه منا.

عاد الاثنان إلى أرنان بعد أسبوع وقالوا له: كل ما قيل صحيح، فهو بطل في فتح الأقفال، وملاح لا يشق له غبار، وذكي ... لكن ...

سال ارنان: لكن ماذا؟؟ فقال الاثنان: لقد قال لنا ضابط أفراد الكتيبة التاسعة: انسوا هذا الأمر تماما، وقال شيئا عن قيام ايهور بقيادة وتوجيه قافلة في الليل بالاعتماد على الخرائط.

لم يكن ارنان على استعداد للتخلي عن الاكتشاف، فتوجه إلى صديقه ديفيد اليعزر، الذي كان آنذاك يشغل منصب قائد سلاح المدرعات، وقال له: "أنتم تستطيعون العمل بدونه، أما أنا فأحتاجه".

و ذات صباح، قدم نحمياس وجيل إلى مكتب ضابط أفراد الكتيبة التاسعة، وتم استدعاء ايهود. سأله الاثنان عما إذا كان حقاً يجيد فتح الأقفال، ويجيد أعمال الملاحة ليلاً؟؟ فأكد ذلك، وقال إذا أردتم أستطيع أن أقدم لكم الدليل الآن. فقال له نحمياس: يوم السبت عليك الذهاب إلى شارع سبيون-٥ وهناك سيراك ابراهام ارنان.

وصبيحة يوم السبت توجه ايهود إلى منزل ارنان. الذي دهش تماماً وهو يرى أمامه صبياً يبدو في الأول ثانوي، بيد انه ادخله، وفرش أمامه خارطة، وأشار إلى جبال القدس، وقال: أنت هنا، وتريد الذهاب إلى هذا المكان، كيف ستصل؟؟ اخذ ايهود يتجول فوق الخارطة واصفا المنحدرات والتلال، وآبار المياه بصورة مذهلة أثارت إعجاب ارنان. الذي قال له: حسنا ستتلقى أخطاراً.

عندما عاد ايهود إلى الكتيبة في اليوم التالي، قال له ضابط الأفراد: ستتقل إلى وحدة أخرى. وفي نفس اليوم، توجه إلى قاعدة الوحدة حيث تم توجيهه إلى شعبة الأفراد، فوجد بانتظاره (بني كوهين) وهو يحمل اختبار القبول للوحدة:

- كوهين: اصعد إلى سطح المبنى، وقم بعملية مراقبة للمنطقة، وسجل كل ما تراه.

صعد ايهود إلى السطح وسجل كل شيء فعلاً، بل لقد سجل مرور طائرة مسافرين من فوق المكان في تلك الأونة.

تواصل الامتحان، فطلب منه (بني كوهين) أن يصعد إلى ناقلة الجنود، وأن يقف على الجناح، والانطلاق على الأسفلت:

-كوهين: هل كنت في سلاح المشاة المدرع؟؟

-ايهود: نعم سيدي القائد.

-كوهين: هل قفزت من سيارة مدرعة وهي منطلقه؟؟
 -يهود: نعم، فقط من الباب الخلفي.
 -كوهين: هل تجيد القفز والدرجة على الأرض؟؟
 -يهود: نعم.
 -كوهين: هذا ما ستفعله، انزل إلى الدرجة الأولى، وعندما أقول لك اقفز، عليك أن تقفز.
 زاد كوهين من سرعة الناقلة، وراقب يهود عقرب الساعة وهو ينتقل من ٥٠-٦٠، إلى ٧٠ كيلومترا في الساعة. وشعر بيد كوهين قريحة من حزامه، وقال له: استعد للقفز. نظر يهود إلى الأرض فشاهد العجلات تنهبها نهبا، بيد انه دفع إحدى قدميه في الهواء استعدادا للقفز، لكن كوهين امسك به بقوة، وضحك، وقال للضباط الجالسين معه: هذا الجندي على ما يرام.
 عاد يهود إلى الكيبوتس وهو لا يعرف بعد ما معنى دورية هيئة الأركان، فقرر أن يسأل أحد الرقباء في سلاح المظليين من معارفه، والذي قال له بحماس: "هذه هي أكثر الوحدات العسكرية التي يتمتع عملها بالسرية التامة. انهم يتسللون في الليل إلى غزة ويعودون ومعهم تذاكر سينما من هناك.
 وأضاف الرقيب، ذات مرة كنا في جولة عسكرية في الصحراء، وفجأة نزل نحونا قطيع من الأغنام من تلال الخليل، فأرسلنا مجموعة من الجنود لإلقاء القبض على الراعي. وعندما عادوا به، لم اصدق ما أرى، لقد كان الراعي (زخاريا). الذي كان معنا في الوحدة.
 ورغم أن زخاريا لم يقل لنا ماذا يفعل في هيئة راعي. إلا أن الجميع كانوا يدركون. أن كل ما يقال حول دورية هيئة الأركان صحيح".



الفصل الثالث

-ايهود "حبيب قلب" قائد الدورية -

مزايا الجندي المتميز لدى ايهود أثارت اهتمام قائد دورية الأركان

ولد أبراهام ارنان (هرلينج) في القدس عام ١٩٣٠، وفي السابعة عشرة التحق بمنظمة (البلماح) وشارك في معارك اقتحام القدس. وكان قائد اللواء في تلك الآونة العقيد اسحق رابيين.

وحال انتهاء معارك ١٩٤٨ انتقل ارنان إلى شعبة استخبارات هيئة الأركان، وتمثلت وظيفته في تفعيل العملاء. وقد كانت إنجازاته محدودة بسبب طابع العملاء.

كانت لدى ارنان مخططات أخرى تتمثل في تشكيل وحدة تجمع بين القدرة التنفيذية للكوماندو، والعمل الاستخباري، واضعاً نصب عينيه ديفيد سترلينج كقدوة، وهو ضابط مخابرات بريطاني كان يقود وحدة خاصة اسمها "وحدة الأشباح".

لقد حفظ ارنان كتاب سيرة حياة سترلينج عن ظهر قلب حول وحدته، التي كثيراً ما فاجأت الجيش الألماني القوي، في جبهة الصحراء الغربية. وكانت قوة سترلينج، تعمل في وحدات صغيرة وبجراً بالغة على بعد مئات الكيلومترات خلف خطوط العدو.

وفي إحدى العمليات، دخل سترلينج على رأس خلية من وحدته إلى قاعدة التموين الألمانية كانوا يرتدون ملابس خاصة بسلاح المدرعات الألماني - وقاد سترلينج أعضاء خلية بخطى نازية واضحة، نحو مخازن الوقود، وقام بتفجيرها، ونجح هو ورجاله بالعودة إلى قاعدتهم بسلام ودون خسائر. كان ارنان على قناعة تامة، بأن الجيش الإسرائيلي في اشد الحاجة إلى مثل هذه الوحدة، والتي ستركز عملها في المجال الاستخباري والعمليات التنفيذية الخاصة. ولم يكن في أوساط القادة من يفكر بنفس هذا النمط، في أعقاب حرب سيناء ١٩٥٦، فرييس الأركان الذي خلف موشيه ديان - الفريق حاييم لسكوف - كان يعتقد أن مهمته تتمثل في إعداد أطر عسكرية كبيرة لمواجهة الحرب المستقبلية. وهكذا لم ينجح ارنان في إقناعه بأهمية وضرورة الوحدة.

كان لسكوف يؤمن بأنه لا يجوز بذل جهود وإضاعة موارد مالية، في فترات الهدوء النسبي على الحدود، والسماح للجنود بالتجوال أثناء الليل، داخل أراضي العدو.

وفي محاولة إقناع أخيرة، قام ارنان بمناورة فأرسل إيلي جيل - أحد أعضاء وحدة تفعيل العملاء - وهو يرتدي ملابس عربي، إلى الحدود الشمالية، حاملاً معه أوراقاً ووثائقاً استخباراتية سرية.

اعتقل حرس الحدود الإسرائيلي (الجاسوس العربي)، وحققوا معه طيلة أسبوع - ولم يكن التحقيق لطيفاً - بيد أنه لم يعترف بسرره. ولم يكن يعلم بهذا السر سوى ثلاثة أشخاص هم ارنان، ورئيس الأركان لسكوف، وجيل نفسه -الذي كانوا يطلقون عليه اسم (داود). وإزاء نجاحه في المهمة، ضغط ارنان على لسكوف لتشكيل وحدة تضع قذوتها (داود). فوافق، وإن كانت موافقته دون حماس.

تم تشكيل الوحدة، مطلع عام ١٩٥٨، كوحدة صغيرة، بلا موارد، بل لم يكن هناك من يؤمن بأهميتها، سوى حفنة صغيرة من الأشخاص.

اختار ارنان جنود وحدته الصغيرة بعناية بالغة، على غرار ما فعل ستارلينج. ومن الجائز أن هذه الوحدة، ما كانت ستنتج، لولا المساعدات التي كان يقدمها لهم نائب قائد المدرعات العقيد ديفيد بن اليعزر. وكان أول من التحق بهذه الوحدة إيلي جيل ، وسامي نحيمياس.

تم بناء الوحدة على نفس الأسس التي تم اتباعها في بناء الشعبة القريبة للبلماح. وتم تشكيل نواتها التأسيسية، من خريجي الوحدة (١٥٤) التابعة للاستخبارات والعاملة في مجال تفعيل العملاء. وفي منتصف عام ١٩٥٨، وعلى أرضية الصعوبات التي واجهها ارنان، في تشكيل الوحدة، قرر ضم نواة قدامى الوحدة (١٠١) إليها، رغم أن أولئك الأشخاص، كانوا قد غادروا الجيش وشرعوا في بناء حياتهم خارجه وكان أول الذين تم استدعاؤهم، اسحق جيبلي، الذي اشتهر

لدى سقوطه في أسر الأردنيين عام ١٩٥٤، وقيل له، أنه هناك شخصا يدعى ارنان يفتش عنه.

ويقول جيبلي: لقد عرفت ارنان منذ عهد الوحدة (١٠١)، وقد قال لي: أريدك وأريد باقي الزملاء، سوف أنشئ وحدة شبيهة بالوحدة (١٠١)، انظر من يمكنك أن تجنده من الأصدقاء القدامى، وسأحدث أنا مع مائير هارتسيون. بدأ جيبلي يجري اتصالاته الهاتفية، فجاء إليه (كوبي يتسيف)، و(أبشه ادموفيتش)، و(مائير هارتسيون). وفي عام ١٩٥٨، الحق بالوحدة أيضا العديد من الأشخاص، ومن ضمنهم (شبتاي شبيط) الذي أصبح فيما بعد رئيسا للموساد و(ابراهيم أمون) صديق يهود منذ الطفولة، والذي أوصى به.

كان نحياس قد لجأ إلى تفعيل رجال مخابرات في الكيوتسات لاختبار الأشخاص غير العاديين الذين كان يفتش عنهم لإلحاقهم بالوحدة. أناس قادرين على التسلل إلى أي مكان وتنفيذ المهام والعودة بسلام. وفي غرفة الطعام، في الوحدة، كان قد وضع صورة لغلانف كتاب ستيرلينج "الجرى سينتصر". كان ارنان يحلم بتشكيل وحدة قادرة على التسلل في ساعات الليل إلى المطارات العربية وتفجير الطائرات، كما خطط لإقامة مدرسة للعملاء السريين.

أثار يهود انتباه أرنان، واعتبره مزيجا من مزايا الجندي الميداني المتميز القادر على اقتحام أي مكان وتخطي أي عقبة، مع قدرة على عزف الموسيقى، وحل معادلات رياضية معقدة.

لم يكن يهود يدري أن القائد نفسه مهتم به شخصيا، ويراقب انخراطه في الوحدة. وقد تم إلحاق يهود في طاقم "بني كوهين" وهو ضابط يميني ذو مظهر صلب وشديد.

كان يهود أول من اجتاز في طاقمه، دورة (متفجرات) وحينما عاد من الدورة، اعتبر نفسه خبيرا كبيرا، وقد كلفه القائد بأن يدرب باقي أعضاء الطاقم. ولم يحب أحد الجنود الأسلوب الذي يعلم به يهود، فأطلق عليه اسم نابليون، وهو الاسم الذي لم ينجح يهود في التخلص منه طيلة المرحلة الأولى في الوحدة.

وفي غضون فترة وجيزة، أصبح إيهود بروج حبيباً لنفس القائد، بل وكان أرنان يعد عمليات خاصة تتناسب مع لقاءات بروج.

وفي أعقاب إثباته لنفسه ميدانياً، سمّ تجنيده لمهام لا تقل أهمية: إغناء مخازن وقود الوحدة بصورة أساسية، على حساب وحدات أخرى.

بعد وقت قصير من وصوله إلى الوحدة، وجد إيهود نفسه في جولة ملاحية مرهقة جداً في جبال القدس. وقد قام (بجيال أمسلم) بقيادة عملية الملاحه، التي استغرقت ليلة ويوماً، وبعد أن اجتازوا أربعين كيلومتراً ليلاً، وجدوا أن النهار شديد الحرارة، وفي مرحلة معينة اكتشفوا أنهم اخطأوا في الملاحه، وبدأ قسم من الجنود يشعر بالجفاف، وكاد إيهود -أفضل ملاح في المجموعة- أن يغشى عليه ولم يبق لهم سوى (مطرة) ماء واحدة لساعات الطوارئ. وكان أقرب مصدر مياه إليهم في (نثوت هيكار) على بعد عدة كيلومترات طلب (أمسلم) من (إيهود) أن يقودهم باتجاه نثوت هيكار، بيد أن إيهود لم يستطع الإمساك بالخرطة وهو نصف مغشى عليه، فأعطوه جرعة ماء، ثم استرد قوته، وشرع بالسير وباقي أعضاء الوحدة وراءه، وبعد نصف ساعة كانوا في نثوت هيكار.

وفي إطار التدريبات، تم إرسال الطاقم للعيش ثلاثة أسابيع بصحبة البدو في النقب، فقد آمن أرنان، أن الطريق للجندية في وحدته يمر عبر خيام البدو. وقد قالوا لرئيس القبيلة أنهم طلبة من الجامعة، يجرون أبحاثاً على نمط حياة البدو. وقد تبني أحد البدو ويدعى جمعة البسيدي إيهود، وعلمه كيف يركب الجمل، ويقود قافلة جمال في الصحراء. وقد بقيت العلاقة بين إيهود والبدوي العجوز الذي كان أبنائه يعملون كقصاصي أثر في الجيش، حتى في أعقاب مغادرة الطاقم للخيمة. وقد قال له جمعة فيما بعد: إن القبيلة كلها كانت على علم بأنهم ليسوا طلبة.

وإذا ما استثنينا التدريبات والرحلات هنا وهناك، يمكننا القول أن أرنان كان يشعر بالإحباط الشديد، فقد أدرك، أن الوحدة أصبحت ناضجة للقيام بعمل استخباري كبير، بيد أن القيادة كانت تشك في قدرتها، وفي مطلع عام ١٩٦١

ترك ارنان الوحدة، ولا زال الشعور بخيبة الأمل يرافقه، جراء عدم إيلائه الثقة اللازمة والدعم، من هيئة الأركان، واجتياز دورة قيادة أركان. وعين بدلا منه يوسف قسطل الذي كان قائدا لدورية جولاني، وعين اهارون اشل (أرول) -أحد قادة عمليات الرد الانتقامية على العرب في الوحدة (١٠١)، نائب له. وفي نهاية عام ١٩٦١ عاد ارنان لقيادة الوحدة. وفي نفس الوقت توجه ايهود لاجتياز دورة ضباط سلاح مشاة.

الفصل الرابع

- خارج الحدود -

قاد بنجاح أول مهمة لجمع المعلومات

الاستخبارية في هضبة الجولان

كان إيهود بزوج أول جندي في تاريخ الوحدة، التي تخرج منها، يقرر الالتحاق بدورة ضباط سلاح المشاة. فقد اعتاد خريجوه هذه الوحدة، حتى ذلك الحين، الالتحاق بدورة ضباط شعبة العمليات، التي كانت أقصر وأسهل، ومن ثم بدورة ضباط الاستخبارات. وقد نجح إيهود في إقناع (قسطل) بضرورة وجود بنية تحتية ضباطية حربية متميزة، تجتاز أعلى مراحل التأهيل، إذا أرادت الوحدة أن تصل إلى مستوى تنفيذي رفيع، ويبدو أن رغبته هذه، جاءت انطلاقاً من نيته الانخراط مستقبلاً في صفوف الجيش الإسرائيلي. وقد استمع (قسطل) إلى كلامه واقتنع به.

في بداية الدورة، شعر إيهود بالنقص أمام شبان آخرين، جاءوا من وحدات ميدانية. إذ لم يسبق له أن التحق بدورة رادار ومصطلحات رئيسية مثل عدو من اليمين، عدو من اليسار، إذا اصطدمت بالعدو -تقدم وهاجم لم تظهر في قاموس الوحدة. كانوا هناك يتحدثون بلغة أخرى، غير تلك التي يتحدثون بها في الجيش الإسرائيلي. ولم يعرف طبيعة الأوامر العسكرية المتبعة في الجيش آنذاك. يقول إيهود: "فقط، عندما خرجت إلى الميدان، وجدت مكاني. لقد تحدثت هناك خبرتي وتجربتي في مجال التوجيه الملاحي. في إحدى الأمسيات، جلست في غرفتي أراجع حساباتي. لقد بذلت جهداً كبيراً، إلى أن وصلت إلى دورة الضباط.

وتعتبر مهمة الضابط النشيط، أكثر المهام شعبية في دورة الضباط. أي أن يعرف أحدهم كل شيء، ويرتبط كل شيء بالتالي به. في مثل هذه الحال ينبغي عليه أن يقوم بالتوجيه اللازم، وأن يصل إلى الهدف. وسرعان ما اكتشفت أن قادة الشعب يتصارعون فيما بينهم، للحصول على كضابط نشط في المناورات. كانوا واثقين من أنهم سيتمكنون، معي فقط، من الوصول إلى الهدف، بأقصر السبل وفي الوقت المناسب".

أثبت إيهود نفسه في الدورة منذ اليوم الأول، إذ أن قدرته على التوجيه الملاحى أدهشت المدربين، الذين تخرجوا جميعا من وحدات مقاتلة. ولقد عرف إيهود كيف يترجم كل ما تعلمه بدقة ووضوح.

يقول أحد المستجدين في الدورة ويدعى (أوري رانجمان) - أصبح فيما بعد أستاذا في كلية الحقوق بجامعة تل أبيب، وبعد ذلك مؤسس ومدير كلية الحقوق في هرتسليا: "لقد ألقى على عاتق إيهود مهمة الإعداد لمناورة هجوم في نهاية الدورة. ولا أظن أن أحدا ما أدى مهمة وقدم ملخصا دقيقا لتفاصيلها، بمثل هذا النجاح. لقد أخرج جميع المدربين مذكراتهم وبدأوا بتدوين ملاحظاتهم. ولقد كان التنفيذ بمستوى جيد".

اختير إيهود كأحد المستجدين الستة المتميزين في الدورة. وقد قام نائب رئيس هيئة الأركان العامة آنذاك، اللواء اسحق رابين بالكشف عن الدرجات التي حصل عليها. تبادل معه بعض المجاملات وطلب منه معرفة المنطقة التي أتى منها. وقد اتضح فيما بعد، إن بروج لم يكن وحده الذي تذكر المقابلة، بل رابين أيضا الذي استمع إلى عبارات المديح والثناء التي كان قائد الدورة يكيلها لإيهود كانت تلك المقابلة الأولى وعقبها مقابلات أخرى عديدة.

انتهت الدورة في منتصف عام ١٩٦٢، وعاد إيهود إلى الوحدة ليشراف على طاقم تنفيذي وبوصفه قائدا للطاقم، أعد خطة تدريبات غير عادية أبداً لجنوده، مسارات حربية وغارات ليلية لأهداف مختلفة، وبفضل قدرته على التوجيه الملاحى، قادهم إلى محاور خاصة ومواقع تاريخية في تاريخ الاسـتيطان اليهودي ومناطق في صحراء (يهودا) جنوب الضفة الغربية. لقد كان يتمتع بقدرة قيادية فاعلة، وما زال جنوده يتذكرون حتى اليوم، أنه لم يكن يحتاج تقريبا- إلى خرائط أو بوصلات أثناء عملية التوجيه الملاحى.

كان اللقاء الأول مع الطاقم في جولة مسافتها ١٢٠ كم من حيفا إلى تل أبيب، ومن هناك إلى معسكر الوحدة ٢٤ ساعة سير متواصل. لقد كان اختبارا

خاصا للمقاتلين الشبان وأول فرصة لقائد الطاقم كي يراهم في ظروف قاسية تستلزم الشجاعة والقوة.

في كانون الثاني ١٩٦٢، عين اللواء مائير عاميت رئيسا لشعبة الاستخبارات العسكرية، خلفا اللواء حاييم هرتسوغ. ومقابل هرتسوغ الذي أبدى تعاطفه إزاء الوحدة، وتشكك في الوقت ذاته بقدرتها التنفيذية، كان عاميت أكثر انفتاحا أمام الأفكار التنفيذية التي اقترحها ابراهام ارنان وكان مستعدا لمنح دورية هيئة الأركان صلاحيات محدودة لفترة قصيرة.

أدرك مائير عاميت أنه لن يكون رجل استخبارات جيد، دون أن يتعرض للمخاطر. وقد كان مستعدا لمواجهة جميع الأخطار، وتقديم كل ما ينبغي تقديمه. ولم ينس زملاؤه في الوحدة، موقفه هذا.

تعززت وتيرة التدريبات في تلك الفترة. وفي إحدى الأمسيات، جمع قائد الدورية قادة الأطقم في غرفة الطعام، وقد نشرت على الجدران خرائط الهضبة السورية.

كشف ابراهام ارنان النقاب عن العملية السرية التي كانت عبارة عن اختراق استخباري للمنطقة السورية. وقدم للحضور قائد العملية، الملازم ثان، ايهود بروج ولا شك في أن هذا القرار أذهل الجميع لأنهم كانوا جميعا أقدم من ايهود.

وبعد سلسلة من التدريبات، والتجارب توجه الطاقم إلى الحدود كانت المهمة، جمع معلومات استخبارية محددة في منطقة بالمواقع السورية. وقبل ذلك بثمانية أعوام، وتحديدًا في كانون أول ١٩٥٤، خرجت وحدة (جولاني) إلى المنطقة، ووقعت بأيدي السوريين، كان 'بروج' وأفراد الطاقم على علم بما حل بهؤلاء الجنود في تلك العملية، وكيف تم وضعهم في السجون السورية.

يقول أحد أفراد الخلية ويدعى (كوتي شرعافي): 'بدأنا الصعود باتجاه المنطقة السورية. اكتشفت أن ايهود يقوم بمهمة التوجيه دون خارطة، من خلال ثغرات في حقول الألغام. كان يقود المجموعة بأمان تام ربما توقف مرتين أو

ثلاثاً، ليشخص طبيعة المنطقة، ثم يواصل السير. سرنا مدة خمس ساعات تقريباً، وكان إيهود يسير أمامنا بمفرده لم ينبس ببنت شفة، طوال المسيرة، وكان يكتفي بالإشارة بيده كلما اقتربنا من الهدف اقصد منشأة تابعة للجيش السوري؟؟ بعد ذلك بست وعشرين عاماً يتذكر 'براك' جيداً، تلك العملية التي حظي بفضلها بالوسام الأول، ويقول: "لم تكن مهمة التوجيه الملاحي سهلة. حسب الخرائط كانت المنطقة مزروعة بالألغام والمواقع السورية، وكان الممر بينها ضيقاً. كان ينبغي تحديد المسار بدقة. وبعد بضع ساعات من السير، اكتشفت من خلال المنظار موقع الهدف -زاوية موقع على هامش أحد المعسكرات. سار أفراد الطاقم خلفي باستعداد تام. داسوا على الأشواك والحجارة وافتعلوا ضجة، خشيت أن توقظ الجيش السوري كله، وعندما أصبحت على مسافة ٥٠ متراً من الهدف سمعت صوت شخير انحنيت إلى الأرض، أعطيت الإشارة للرجال بالتوقف، ثم زحفت باتجاه الصوت.

زحف بالقرب مني (إيفي ت)، الذي كان نائبي في العملية، وبعد ذلك قائد وحدة "اجوز"، ومسئولاً عن جهاز الاتصال، وكان المشهد الذي رأيته أعيننا غريباً. شاهدنا جنديين سوريين مستقلين على بطانية. وقد استغرقوا في النوم حد الشخير بصوت مرتفع. كنت أخشى أن يستيقظا، إن نحن مررنا إلى جانبهما، قررت قطع الاتصال وتطويق الجنود السوريين. لكن أحدهما همس من ورائي: إيهود يقول المسئولون في غرفة العمليات الأمامية إننا استنفذنا الوقت المحدد، وأنه ينبغي علينا العودة.

على بعد بضعة كيلومترات من هناك، كان قائد المنطقة الشمالية، إبراهيم يافيه، رئيس شعبة الاستخبارات، اللواء مائير عاميت، نائبه أهاريلا ياريف وقائد الوحدة، إبراهيم أرنان، يجلسون جميعاً في غرفة العمليات الأمامية، التي أقيمت بالقرب من الحدود السورية. أراد يافيه وياريف إنهاء المهمة والعودة حالاً. كانا يخشيان ألا تتمكن القوة من اجتياز الحدود، وأن تجد نفسها، في وضح النهار، في منطقة سورية، تغص بالقوات العسكرية.

كنت على مسافة خمسين مترا من أقصى نقطة في الموقع السوري، ومسافة خمسة أمتار من أحد الجنود السوريين النائمين. كنت وانتقا من قدرتي على إنهاء المهمة والعودة في الوقت المحدد، فأمرت ايفسي بقطع الاتصال. كاد (ارنان) الذي جلس في الغرفة الحربية الأمامية أن ينفجر غضبا. فها هو الفشل الأول، وهذه هي نهاية الوحدة التي تحتل لديه مكانة عالية. ولقد أثار قطع الاتصال قلق كبار القادة، حتى أن المسؤولين في شعبة العمليات الأمامية، بدأوا مناقشة إمكانية إرسال قوة إنقاذ، وهي الخطة التي قد تشعل كل المنطقة.

بعد ساعة ونصف الساعة من قطع الاتصال، استقبلت منظومة الاتصال الكلمة السرية التي كانوا جميعا بانتظارها. لقد نفذت القوة المهمة وهي في طريق العودة. ولقد بقيت تفاصيل العملية كغيرها، طي الكتمان حتى اليوم. كانت سعادة ابراهام ارنان، لا توصف. أسرع إلى قائد العملية ولم يكف عن تطويقه وعناقه. أدرك ايهود أن قائد الوحدة يحاول استجماع قواه، لئلا ينفجر بالبكاء، من شدة الفرح والسعادة. حاول لكنه لم يتمالك نفسه.

بعد انتهاء العملية بوقت قصير، تم استدعاء ايهود إلى مكتب رئيس هيئة الأركان، تسفي تسور. الذي أشاد بقدرته القيادية وشجاعته، وتشبثه بالهدف الذي ينشده. كان وسامه الأول من بين الأوسمة الخمسة، إذ فاق أي ضابط أو مقاتل آخر في الجيش الإسرائيلي.

وفي أعقاب العملية، قال ارنان لقائد سرب المروحيات الأولى في الجيش الإسرائيلي، اوري ياروم: "تذكر هذا الشاب إنه سيصل إلى البعيد. إلى رئاسة هيئة الأركان".

كانت تلك الفترة، بداية عصر (ازدهار) الوحدة فقد اكتسبت الأطقم خبرة عملية واسعة، في نشاطات متنوعة خارج الحدود. ولا شك في أن تلك الإنجازات عززت الشعور بالأمن الذاتي. إذ لم يعد أحد يتحدث عن إمكانية حل الوحدة.

وتعقيا على العملية قال مائير عاميت لابراهيم ارنان وللضباط: "أنا أبارك جهودكم. بعد خمس عمليات ناجحة، أجد نفسي قادرا على هضم فشل ما. لكن الامر ليس سهلا. حاولوا إرجاء قدر المستطاع".

في ذلك الوقت سرت في الجيش الإسرائيلي شائعات تتحدث عن وحدة سرية، تستطيع الوصول إلى كل مكان. ولم يكن قد أطلق عليها في ذلك الوقت بعد، اسم "وحدة" بل كان اسمها الرسمي دورية هيئة الأركان.

تزامن موعد تسريح ايهود مع بلوغ العمليات الميدانية ذروتها، بيد أن أحدا من دوف تماري أو رئيس شعبة الاستخبارات مائير عاميت الذي خدم أيضا كرئيس للموساد، لم يكن مستعدا لسماع نبأ تسريحه القريب. وقد أوضح ايهود لهم، أنه شخصيا، مستعد لتمديد فترة خدمته، غير أن الكيبوتس يمارس ضغوطه عليه ليعود. وهنا قرر عاميت محاولة إقناع الجهات المسؤولة، فكتب إلى سكرتارية الكيبوتس وطلب تمديد فترة خدمة ايهود لكنهم لم يسارعوا إلى الرد فقد حان الوقت من وجهة نظرهم، كي ينخرط ايهود في مجال الزراعة.

بيد أن مائير عاميت لم يتنازل، وطلب المثل أمام أعضاء الكيبوتس جرى الاجتماع في غرفة الطعام. لم يكشف عاميت النقاب عن المهمة التي يقوم بها ايهود، لكنه أوضح للحضور مدى أهميته بالنسبة للجيش وللوحدة التي يخدم فيها. وفي نهاية الاجتماع، تمت الموافقة على بقاء ايهود في صفوف الجيش.

في نهاية عام ١٩٦٣، غادر ابراهيم ارنان الوحدة، وعين دوف تماري خلفا له كان من الصعب على ايهود الانفصال عن ارنان. فبعيدا عن العلاقة الشخصية التي تجمع بينهما، كان ايهود يكن الإعجاب والتقدير له ولجهوده التي بذلها من أجل تشكيل الوحدة. فقد بنى وحدة من لا شيء، رغم معارضة شخصيات رفيعة المستوى في هيئة الأركان العامة. ولولاه لما قامت الوحدة، ولكان ايهود سينهي خدمته العسكرية في الكتبية التاسعة بسلاح المشاة المؤلل.

طوال فترة خدمته العسكرية، لم ينس ايهود فضل ابراهيم ارنان، الذي كان يقول عنه، بأنه قد منحه فرصة لا تعوض ليجد مكانه في صفوف الجيش الإسرائيلي.

واصل ابراهيم ارنان شغل مناصب رفيعة المستوى في الاستخبارات ومراقبة الوحدة عن بعد. في عام ١٩٧٠ اكتشف أنه يعاني من مرض السرطان. وقد حارب هذا المرض عشر سنوات، رغم أن الأطباء لم يتوقعوا له حياة تزيد عن ستة اشهر، وتوفي عام ١٩٨٠.

استغل دوف تماري الإنجازات التنفيذية الأولى للوحدة، لبلوغ المزيد من المهام الخاصة. ولا شك في أن الفضل يعود له في تثبيت دعائم الوحدة وتأسيس قدرتها وكفاءتها التنفيذية المتميزة.

عمل تماري وفق معايير أخرى، فقد زرع في الجنود روحية الانضباط الشخصي والعملي وقد قيل عنه أنه نجح في نقل الوحدة من عصر البلماح إلى الجيش الإسرائيلي. لكن الوضع بالنسبة له، كان أسهل بكثير، إذ لم يكن تماري مضطرا لإقناع كبار الشخصيات في قيادة الجيش بالقدرة التنفيذية التي يتمتع بها رجاله. وفي تلك الفترة، حظيت الوحدة بالاعتراف، في ظل الإنجازات الكبيرة التي حققها.

وكما كانت الحال بالنسبة لآبراهام ارنان، اعترف تماري بالقدرات الفريدة التي يتمتع بها (ايهود بروج) وألقى على عاتقه مهام تفوق ما ألقاه على عاتق قادة أطقم أخرى.

في شباط عام ١٩٦٤ تسلم تماري، الذي كان بطبيعة الحال ضابطا مقاتلا، قيادة الوحدة بشكل رسمي. وقبل ذلك بشهر واحد، عين اسحق رابين رئيسا لهيئة الأركان العامة، وقد رأى في دورية هيئة الأركان، أهم وحدات الجيش الإسرائيلي، وعنصرا أساسيا في خلق قدرة استخبارية.

كان ايهود يشعر بشيء من الدهشة إزاء العلاقة التي قامت بين رابين ودورية هيئة الأركان. فقد كان رابين يحرص على متابعة مناورات

الوحدة، ويحاور المقاتلين قبل أدائهم المهام الخاصة وبعدها، ولقد عززت الزيارات المتتالية علاقته بالضابط الشاب (إيهود)، الذي كان يحظى بمديح قادة الوحدة أمامه.

كان إيهود بروج الاسم اللامع في جيل القادة الجدد في دورية هيئة الأركان، وقد ظهر إلى جانبه عدد من القادة المؤهلين في الجيش الإسرائيلي بينهم (نحميا كوهين)، (داني يتوم)، (بشلوم حورين)، (جيورا زورع) وغيرهم.

حدث ذات مرة أن أصيب أحد أفراد الطاقم الذي يقوده إيهود، بتمزق في قدمه، قبيل بدء إحدى رحلات التوجيه الملاحي التي يقوم بها. كان من الضروري تقسيم الجنود بشكل زوجي، وفي ظل غياب أحد أفراد الطاقم، بات لزاما على إيهود البحث عن وسيلة لحل المشكلة. فكر في إجازة السبت، واحضر معه من الكيبوتس بزة عسكرية، وطلب من أخيه "ابينوعم" الذي كان في نهاية الصف الثاني عشر، وعلى وشك التجند في صفوف الجيش الإسرائيلي، الانضمام إليه في رحلة توجيه ملاحي في منطقة النقب. لم يرفض "ابينوعم"، بل ارتدى البزة العسكرية وسار مع الطاقم. كان جميع أفراد الطاقم على علم بالأمر بيد أن أحدا لم يكشف السر. وبعد انتهاء المهمة، عاد "ابينوعم" إلى الكيبوتس.

وفي عام ١٩٦٣ تجند في الجيش الإسرائيلي وتطوع للخدمة في دورية هيئة الأركان. كان إيهود آنذاك نائب قائد الوحدة. حيث وجد نفسه، أكثر من مرة، قائدا أمام شقيقه.

ففي إحدى المرات، قام إيهود بجولة تفتيش بين مقاتلي الأطقم، وقد لاحظ أن سبطانة بندقية شقيقه "ابينوعم" ملوثة. لو كان جندي آخر مكانه، لتم سجنه، ابتسم إيهود، وواصل التفتيش. وفي وقت لاحق، أمر أخاه بتنظيف سلاحه على الفور. ولما سأل "ابينوعم" عن السبب الذي منعه من سجنه، ابتسم وقال، "هل تريد أن تورطني مع أمي؟ ماذا سأقول لها، قمت باحتجازك في القاعدة بسبب وحل في البندقية؟..."

ما زال الأخوان يذكran حتى اليوم، العملية الميدانية الأولى التي خرج إليها "ابنوعم"، ولم يشارك فيها إيهود. لاحظ إيهود أنذاك علامات التوتر على أخيه، وسأله عما إذا كان يشعر بالخوف. "ابنوعم": نعم، أنا أفكر طيلة الوقت فيما يمكن أن يحدث أن وقعنا في الأسر".

إيهود: "ينبغي أن لا تقلق. فطامكم أفضل من أي وحدة في الجيوش العربية. وحتى لو اصطدمت بأي قوة معادية، انتم قادرون على التغلب عليها ابتسم ابنوعم. وعندما عادت القوة، صبيحة اليوم التالي، أسرع إلى إيهود وقال له: "لقد صدقت في كل كلمة قلتها".

وقع إيهود على الخدمة الدائمة حتى عام ١٩٦٥، وعين قائدا لقسم العمليات الخاصة في الوحدة. وكتقدير لموافقته على البقاء في الوحدة، حصل على دعوة للالتحاق بدورة كومانندو في فرنسا في قاعدة كومانندو فرنسية تقع على قمة جبال (البرينية) على حدود إسبانيا كانت تلك، المرة الأولى التي يعبر فيها إيهود حدود الدولة كمسافر في إحدى رحلات شركة "العال" وليس كقائد طاقم.

الفصل الخامس

أيهود.....الضابط.....التلميذ
نجح في الثانوية...التحق بالجامعة...وكاد أن يصبح عالم ذرة

تقع قاعدة الكوماندو الفرنسية وسط منظر طبيعي ساحر فوق جبال (البيرينيه) المكلفة بالتلوج، كانت تقيم هناك فرقة عسكرية اسمها 'مظايو الانقضاض' رقم ١١ - وحدة خاصة مشتركة بين الجيش والمخابرات الفرنسية وكان ايهود المستجد، الإسرائيلي الأول، الذي يلتحق بدورة الكوماندو.

شارك في الدورة حوالي ٢٥ ضابطاً من قدامى المحاربين في الهند، الصين و الجزائر، تسلقوا الصخور وتدريبوا على كيفية البقاء على قيد الحياة، في منطقة يزيد ارتفاع الثلج فيها عن ٣،٥٠٠ متر، ودرسوا نظريات حرب العصابات للجنرال الفيتنامي (جيفارا) وزعيم الصين (ماوتسي تونغ).

بعد سنوات من التوتر، التدريبات والعمليات التي لم يعرف لها مثيل في أي وحدة أخرى، شعر ايهود برغبة في الحصول على إجازة. وللمرة الأولى، منذ وقت طويل، يختلي بنفسه، ليفكر في أمور لم تزعجه قبل ذلك، أو ربما لن تزعجه.

على بعد آلاف الكيلومترات من هناك، في كيبوتس (مشمار - هجفول) - حرس الحدود، كان شقيقه "ابينوعم بروج" يستعد للخدمة العسكرية. وكما هي الحال بالنسبة لشقيقه، الذي فكر قبل أربع سنوات بدورة طيران فقط، عرف "ابينوعم" إلى أين يريد الوصول بالتحديد - إلى دورية هيئة الأركان العامة.

كانت العلاقة بين الشقيقين قوية رغم فارق السنين بينهما ثلاث سنوات. فقد تعلم "ابينوعم" من ايهود أسلوب التوجيه الملاحي، واكتسب الخبرة اللازمة لحفظ الخرائط وتحليل الرموز أيضاً.

- رسالة ايهود إلى أخيه -

في إحدى ليالي الشتاء الباردة، وتحديداً في ١٥-٣-١٩٦٣، كتب ايهود الذي كان في الواحدة والعشرين من عمره، رسالة طويلة إلى شقيقه، الذي كان على وشك التجنيد قال فيها: للإنسان منا عمران. عمر زمني يحسب بالسنوات العادية، وعمر سيكولوجي، يحسب من خلال التطورات التي يمر بها الإنسان ٠٠٠، أنت أكبر قليلاً من عمرك الزمني، وأكبر مني على الأقل بعامين، عندما

كنت في نهاية الصف الثاني عشر ٠٠٠ ساكيل لك بعض المديح، ليس كشقيق لك، بل كشخص يراقب من بعيد ويفكر. أنت تنتمي إلى صنف من الأشخاص، الذين سيصبحون رجالا من الطراز الأول. وخلافا لما هو مألوف، لم أضع كلمة رجال بين قوسين وسأوضح لك سبب ذلك. الذكورة صفة بيولوجية خلفية. أما الرجولة فهي صفة جوهرية وأبرز ما يميزها الهدوء، القناعة، القدرة على اتخاذ القرارات، شدة الملاحظة، الشجاعة القيم والاستعدادات للكفاح من أجلها، الجرأة والقدرة على السباحة ضد التيار، مواجهة المشاكل وعدم التهرب منها ٠٠٠

عدم الرضا الذاتي يعني ألا يأخذك الغرور والخيلاء، حتى لو رأيت الرضا عن شخصك في عيون الآخرين ٠٠٠ لا تتدهش، عندما يبدو لك أنك لا تحقق كل ما تحدده لنفسك ٠٠ أو عندما تجد بأنك لا تتجح في الوصول إلى القناعة ٠٠ أو عندما تشعر بالخوف ٠٠ وعندما تظن بأنك تتهرب من قراءة جوانب أدانيتك ٠٠ أعود وكرر لا تتدهش لأن تلك المشاعر، هي ثروة كل شخص يحاول بناء شخصيته بنفسه ٠٠٠

إحرص على أن تضع لنفسك أفضل المقاييس في كل مكان وعلى كل جبهة، لا تقبل أبدا بحلول الوسط، في كل ما يتعلق بتلك المقاييس. هناك أمور في العالم، تعتبر التسوية جوهرها، وهذا جيد. وهناك أمور أخرى تكون التسوية فيها مدمرة. أما بالنسبة للأشياء التي يطلبها المرء من نفسه، فكل ما يبدأ بالتسوية ينتهي بالتساهل.

لقد اخترت على مدى تلك السنين طريقا محددة ٠٠٠ هذه الطريق أشبه بطريق ضيق يصعد إلى قمة جبل، ستجد في نهايتها منظرا خلابا ينال رضاك ٠٠٠ لكنها من ناحية أخرى طريق ضيقة تحفها المخاطر من طرفيه ٠٠٠ قد تنزلق قدمك، وقد يتدحرج حجر من تحت رجلك، فيسحبك إلى القاع. لذا، اطلب منك السير في هذه الطريق، رغم كل المخاطر، اسمع ممن مر بالتجربة فهذا أفضل".

في مطلع عام ١٩٦٥، قرر ايهود استكمال دراسته والحصول على شهادة الدراسة الثانوية.

اطلع ايهود قائد الوحدة، دوف تماري، على نيته اعتزال الخدمة في الجيش، وبدء مشوار الدراسة. لكن تماري ضغط عليه من أجل البقاء، وبعد جهود مضنية، وافق ايهود على البقاء في الجيش لعام آخر، شريطة أن تتسنى له الدراسة في المقابل، ولقد اتفق الاثنان على أن يستمر ايهود في الإشراف على السرية التنفيذية، وإعداد أطقم الخريجين للعمليات، وأن يتفرغ ليلاً، وفي إجازة نهاية الأسبوع للدراسة استعداداً لامتحانات شهادة الثانوية، وقد تعهد ايهود لتماري بتأهيل وريث له في الوحدة، يحتل مكانه كقائد للسرية التنفيذية، وكان هذا الوريث، (نحميا كوهين)، الشقيق الأصغر لاليغازر كوهين، قائد سرب الطائرات المروحية، الذي قاد طاقم ايهود في عدد من العمليات الجوية خارج الحدود. ولقد أدهش كوهين، ايهود، بقناعاته وهدوئه وأسلوب قيادته.

خصص ايهود ساعات النهار للتدريبات والنشاطات الميدانية، أما ساعات النوم القليلة، فقد استغلها في الدراسة، وشعر في تلك الفترة، للمرة الأولى، بالأسف لأنه لم ينه دراسته، بشكل منظم، مثل بقية زملائه في المدرسة.

عرف ايهود، في تلك الفترة، بالضابط التلميذ، ولم يكن يغادر القاعدة في إجازة نهاية الأسبوع، بل يفضل البقاء واستغلال الوقت في الدراسة ورغم ظروفه الصعبة، اجتاز ايهود الامتحانات بنتائج جيدة، وقد شجعه هذا النجاح، على مواصلة السير قدماً، واستكمال الدراسة، حيث قرر أخيراً الالتحاق بدورة الهندسة الالكترونية في معهد الهندسة التطبيقية (التخنيون) في حيفا.

كان مئات المرشحين يتنافسون في كل عام على ستين مقعداً في الكلية الالكترونية في معهد الهندسة التطبيقية، وقرر ايهود أن يكون أحد الطلبة الذين يتم قبولهم وكي يحقق رغبته، بدأ بدراسة الفيزياء في مدرسة (مشلاف) في تل أبيب، وقد أنهى الدورة بدرجات عالية، لكن قبوله في (التخنيون) لم يكن

مضمونا، رغم ذلك. كان ايهود ينظر إلى الامر بروح رياضية. إن حاله الحظ، فهذا جيد وإن فشل فلن تكون كارثة، رغم إن الامر سيكون مؤلما.

بعد بضعة أسابيع، تلقى ايهود الرسالة التي طالما انتظرها. إنها تحمل بشري نجاحه في امتحانات القبول في كلية الهندسة الالكترونية في معهد (التخنيون) وكان أسعد يوم في حياته لقد أثبت لنفسه أنه تمكن من الالتحاق بالكلية التي يصعب على الكثيرين الالتحاق بها.

غير أن ايهود لم يكن يرغب بالدراسة في معهد الهندسة التطبيقية، وبعد حصوله على الرسالة المرتقبة فقط، كشف النقاب عن الحافز الذي دفعه للتقدم للامتحان. لقد كانت الرغبة في النجاح وتحدي كل ما هو صعب.

في اليوم ذاته، بعث ايهود برسالة إلى معهد الهندسة التطبيقية، أعرب فيها عن شكره، وأعلن رغبته في التفرغ لدراسة الرياضيات والفيزياء في الجامعة.

وبعد أربع سنوات ونصف السنة من الخدمة في دورية هيئة الأركان، منها عامان في إطار الخدمة النظامية، قرر ايهود اعتزال الخدمة. كان ابراهام ارنان، نائب رئيس شعبة جمع المعلومات في قسم الاستخبارات، أول من سمع بقراره. ورغم أنه غادر الوحدة، إلا أنه كان معنيا بكل ما يحدث فيها. ولقد شعر ايهود، أن من واجبه إعلام أول قائدة للدورية بقراره.

لم يبد ارنان خيبة أمله. كان متأكدا، في ذلك الوقت، من أن ايهود يرتكب خطأ لقد توقع له مسارا آخر. لكن ايهود أوضح له، بأنه يرى إسرائيل تسير نحو السلام مع جيرانها، ولن يكون الجيش مكانا للشبان الذين يسعون وراء التحديات في السنوات القريبة القادمة. وما عزز موقفه، وقف إطلاق النار بين إسرائيل ومصر في تلك الفترة، وهدوء الحدود الأردنية، وباستثناء "العدو" السوري، لم تبد إسرائيل أنها بانتظار حرب كبيرة في السنوات القريبة.

لم يكن الكثيرون في تلك الفترة، قد سمعوا بعد بمنظمة التحرير الفلسطينية التي تأسست قبل ذلك بوقت قصير، وببأسر عرفات، زعيم الجناح

العسكري للمنظمة. حتى أولئك الذين سمعوا عنها، وبينهم يهود، لم يروا فيها خطرا حقيقيا يهدد وجود دولة إسرائيل. وفي معرض طرح توقعاته للسنوات القادمة أمام ابراهام ارنان قال يهود: بعد ثلاثة عشر عاما، سأرافق ابني للتلج على الثلج في لبنان. آخر شيء ستحتاجه إسرائيل، جنود الجيش.

لم يكن اعتزال الوحدة بالأمر السهل قبل أن يغادر أخذ دوف تماري منه وعدا بالعودة ودون تردد في أي لحظة يطلب فيها للتدريب والعمليات الخاصة. لقد قطع وعدا، لكن القرار من وجهة نظره، كان نهائيا: فقد انتهى فصل الجيش في حياة يهود بروج.

في الوقت ذاته، غادر يهود الكيبوتس أيضا. وفي خطوة غير مألوفة في الحركة الكيبوتسية آنذاك، اتخذت إدارة الكيبوتس قرارا بتحويل دراسة يهود، مقابل تعهده بالعودة بعد استكمالها. لكن يهود لم يكن مستعدا. كان يبحث عن الاستقلال التام في قراراته، ورأى في الحياة خارج الجيش والكيبوتس اختبارا جديدا.

في أيلول ١٩٦٥، بدأ فصل جديد في حياته. فقد سجل كطالب في الجامعة العبرية بالقدس.

وقبل بدء العام الدراسي اتصل به نائب قائد الوحدة، مناحيم ديجلي، وطلب مقابلته وقد اتفقا على الالتقاء على شاطئ الشيراتون بتل أبيب. لم يكن يهود يعلم السبب الحقيقي لهذا اللقاء. لكنه علم فيما بعد، بأن ابراهام ارنان، اتصل بديجلي، وطلب منه التأثير على يهود ليعدل عن قراره بشأن مغادرة الجيش والوحدة.

لم ينس ارنان، ولم يغفر لايهود موقفه بشأن اعتزال الجيش، فقد غضب غضبا شديدا، ورفض أي علاقة مع يهود بعد قراره. ورغم ذلك، كان يحرص على إرسال كل من يراه مناسبا في الوحدة، ليقتنعه بالعدول عن قراره. لقد كان يرى فيه صورة العسكري الحكيم الذكي، الذي يستطيع الوصول مع بضعة جنود إلى أي هدف، والذي يستطيع بدهائه إنجاز المهمة والعودة بنجاح.

بيد أن إيهود كان مصمما على موقفه، لم يكن وانتقا أن الجيش الإسرائيلي في تلك الأيام، سيبقى بؤرة تستقطب الشبان. لقد شعر بأن هذا هو الوقت المناسب لاتخاذ القرارات المهمة، مغادرة الكيبوتس والجيش والبدء بمهمة جديدة ومواجهة تحديات جديدة.

لم يكن قرار إيهود بشأن دراسة الرياضيات والفيزياء، سوى نوع آخر من التحدي، فقد استوضح قبل ذلك، طبيعة التخصصات التي تدرس في الجامعة العبرية وسأل عن أصعب تلك التخصصات فعلم أنها الرياضيات، والفيزياء.

ومثلما حدث في المرة الأولى، أراد إيهود أن يثبت قدراته مجددا. بدأ العام الدراسي في تشرين أول ١٩٦٥ لكن يصعب القول بأن إيهود التزم بنظام ودوام الجامعة. فقد تغيب عن أغلب المحاضرات واضطر للاكتفاء بكراسات وملخصات أعدها زملاؤه الطلبة، وعلى وجه الخصوص، "تهيلا ساديه"، التي خدمت بعد سنوات طويلة، عندما أصبح رئيسا لشعبة التخطيط في هيئة الأركان العامة، كضابطة في شعبة البحوث التنفيذية.

كان سبب غياب إيهود المتكرر عن المحاضرات، اضطراره للعمل في مكتب للتحريات الخاصة بالقدس، أسسه أحد قدامى الوحدة، بعد تسريحه ويدعى موشيه كوكلا. لم يكن ينوي أن يصبح محققا خاصا أو مفتشا، لكنه كان بحاجة إلى الراتب الذي يتقاضاه من مكتب التحقيقات، إضافة إلى المبالغ الصغيرة التي كان يتقاضاها عن عمله ككاتب في مكتب محلي للدعاية بالقدس.

وقد اضطر لسحب كل ما ادخره في فترة الخدمة الدائمة، لدفع أقساط التعليم. وكان يرفض طيلة هذه الفترة، التوجهات المتكررة من الكيبوتس، الذي اقترح دفع أقساط الدراسة، شريطة التزامه بالعودة إلى الكيبوتس بعد استكمالها.

غير أنه كان هناك سبب آخر، لغيابه المتكرر عن المحاضرات، وهو الخروج في عمليات ومهام ميدانية. كان هذا اتفاقا غير مكتوب، مع "دوف تماري"، قائد الوحدة، يقضي بتواجد إيهود في الوحدة عند الحاجة إليه.

في العام الدراسي الأول في الجامعة، سجلت له خمسة أشهر في الخدمة الاحتياطية، وقد اعتاد الجيش دفع مستحققاته كل ٦٠ يوما، على أنه جندي في الخدمة الدائمة، كان يدفع منها أجرة الشقة.

كانوا في الجامعة يدركون بأن إيهود يقسم وقته بين قاعات المحاضرات، وقاعدة الوحدة وقد حضر إلى الجامعة أكثر من مرة باللباس العسكري. في عام ١٩٦٨، عندما عاد إلى الجامعة، بعد مشاركته في عملية الكرامة، كان إيهود مصدر فخر واعتزاز لأسائنته.

لم يستحوذ نمط الحياة الصاخبة في الجامعة على اهتمام إيهود كانت تلك أيام الانقسام الكبير في حزب عمال إسرائيل. وقد سارع الكثير من الطلبة للانضمام إلى حزب (رافي) الجديد، الذي شكله (دافيد بين غوريون)، (موشيه ديان)، و(شمعون بيرس). تعرف إيهود إلى عدد من الطلبة النشطاء، في تلك الفترة بينهم (موتي شورير)، رئيس شعبة الطلبة في حزب (رافي)، (دافيد كولتيس)، (يجينيل جوتمان)، (إيفي برودوغو)، (حاييم بار اون) وغيرهم، لكن السياسة كانت ما تزال غريبة عليه.

لم يكن إيهود يتوجه إلى مطعم الجامعة (الكافيتيريا) إلا لتناول الطعام فقط، وفي الفترة الفاصلة بين المحاضرة والأخرى. كان يتسم برجاجة العقل والاعتزان، لدرجة أنه يبدو أكبر من معظم طلبة الجامعة بعامين أو ثلاثة، لم يتردد كثيرا على دور السينما، لكنه لم يكن يتنازل عن حضور الحفلات الموسيقية، لا سيما سماع الأوركسترا السمفونية للقدس، التي تباع تذاكر حفلاتها للطلبة بأسعار مخفضة.

كان (إيهود) يخرج في بعض الأحيان ليلا، للسير قليلا والتفكير بمستقبله بعد الدراسة، وكان يرى بأن أفضل المسارات، العمل كفيزيائي في معهد وايزمان.

وقبل اندلاع حرب حزيران عام ١٩٦٧، رفع إلى رتبة ملازم أول، تقديرا لتنفيذه الفريد لعملية ميدانية.

في أيار ١٩٦٧، وخلفا للتوقعات الأمنية والتقديرات السياسية، أغلق الرئيس المصري جمال عبد الناصر مضائق تيران، ودفع بقوات عسكرية كبيرة إلى شبه جزيرة سيناء. كان ذلك خرقا واضحا لاتفاق وقف النار الذي تم التوصل إليه في أعقاب الاعتداء الثلاثي عام ١٩٥٦.

لم ينتظر ايهود الأمر، وتوجه إلى القاعدة قبل أن يتم استدعاؤه. كانت تلك المرة الأولى في حياته، التي يكلف فيها بقيادة طاقم يضم قدامى دورية هيئة الأركان، وجميعهم جنود في الاحتياط.

أفردت هيئة الأركان العامة لدورية هيئة الأركان، مهام كوماندو مهمة - غارات جوية على المطارات المصرية في سيناء وكلف طاقم ايهود بمهاجمة المطار العسكري المصري في جبل ليبني في سيناء، وقصف الطائرات على مدرج المطار وفي مرابضها ويمكن القول، إن مهام دورية هيئة الأركان، نفذت بنجاح وتمكن سلاح الجو الإسرائيلي، بعد ثلاث ساعات من نشوب الحرب، من تصفية سلاح الجو المصري.

تقرر ضم طاقم ايهود بروج كوحدة استطلاع إلى فرقة رقم ٧ بقيادة اللواء (يسرائيل طل)، والتي عملت في القطاع الشمالي لسيناء وفي قطاع غزة. وقد وجدت القوة الرئيسية في دورية هيئة الأركان، نفسها في سباق مجنون مع الحرب. فقد كان يسبقها سلاح الجو أو سلاح المدرعات إلى كل مكان توشك على العمل فيه. وأخيرا، تم تكليف دورية هيئة الأركان، باحتلال منطقة شرم الشيخ، لكن سبقتها إلى هناك إحدى وحدات سلاح البحرية.

عبر ايهود سيناء مع فرقة المدرعات الذي يقودها (طل)، وقد شارك في معركة ليلية كبيرة ضد لواء مدرعات مصري.

وفي اليوم الخامس للحرب، كلفت قوة ايهود بمهمة أخرى في هضبة الجولان. وبعد أن أنهيت المهمة، اكتشف ايهود في إحدى القواعد السورية الكبيرة، وجود سيارة "مرسيدس" جديدة. استخدمها أحد الجنرالات في الجيش السوري، وقد قرر أخذها فكسر الباب وتمكن من النزول بها من الهضبة السورية

إلى كيبوتس (تل كتسير) الواقع على الشاطئ الجنوبي الشرقي لبحيرة طبريا ومن هناك إلى تل أبيب.

وفي ساعات الصيف المتأخرة، سافر 'بالمرسيدس' إلى (جفقايم) وأوقفها كهدية، بالقرب من منزل مناحيم ديجلي.

أنهى إيهود بامتياز امتحانات نهاية العام في الجامعة، والتي أُرغئت بسبب الحرب، وقد كان بمقدوره لوا أراد التقدم لرسالة الدكتوراه في علوم محددة. وفي إحدى الأيام قرأ بيانا على لوحة إعلانات الكلية. لقد تم قبوله مع طالبين آخرين للعمل في معهد وايزمان كمساعد باحث في مشروع معهد أوروبي لأبحاث جزيئات الذرة، كان يثق أنه يستطيع تقديم الكثير في هذا المجال، وأن يصبح بنفسه عالم ذرة، بيد أن الواقع كان مخيبا للأمل، فقد وجد الطلبة الثلاثة أنفسهم منشغلين بتسجيل عمل الباحثين وتحليل صور لجزيئات الذرة.

في ذلك الصيف، درس إيهود عن الذرة، أكثر مما درسه في الجامعة، خلال العامين الماضيين. واكتشف أن حدوث انطلاقة في البحوث أمر نادر. ونتاج سنوات حافلة بالعمل المكثف في المختبرات. وقليل من الإجازات مقابل الكثير من العمل المضني، لم يتواءم مع طابعه الإبداعي، ورغبته في الوصول بعيدا وسريعا في الوقت ذاته، وفي نهاية الإجازة الصيفية أدرك أنه لن يصبح عالما.

كان إيهود يحب أن يتنزه في إجازات نهاية الأسبوع، في القدس الشرقية والمناطق المحتلة. وقد اقترح عليه مناحيم ديجلي، وسامي نحيمياس، الانضمام اليهما واستغلال الفرصة التي لاحت في أعقاب حرب حزيران لشراء قطعة أرض في القدس الشرقية. كانت الفكرة فكرة ديجلي، وكان لسامي نحيمياس علاقات مع دائرة الأراضي. بيد أن إيهود اعلمهما بعدم موافقته، مبديا في الوقت ذاته استعدادا لشراء قطعة أرض في القدس الشرقية، شريطة أن تكون من أملاك الغائبين. لا ملكا خاصا لسكان عرب.

في إحدى النزعات، وصل إيهود مع ديجلي ونحمياس إلى حي أبو طور. وعلى إحدى التلال هناك وأمام منظر طبيعي ساحر للقدس الشرقية ومشارف صحراء (يهودا) -جنوب الضفة الغربية، قال إيهود: "أنا نعيش مرحلة تحول. مرحلة انتقال من دولة صغيرة إلى دولة كبيرة لا ادري كم سيستمر ذلك، لكنني أثق بأن المناطق ستكون أثبتة بودية مؤقتة إلى أن يسلم العرب بضرورة الاعتراف بنا وصنع السلام على أية حال، ستكون قصة الضفة الغربية الجولان وسيناء جزءا لا يتجزأ من حياتنا هنا، وإلى أمد غير معروف".

-ديجلي: "إيهود، وماذا ستفعل غدا، عندما يتقدم العمر بنا؟"

-إيهود: "أريد الوصول إلى موقع أستطيع من خلاله لعب دور مؤثر وفاعل في الحياة وفي المجتمع الذي أعيش فيه. موقع يؤهلني للعب دور مؤثر على صعيد المسيررات في الدولة، وربما في المنطقة"

وكما اعتاد دائما، استغل ديجلي الفرصة، للضغط على إيهود بشأن العودة إلى الوحدة. وللمرة الأولى منذ أن غادر دورية هيئة الأركان وتسرح من الجيش، لم يرفض إيهود الفكرة تماما. فالواقع في إسرائيل قد تغير. وما كان صحيحا قبل عامين، لم يعد كذلك بعد الحرب. وتوقعات الهدوء الأمني بالنسبة لإسرائيل لفترة طويلة، تلاشت. وقد بدأت على طول قناة السويس حوادث إطلاق النار الأولى بين الجيشين المصري والإسرائيلي. فرأى أن فكرة العودة إلى الجيش وتحقيق طموحاته من خلاله، لم تعد مستبعدة. وعليه، كان قراره النهائي بالعودة إلى دورية الأركان في العشرين من تشرين أول ١٩٦٧.

وفي صبيحة اليوم التالي، اتصل إيهود بديجلي وطلب منه اطلاع ابراهام ارنان على الأمر.

جرى اللقاء مع ارنان بعد بضعة أيام، ولم يكن ليخفي مظاهر فرحته بعودة إيهود لقد كان الأمر بالنسبة له، بمثابة انتصار. وها هو الابن المفقود قد عاد إلى منزله.

كان لايهود طلب واحد فقط: إنهاء الدراسة. وقد وافق أرنان على الفور. جند ايهود مجددا وحصل على إجازة دراسة مقابل توقيعهم على نظام الخدمة الدائمة. وكان لأرنان شرط وهو: استدعاء ايهود من الجامعة، وقت الحاجة إليه. أنهى ايهود عامه الدراسي الأخير في الجامعة في تموز ١٩٦٨، في ذلك الحين، التقى ثانياً بداني يقوم، الذي كان في عامه الدراسي الأول وتخصص في دراسة الفيزياء والرياضيات، وقد سلمه ايهود كل كراسات وملخصاته.

في أحد أيام عام ١٩٦٧ جلس ايهود في مكتبة الجامعة، وبدأ في حل معادلات في الرياضيات. كانت تجلس قبالتها، طالبة تدعى (نافا) كوهين. كان يعرفها منذ أن كان في الوحدة، وكانت هي رقيباً في الاستخبارات. كانت معرفة سطحية من الماضي البعيد وبعد تسريحها بدأت بدراسة الأدب الإنجليزي والأدب العربي في الجامعة. قرر ايهود تجديد التعاون بينهما، وكان له ما أراد، وشاعت الأقدار لهذه العلاقة أن تتوطد وتصل إلى حد طلب الزواج. وقد وافقت (نافا) بيد أنها طلبت إرجاء عقد القران إلى أن تنهي دراستها.

كانت أجمل السنوات في حياة ايهود فقد عاش فيها قصة حب خيالية. حدد حفل الزفاف في الخامس والعشرين من آذار ١٩٦٩، في فندق (جيناتون) أفخم فنادق طبريا آنذاك.

وبعد الزواج، قاما باستئجار شقة، وعاد ايهود إلى الجيش فيما وصلت (نافا) دراستها. وسرعان ما أدركت (نافا)، أن الزواج من عسكري في الخدمة الدائمة، وعلى وجه الخصوص من نائب قائد دورية هيئة الأركان يعني أياماً طويلة من الوحدة والترقب كانت تنتظره طيلة الأسبوع وفي بعض الأحيان، لم يكن يتمكن من العودة إلى منزله.

كان العام الأول لزواجهما، بمثابة أساس للسنوات القادمة، فقد كان ايهود يعود إلى البيت وقد أنهكه التعب، لا سيما وأن تلك الفترة، كانت حافلة بالعمليات الخاصة خارج الحدود. لم يحدثها عن تلك العمليات، كي لا يثير قلقها لكنه كان يشعر بضيقها وحزنها إزاء غيابها الطويل.

في عام ١٩٧١، ولدت ابنته البكر وقرر تسميتها (ميخال) كان آنذاك
قائدا للوحدة، وقد سعى جاهدا للعودة إلى المنزل في أوقات متقاربة.

الفصل السادس

ايهود قائداً لدورية الأركان

أصبح قرار الطالب الشاب العودة إلى الوحدة حديث الساعة في هيئة الأركان، وقد أثنى رئيس شعبة الاستخبارات، اللواء (أهارون ياريف)، على هذا القرار، بل وأعلم وزير الدفاع (موشيه ديان) ورئيس الأركان (اسحق رابين) بهذا القرار.

كان ديان، آنذاك، مشغولا بحرب الاستنزاف التي نشبت على قناة السويس مع المصريين، واعتبر عودة إيهود بمثابة إلماحة إيجابية للضباط الشبان الآخرين لاختيار العمل العسكري.

وقد اتفق إيلي زعيرا رئيس شعبة جمع المعلومات في شعبة الاستخبارات، مع إيهود على أن يتم تعيينه نائبا لقائد الوحدة، ويرفع بحيث يحتل المكانة الثالثة في قيادتها بعد (عوزي يائيري)، قائد الوحدة، و(مناحم ديجلي) الذي عاد هو الآخر قبل ذلك.

اعتقد إيهود أن تقدمه في الجيش يتطلب منه الانخراط في لواء المدرعات، ورغم ذلك، كان يضع نصب عينيه مهمة بعيدة المدى وهي العودة إلى وحدة هيئة الأركان هذه المرة كرئيس لها.

وكي يهدئ من مخاوف (إيلي زعيرا) و(عوزي يائيري) اللذين خشيا أن يفقدها بانضمامه إلى لواء المدرعات التي قد تستهويه، تعهد إيهود بالعودة إلى الوحدة. حتى لو حصل على عروض مغرية جدا من لواء المدرعات. بدا إيهود شديد التأثر من دورة المدرعات التي يخوضها، فقد خابت ليه قدرة المدرعات وهي تندفع في الهجوم، وخيل إليه، أنه لا يوجد هناك ما يستطيع وقف تقدمها.

كان (اسحق بن شوهم) قائد دورة المدرعات التي اجتازها إيهود، وهو ضابط محترف، أثار إعجاب إيهود إلى حد كبير جدا بمعرفته وخبرته الطويلة. بيد أن شوهم سقط في اليوم الأول لحرب عام ١٩٧٣، وهو يقود المدرعات في المعارك التي دارت في الجولان، إبان محاولته صد الهجمات السورية على مركز الهضبة، ببقايا مدرعات اللواء (١٨٨) التي بقيت لديه. أنهى إيهود دورة

المدرعات التي اجتازها بتفوق، بيد أنه غادر لواء المدرعات بشعور أنه لا زال بحاجة إلى معرفة المزيد، وقال لشيوخهم، وهو يغادره : ساعود إلى لواء المدرعات فيما بعد.

بعد ستة أشهر من حرب عام ١٩٦٧ أنهى رئيس الأركان (اسحق رابين) مهمته، وسرح من الجيش، وعين اللواء (حاييم بارليف) رئيساً للأركان بدلاً منه: بيد أن أعضاء وحدة هيئة الأركان، لم يكونوا مسرورين بهذا التعيين، فقد كان رابين يحظى بتأييد كبير جداً في أوساط الدورية. فيما كان بارليف في نظرهم، لا يهتم إلا بالمدرعات، ولا يعرف الكثير على صعيد عمليات الكوماندو. أضاف إلى ذلك أنه كان من الصعب جداً أخذ موافقته على القيام بعمليات خاصة.

كان العزاء الوحيد لأعضاء الوحدة، يتمثل في تعيين (ديفيد اليعازر) رئيساً لشعبة هيئة الأركان، والذي كان صديقاً شخصياً لأرنان، وفتح مخازن قيادة القطاع الشمالي أمام الوحدة. ومن الجدير بالذكر، أن غالبية العمليات العسكرية التي نفذتها وحدة هيئة الأركان، كانت في الشمال.

قرر ضباط وحدة هيئة الأركان، جس نبض رئيس الأركان الجديد، فقدموا إليه سلسلة من الاقتراحات للقيام بعمليات خاصة، كان بعضها خيالياً ومستحيل التنفيذ، فقط لإرغامه على دراستها والتعامل معها.

وإبان حرب الاستنزاف، بادر إيهود إلى طرح فكرة القيام بعملية خاصة. وقام رئيس الأركان بعقد اجتماع خاص حضره نائب رئيس الأركان بن اليعيزر، وقائد دورية هيئة الأركان مناحم ديجلي، وإيهود الذي قدم خطته.

فكر بار ليفي ملياً، ثم قال لإيهود: هل أنت واثق من أن بمقدورك عمل ذلك؟؟

*إيهود: إذا ما حصلنا على إذن بذلك فسوف ننفذ العملية، نحن ملتزمون بذلك.

*بارليف: يبدو أن إمكانية التنفيذ ضعيفة.

ألقي إيهود نظرة خاطفة نحو ديجلي، وتبادل الاثنان النظرات، ثم نظرا

باتجاه بن اليعيزر نظرة يائسة.

قدم بارليف إلى بن اليعيزر ورقة كتب عليها ملاحظة. فاستنتج إيهود، أنه يطلب مشورته، فابتسم بن اليعيزر وقال: أنا اعرف هؤلاء الزملاء، وإذا قالوا: انهم قادرون على التنفيذ فسوف يفعلون ذلك. فهز بارليف رأسه في إشارة إلى الموافقة على العملية، التي منحت اسم أحد كبار العسكريين في التاريخ. كان هناك اتفاق غير مكتوب بين إيهود وعوزي يائيري، قائد الوحدة، ينص على أن يقوم يائيري باستدعاء بروج، في حالة تولي الوحدة مهمة خاصة. وفي الحادي والعشرين من آذار ١٩٦٨ استدعاه.

-عملية الكرامة-

كانت إحدى الحافلات الإسرائيلية التي نقل طلاباً من منطقة تل أبيب قد اصطدمت بلغم في منطقة وادي عربة قبل ذلك بثلاثة أيام، مما حدا بإسرائيل للتفكير في ضرورة الرد عليها، وقد اختارت بلدة الكرامة الأردنية الواقعة في الشرق كهدف للرد، نظراً لتحويلها إلى قاعدة عسكرية أمامية لحركة فتح، وقد عين رئيس الأركان، العميد شموئيل جونا، قائداً للعملية في حين قاد العقيد رفائيل إيتان رئيس سلاح المظلات وحدات المظليين وسلاح المشاة المشاركة في العملية. أما دورية هيئة الأركان، فلم يتم تخصيص دور مركزي لها، بل تم إعلامها على أساس أنها وحدة من وحدات الطوارئ.

خصصت لدورية المظليين بقيادة النقيب (متان فلنائي)، مهمة إلقاء القبض على أبو عمار قائد حركة فتح، والذي كانت هناك تأكيدات على وجوده في البلدة. وقد وجهت وحدة المظليين انتقادات إلى تخطيط العملية الكلي. وقد أشار أحد صغار الضباط ويدعى (موكي تسور)، إلى أن العملية تحمل بذور الفشل، بيد أن أحداً لم يصغ إليه، ولم يصدق أن الجيش الأردني، الذي مني بهزيمة قبل تسعة أشهر فقط، والقلّة القليلة من مقاتلي فتح قادرون على تحدي الوحدات المدرعة والمظليين الإسرائيليين المهاجمين.

لقد كانت عملية الكرامة إحدى العمليات التي منيت بفشل ذريع في تاريخ الجيش الإسرائيلي. كانت التقديرات تشير إلى أن الجيش الأردني لن يتدخل في العمليات، إلا أن ما جرى عكس ذلك، فقد أمر الملك قواته المدرعة، والمدفعية بالتمركز فوق التلال المسيطرة على البلدة، وتوجيه نيرانها إلى المدرعات والدبابات الإسرائيلية المتجهة إليها وكانت الإصابات شديدة جدا.

وكان هذه الإصابات الشديدة لم تكن كافية، فقد تعرضت خطة إلقاء القبض على عرفات، إذ وصل فلناني وقوته إلى مكان الكمين متأخرين عن الموعد المحدد، بسبب الأحوال الجوية العاصفة، التي عرقلت مسيرة طائرات الهليكوبتر.

قامت طائرات الهليكوبتر بإلقاء منشورات تدعو الفدائيين للاستسلام، بيد أن مقاتلي فتح أدركوا ما يبيتته الجيش الإسرائيلي، وفروا من المكان بسرعة، وبينهم أبو عمار الذي فر على دراجة نارية وهو يرتدي ملابس امرأة.

لم يصدق مقاتلو دورية المظليين ما تراه أعينهم - وكان بين المقاتلين مقاتل شاب يدعى (بنيامين نتنياهو)، يعمل في وحدة (عميرام لافين) - فقد شاهدوا المدرعات الإسرائيلية وهي تشتعل بالنيران الواحدة اثر الأخرى. وكانت الوحدات المهاجمة تفيد في تقاريرها عبر أجهزة الإرسال، أن هناك إصابات كثيرة. وفي ساعات المساء اتضح أن هناك عددا كبيرا من المدرعات مصابة، وعددا من الجنود مفقودون.

طلب قائد الدورية السماح للقوة بدخول الكرامة لتخليص جنود المدرعات المصابة، وألقيت المهمة على إيهود، بيد أن رئيس الأركان، لم يصادق على العملية.

لقد استقى إيهود بروج، العديد من العبر من الفشل الذريع الذي منيت به عملية الكرامة، ومن ضمنها ما يتعلق بالاعتداد الكبير بالنفس، والجمود الفكري القائل انه لا يوجد في المنطقة من هو قادر على وقف اندفاع القوات الإسرائيلية

وقد عمد إلى إدراج هذه العبر، مع العبر التي استقاها من التخطيط الخاطئ للعملية في العمليات التي نفذها فيما بعد.

وفي الوقت الذي كان فيه إيهود عاكفا على إنهاء دراسته الجامعية، انفتحت صفحة جديدة على صعيد (الإرهاب). ففي الثالث والعشرين من تموز ١٩٦٨، اختطفت طائرة العال إبان توجهها من روما إلى تل أبيب. إذ قام خمسة مسلحين باقتحام (كابينة) الطيار، وأصابوا الطيار الأول (معوزبورات) بجراح وأرغموا ربان الطائرة عوديد ابرينيل)، على تغيير مسار الطائرة وبعد حوالي ساعتين حطت في الجزائر.

لم تكن إسرائيل على استعداد لمواجهة الإرهاب الجوي، وقد تمكن المسلحون من تحديد نقطة الضعف الإسرائيلية: طائرات العال التي تعتبر بمثابة الصلة الجوية بين إسرائيل والعالم.

وفي السادس والعشرين من كانون الأول ١٩٦٨، هوجمت طائرة العال في مطار أثينا مما أدى إلى مقتل مسافر، وإصابة مضيضة بجراح، وقد انطلق المهاجمون من مطار بيروت. مما حدا برئيسة الوزراء غولدا مائير للمصادقة على القيام بعملية انتقامية تتمثل في تدمير طائرات شركة الطيران اللبنانية في مطار بيروت، وقالت: إذا كانت طائرات العال ستجد صعوبة في الطيران، يجب أيضا أن تواجه شركات الطيران العربية نفس الأزمة.

كلف العميد رفائيل إيتان قائد سلاح المظليين والمشاة بقيادة العملية. وقد جعل رفائيل قوة المظليين القوة الرئيسية، كما حصلت دورية هيئة الأركان على مهمتين لتنفيذها في مطار بيروت، وكلف عوزي يائيري، ومناحم ديجلي بقيادة الدورية.

جرى تنفيذ العملية وفقا لما خطط له، فوصلت القوات في الثامن والعشرين من كانون الأول في طائرات هليكوبتر إلى المطار، وسيطرت عليه، وفجرت الأربع عشرة طائرة، التي كانت جاثمة على مدارجه، بعد أن تأكد الجنود

أنها جميعا تعود لشركات طيران عربية. وقد اتضح فيما بعد أن إحدى الطائرات تعود للشركة الغانية. وعادت القوة إلى إسرائيل دون أي إصابات.

وفي صبيحة اليوم التالي فتح إيهود الراديو وسمع النبا لأول مرة، ف شعر بالغضب يغلي في عروقه أكثر من أي مرة في حياته.

وبعد عدة ساعات، كان يقف في مكتب قائد الدورية، ووجه إليه كلمات شديدة للغاية على خيانتته للنقة، لعدم استدعائه للمشاركة في المهمة. وقد أوضح له يائيري أن المهمة التي تولتها الدورية، كانت محدودة للغاية، ولم يكن لديه مكان لضابط آخر. بيد أن إيهود لم يقتنع وقاطع يائيري لسنة كاملة.

بعد ستة أشهر من العملية، أنهى إيهود دراسته، وعاد إلى الوحدة نائبا للقائد.

كانت حرب الاستنزاف في أوجها، وكان المصريون يشنون هجمات يومية على طول قناة السويس، ويحرزون انتصارات، بل وتمكنوا من أسر جنود إسرائيليين.

قررت القيادة إرسال دورية هيئة الأركان للعمل على الجانب الغربي من القناة، وأوكلت المهمة إلى إيهود بروج، والمتمثلة في العمل على اختطاف ضباط وجنود مصريين، بغية إرغام المصريين على تبادل الأسرى.

اجتاز أعضاء الوحدة القناة إلى الجانب الغربي في قوارب مطاطية، ونصبوا كمينا. وفجأة أخذت سيارة عسكرية مصرية تقترب منه ببطء وقد قتل سائقها من صلية النيران الأول، بيد أن السيارة واصلت تقدمها بحكم الاندفاع لثلاثين مترا، وتمكن جندي آخر كان بجوار السائق من القفز إلى إحدى القنوات والإفلات. وهكذا عادت القوة إلى الضفة الشرقية وهي تحمل شعورا ثقيلًا بالفشل.

وقد أدى هذا الفشل إلى قيام العميد (رفائيل إيتان)، بتوجيه انتقادات شديدة إلى العملية، والمطالبة بإكمال جميع عمليات الكوماندو إليه، بوصفه قائدا للمظليين وسلاح المشاة. وقال أن القوة أخطأت بإطلاق النار على مستوى مرتفع، بدلا من إطلاقها على مستوى منخفض، إضافة إلى استخدامها لعيارات نارية احتراقية.

استقى اليهود العبر من العملية الفاشلة فجاءت نتائج العمليات اللاحقة أفضل بكثير. ومن الجدير بالذكر أن يهود حارب على جبهة القناة في تلك المرحلة من مراحل حرب الاستنزاف، أكثر من أي ضابط إسرائيلي آخر. في نهاية عام ١٩٦٩، ترك يائيري دورية هيئة الأركان، وتم تعيين ديجلي قائدا لها، ورفع يهود إلى رتبة رائد.

كان رئيس الأركان (حاييم بارليف) يتابع عمليات يهود بنفسه، وقد اجتمع به في تل أبيب، وأثنى عليه للنجاحات التي أحرزها في العمليات التي لا زالت سرية، ولم يمت عنها اللثام حتى يومنا هذا.

في أعقاب تعيين ديجلي قائدا للدورية، طلب يهود تحويله إلى لواء المدرعات. فرغم التجربة القتالية العالية التي أحرزها إبان عمله فيها، إلا أنه كان يعتقد أن مستقبله العسكري في المدرعات.

لقد بدأ منذ اللحظة الأولى التي قرر فيها البقاء في الجيش، يفكر فيما هو أبعد من قيادة وحدة الأركان، وادرك أن المستقبل يكمن في قيادة المعارك التي تشارك فيها المدرعات، والتي تعتبر الطريق الضرورية للترتب الأعلى.

اجتاز يهود تدريبات المدرعات في قاعدة (جولس) القريبة من عسقلان، وتحت إشراف (آفي فرحان) - الذي أصبح فيما بعد أحد نشطاء اليمين-، واستحوذت المدرعات على كل أحاسيسه، إلى الدرجة التي كان يستوعب فيها جميع التدريبات بسرعة كبيرة جدا، وأصغى للتدريبات الفنية الخاصة لعمل الجهاز (الهيدرولي) للمدركة، وسرعة دوران المحرك، وزمن حشو القنابل في المدافع والسبب الذي يجعل القنابل الافتراضية للدبابة تتحرف درجة معينة أثناء الإطلاق إلى اليسار. وحرص يهود على عدم الكشف عن رتبته الرفيعة مقارنة بالمندربين من جنود المدفعية، وكان يتناول طعامه معهم، وينظف المدرعات كل ليلة خميس قبل استعراض القائد لها، وقبل العودة إلى البيت.

وفي أعقاب الانتهاء من الدورة المهنية، انتقل إيهود إلى دورة ضباط دبابات ١٠ وبعد أسابيع مرهقة وطويلة من التدريب القاسي مع جنود لا تزيد أعمارهم عن ١٩ - ٢٠ سنة، تعلم إيهود كيفية الإشراف على المدرعات. انتهت دورة التدريبات بعد ستة أشهر، ثم توجه إيهود في نهايتها إلى سيناء، وهناك تسلم قيادة فصيل دبابات، في اللواء (٤٠١) واتجه بقوته إلى قناة السويس. كانت تلك الأيام هي أواخر أيام حرب الاستنزاف، والتي لجأ فيها المصريون إلى استخدام سلاح قاتل جدار، وهو صواريخ ساغر المضادة للدبابات. كان فصيله يستهل العمل يوميا بفتح محور الطريق في القاطع الأوسط من القناة. وحينما انتهت حرب الاستنزاف، كان إيهود لا يزال يحافظ على كامل تركيبة قوته، دون أن يصاب أي من جنوده أو يقتل في المعارك. انتقلت قوة إيهود إلى منطقة (بير تماده)، وتلقت أول فوج من متدربي المدرعات، وبعد انتهاء التدريبات التي أجراها لمدة ثلاثة أشهر، عاد بقوته إلى القناة من جديد، وواصل العمل بقوته هناك، حتى آذار ١٩٧١ - أي قبل فترة وجيزة من تعيينه قائدا لدورية هيئة الأركان.

قبل عدة أشهر من التعيين، وفي أوج معارك حرب الاستنزاف، فوجئ إيهود بطلب مقدم من بعض ضباط الدورية للانتقاء به. وقد أعرب الضباط عن تذمرهم من قيادة (ديجلي)، وقالوا انه متردد في اتخاذ القرارات، وليس محترفا، وأشاروا إلى انهم يعتزمون التوجه إلى رئيس هيئة الأركان لاستبداله بإيهود. جاء رد إيهود قاطعا، لقد كان على علاقة وطيدة بديجلي، ويكن له احتراماً عميقاً، ورغم إخلاص إيهود لضباط الدورية، إلا أنه وبخهم وطلب منهم أن لا يفعلوا ذلك أبداً، وأكد لهم أن ما يعتزمون عمله سيمس باسم الدورية ومكانتها الخاصة في الجيش، وبذل كل ما في وسعه لتهئية الأوضاع. وقد أصغى إليه الضباط ورغم عدم موافقتهم له في الرأي إلا انهم وافقوا على وقف المبادرة.

ايهود قائدا لدورية هيئة الأركان

وفي الأول من نيسان ١٩٧١، عين ايهود قائدا لدورية هيئة الأركان. وفي طريقه إلى مبنى القيادة، كان ايهود يحمل في جعبته خطة متكاملة لإجراء تغييرات جذرية في تركيبة الدورية، التي كانت تخضع مباشرة لشعبة الاستخبارات العسكرية، والتي اكتسبت شهرتها جراء العمليات الجريئة التي كانت تخوضها.

كان عمل الدورية في تلك الأونة، يقتصر بعد حرب الاستنزاف على عمليات مطاردة المسلحين. وفي غضون الأشهر الأولى لرئاسته أم مكتب رئيس الأركان مرات عديدة كي يطرح عليه المخططات الجديدة لعمل الدورية إبان فترات الحرب، وفترات الراحة.

لم تخف هذه التحركات عن عين (رفائيل ايتان) قائد المشاة والمظليين، والذي كان يطالب بان توكل إليه جميع عمليات الكوماندو. وفي محاولته لإبعاد ايهود من شعبة عمليات هيئة الأركان، اقترح ايتان إشراك مقاتلي الدورية في جميع العمليات الكبيرة، شريطة ترك المسؤولية عن العمليات في أيدي المظليين. بيد أن ايهود قال: أن دوريته قادرة على تنفيذ أي عملية كوماندو على أفضل وجه، وفي إطار زمني اقصر من أي وحدة أخرى.

لقد حدث أول صدام بين الاثنين قبل ذلك بكثير - في تموز ١٩٦٩، إبان الاستعدادات للهجوم على جزيرة (كريت) الواقعة على المداخل الجنوبية لقناة السويس، والتي شاركت فيها قوة من الدورية بقيادة ديجلي، وقوة من الكوماندو البحري. فقد نشب جدل بين العميد (رفائيل ايتان)، والنقيب ايهود، حول التخطيط للعملية، وقال ايتان مستهزئا: من هو هذا النقيب الذي جاء ليعلمنا كيف نعد لعملية؟؟ كان ايهود يدرك، أن ايتان شكوكي بطبيعته، وأن الأسلوب الوحيد لإقناعه يتمثل في العمل على أرض الواقع، والتنفيذ بصورة كاملة ومتميزة. لذا أخذ يصر على إشراك جنود الدورية في المهام التنفيذية.

كانت هناك مشكلة ناجمة عن حرب الاستنزاف تقض مضاجع إسرائيل، وتتمثل في وجود عدد من الجنود والطيارين في الأسر المصري والسوري. واتضح من المعلومات التي وصلت إلى إسرائيل إن الطيارين يواجهون تكيلا فظيما في السجون.

أخذ إيهود يفكر في الحلول الممكنة لهذه المشكلة وقد وضعت الدورية خطة لمهاجمة المعتقل المصري الذي يتواجدون فيه في مصر، والعمل على تحريرهم بالقوة، ورغم أن الخطة بدت خيالية، إلا أن إيهود اعتقد أن بالإمكان القيام بها، بيد أن رئيس الأركان، لم يصادق عليها.

وكان الاهتمام منصبا بصورة أساسية على مصير طياري طائرتي الفانتوم اللذين اسقطا في سورية بعد أن اسقطا طائرتين سورييتين من طراز (ميج ٢١) - وأفادت الأنباء أنهما يتعرضان لعمليات تعذيب وحشية. لقد عمل أحد الطيارين - (بني نحمان) قبل نقله إلى طائرات الفانتوم، قائدا لطيارة عمودية. وكان ينقل إيهود وأعضاء الدورية في عملياتهم، لذا كانت عملية إطلاق سراحه، بمثابة واجب شخصي ملقى على عاتق الدورية. وقد ذهبت جميع المحاولات التي بذلت مع السوريين، لإطلاق سراحه، أدراج الرياح، لذا قرر الجيش العمل على أسر ضباط سوريين لإرغام سورية على استبدالهما.

- حرب الأيام الثلاثة -

وقد وقعت أول محاولة بهذا الصدد في الرابع والعشرين من حزيران ١٩٧٠، في إطار ما سمي 'حرب الأيام الثلاثة' كان هدف الجيش الإسرائيلي أسر أكبر عدد من الجنود والضباط السوريين، خلال هذه المعارك التي دارت في هضبة الجولان، والتي فقد فيها الجيش الإسرائيلي اثني عشر جنديا، في حين قتل ثلاثمائة وخمسون جنديا سوريا، وأسر سبعة وثلاثون جنديا وضابطا.

انضم إلى الطيارين المذكورين، الطيار الإسرائيلي (بوعز ايتان)، طيار طائرة (ميراج)، والذي أصيبت طائرته، وأصيب هو، ووقع في أسر السوريين.

بيد أن السوريين لم يبدوا اهتماما بسقوط أسراهم. وأفاد ممثلو الصليب الأحمر، الذين زاروا الأسرى الإسرائيليين الثلاثة: إن وضعهم النفسي والجسماني في حالة تدهور مستمرة.

بعد فترة قصيرة من توليه قيادة الدورية، اقترح ايهود خطة جريئة على هيئة الأركان، تنص على قيام الدورية بعملية جريئة، يتم خلالها أسر عدد من ضباط هيئة الأركان السورية، معربا عن اعتقاده بأن هذا هو الأسلوب الوحيد لكسر رفض الرئيس السوري.

وقد فوجئ ايهود حينما تمت المصادقة على الخطة التي اقترحها، لقد كانت الخطة جريئة إلى الدرجة التي جعلته يعتقد أن هيئة الأركان لن توافق عليها. بدأت الدورية التدريب على العملية، وكانت هناك حاجة إلى هامش زمني لعدة أشهر، من أجل رفع كفاءة الدورية إلى مستوى تنفيذ العملية.

أقام ايهود علاقة وقناة اتصال مع (منو شيكد) رئيس شعبة العمليات في هيئة الأركان، والذي سرعان ما أصبح صديقه وقد طالب ايهود بأن توكل العمليات إلى دورية هيئة الأركان، وليس لرفائيل ايتان. وفي إحدى ليالي كانون الأول ١٩٧١ تلقت الدورية إنفا للقيام بعملية خاصة في عمق أراضي "العدو". ولم يكن ايهود على استعداد لإرجاء العملية.

اجتمع في غرفة العمليات الأمامية قائد القطاع الشمالي مردخاي جور، ومنوشيك، وضابط استخبارات، إضافة إلى قائد وحدة إنقاذ، تحسبا لأي طارئ قد يحدث ويستلزم القيام بعملية تخليص. انتهى أعضاء الوحدة من تحميل التجهيزات، الملابس الخاصة، والبلطات، ومعدات التسلق للجبال، وأحذية خاصة للسير في الثلج والتي تم شراؤها لتنفيذ لأوامر ايهود من سويسرا- بيد أن مردخاي جو- نظرا إليهم، وطلب تأخير الانطلاق لعدة دقائق.

-مردخاي : ايهود، هل أنت واثق حقا من أن ما ستقوم به هو عمل مسئول؟؟
-ايهود : هذه الليلة مناسبة لتنفيذ عملية من هذا القبيل. لقد تدريبنا عدة أسابيع، ولا يتوقعنا أحد.

اختفت القوة في الضباب، وفي ساعات الفجر الأولى هبت عاصفة
ثلجية، وتقلصت الرؤية لعدة أمتار. فقامت غرفة العمليات بإرسال قوة الإنقاذ
لاستقبال القوة لدى عودتها، بعد أن تم ربط جنودها بخيط نايلون طويل وقوي.
وعندما عادت قوة أيهود رشقهم مردخاي بنظرة خبيثة. وبعد سنوات تحدث أيهود
عن تلك الليلة، فقال: كانت تلك الليلة في هضبة الجولان اختبار قدرات،
ومسؤولية، وإظهار لطابع الوحدة، وقد أثبتنا أننا مجموعة جديدة لا تخشى المهام
حتى لو بدت تلك المهام مخيفة ومستحيلة. وفي أعقاب تلك الليلة تولدت لدينا ثقة
بالنفس، بأننا قادرون على تنفيذ أي مهمة.

الفصل السابع

عملية سابينا

- وجها لوجه مع مختطفي الطائرة البلجيكية -

دق جرس الهاتف في منزل ايهود في الثامن من ايار ١٩٧٢، وكان على الطرف الآخر من الخط، ضابط من هيئة الأركان: يريدونك بصورة عاجلة. وفي قيادة هيئة الأركان، قال له العميد (منو): لقد اختطفوا طائرة تابعة لشركة (سابينا) البلجيكية والتي كانت في طريقها من بروكسل إلى تل أبيب. ويعتزم المختطفون إنزال الطائرة في مطار اللد، ويريد رئيس الأركان أن تتوجه إلى المطار فوراً.

وكانت الدراما قد بدأت قبل ذلك بساعة في الجو، عندما كانت طائرة (بوينج) التابعة لشركة سابينا تحلق على ارتفاع سبعة وثلاثين ألف قدم وهي تحمل على متنها تسعة وتسعين مسافراً، منهم سبعة وستون يهودياً، قسم منهم سياح، وعندما حلقت الطائرة فوق يوغسلافيا، اقتحم غرفة الطيار (ريجنالد ليفي)، وهو ابن لأم مسيحية وأب يهودي - شاب يرتدي باروكة شعر مستعارة، وصوب مسدساً إلى رأس الربان، وقال له: "الطائرة مخطوفة، ومنذ هذه اللحظة أنا قائد الطائرة، وعليكم أن تصغوا إلى أوامري، وتنفذوا ما أقول بالضبط. وإذا ما حاولت ممارسة أي الأعباء، فلن تخرجوا أحياء من الطائرة".

انصاع الطيار للأمر، وأعلم برج المراقبة في بلغراد بالأمر، وفي غضون ثوان معدودة، نقل النبا إلى أبراج المراقبة على خط الطائرة، مما حدا بإسرائيل لاتخاذ حالة التأهب.

كان وزير الدفاع موشيه ديان، آنذاك في شرم الشيخ، ويعتزم الطيران لحضور جلسة الحكومة في القدس، وعندما أعلمه رئيس الأركان بالأمر، قال ديان: "أنا متوجه إلى مطار اللد"

سارعت هيئة الأركان، إلى تشغيل خطة (ايزنغوف) وهي خطة محفوظة لمواجهة حالة اختطاف طائرة، لم يكن قد تم التدريب عليها بعد. وتدفقت إلى المطار قوات عسكرية وشرطة وعشرات السيارات (الإسعاف، والمطافي). كان ايهود أيضاً، في طريقه إلى المطار للتشاور مع رئيس الأركان، وقائد القطاع الأوسط (رحبعام زئيفي). وقبل أن ينطلق في طريقه، أعلم ايهود

طواقم الطوارئ في الدورية أن تتجه نحو المطار. كانت الدورية قد اتخذت الاستعدادات اللازمة منذ خطف طائرة العال إلى الجزائر عام ١٩٦٨، لمواجهة احتمال أن تضطر في أحد الأيام إلى مواجهة عملية اختطاف طائرة.

كان علي طه أبو سنية -المختطف- ينتمي إلى "جماعة أيلول" وهو رجل ذو خبرة في مجال اختطاف الطائرات المدنية. ففي عام ١٩٦٨ اشرف على عملية اختطاف طائرة العال إلى الجزائر، وفي شباط ١٩٧٢ اختطف طائرة تابعة لشركة الطيران الألمانية لوفتهانزا. وكان برفقته (عبد العزيز الأطرش) - من إحدى قرى الخليل. و(ريما عيسى طنوس) - وهي عربية مسيحية من مواليد بيت لحم، و(تيريز استر هلسه) - وهي أيضا عربية مسيحية من مواليد قرية (الرامي) في الجليل. وقد نهض الخاطفون الثلاثة بناء على إشارة محددة واحتلوا أماكن معينة في الطائرة.

وتنفيذا لأمر الخاطف، قام الربان بإعلام المسافرين بالاختطاف. كان الربان يعتقد أن الطائرة ستهبط في إحدى العواصم العربية، وقد تكون طرابلس، بيد أن الخاطف قال له: نحن نتجه إلى تل أبيب.

في غضون ساعة تجمهرت في مطار اللد كل قيادة الجهاز الأمني الإسرائيلي: وزير الدفاع (موشيه ديان)، رئيس الأركان (ديفيد بن يعزر)، نائبه اللواء (يسرائيل طيل)، قائد القطاع الأوسط (رجب عام زئيفي)، اللواء (ارئيل شارون)، قائد سلاح الجو اللواء (مردخاي هود)، رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية اللواء (اهارون ياريف). وقد اقترح قائد سلاح الجو أن يتم اعتراض الطائرة وإنزالها في إحدى قواعد سلاح الجو، بيد أن ديان عارض، خشية أن يفجر الخاطفون الطائرة في الجو إذا ما حاولت طائرات سلاح الجو اعتراضها، وهكذا لم يبق من خيار سوى القيام بعملية تخليص على الأرض.

استدعى ديان ورئيس الأركان قائد دورية هيئة الأركان. وعندما وصل إيهود كانت الطائرة قد هبطت ووقفت في نهاية المدرج، دون أن تطفئ محركاتها. وكانت أولى المشاكل التي ينبغي حلها تتمثل في الحيلولة دون إقلاعها من جديد.

وبمصادقة ديان، ورئيس الأركان، توجه ايهود ومعه فنيان من شركة العال، ومقاتلان نحو الطائرة، لفصل جهاز القيادة والهيدروليكية الخاصة بالهبوط. وقد تمكن ايهود من الوصول إلى الطائرة من الخلف.

كانت المحركات لا تزال عاملة، وقد وقف في باب الطائرة، أحد الخاطفين، بيد أن القوة تسببت تحت الطائرة وتوجهت نحو العجلة الأمامية، وتمكن ايهود، ومعه أحد الفنيين من إخراج (خرطوم) التوجيه، وإعطاب كوابح الطائرة.

وعندما عادت المجموعة إلى برج المراقبة، اتضح من تحليل المهندسين، أن الطائرة لا زالت قادرة على الإقلاع، وأن هناك ضرورة للعودة إليها. وهكذا عاد ايهود والفنيون مرة أخرى إلى الطائرة، بيد أنهم هذه المرة عملوا على إفراغ العجلات من الهواء، وأفرغوا الزيت من الأجهزة.

قال ايهود لوزير الدفاع رئيس الأركان أن بالإمكان اقتحام الطائرة وتحرير الرهائن، بيد أنه اقترح إرجاء هذه العملية إلى ساعة متأخرة من الليل، على أن يجري إرهاب الخاطفين حتى ذلك الحين بالمفاوضات. وافق ديان واليعيزر على العملية، وطلبوا من ايهود الشروع باتخاذ الاستعدادات اللازمة للتنفيذ.

اقترح قائد وحدة حماية الطائرات في شركة العال وهي وحدة تابعة لجهاز الأمن العام- أن يقوم جنود وحدته بتنفيذ العملية بدعوى أنهم أكفاء لتنفيذ هذه المهمة. عارض ايهود هذا الطرح، بيد أنه اقترح أن ينضم جنود الوحدة، وهم جميعاً جنود احتياط في دورية هيئة الأركان إلى العملية.

فكر ايهود في هذه اللحظات في مردخاي رحيم، رئيس طاقم حماية في جهاز الأمن العام، ومقاتل في الدورية، وهو يعرفه منذ سنوات طويلة. ففي شباط ١٩٦٩، كان رحيم ضابط أمن في طائرة العال، التي كانت على وشك الإقلاع من مطار (كلوتن) السويسري، حينما قام مسلحون بمهاجمتها، بيد أن رحيم تمكن

من قتل أحدهم والسيطرة على آخر وقد اعتقلته السلطات السويسرية وسجنته ثم عاد إلى إسرائيل كبطل.

كان إيهود يدرك أن نجاح مهمة من هذا القبيل يرتبط ارتباطاً جدياً بطابع الطاقم الذي سيتم اختياره لها. بيد أنه كان يواجه مشكلة في توفير هذا الطاقم. فقد كان قسم من طواقم الدورية في دورات تدريبية، وعدد من الضباط لم يكن ليبقى في القاعدة، ولم يكن لديه هاتف عاجل يمكنه العثور عليهم من خلاله واستدعائهم طلب إيهود من الدورية أن ترسل إليه كل من يمكن العثور عليه. وحينما وصلوا أخذهم إيهود للتدريب على طائرة من طراز بوينج (٧٠٧) شبيهة للطائرة المخطوفة.

أصر رئيس الأركان، على أن يستعد إيهود لاقتحام الطائرة في نفس الليلة. فقد كان هو وديان يخشيان أن يلحق الخاطفون الأذى بالرهائن عندما يكتشفون التخريب الذي أحدثه إيهود بها.

أبقى إيهود في المنطقة قوة مراقبة وقصص، كي يتمكن من الرد بسرعة إذا حدثت عملية إطلاق نار داخل الطائرة، وبعث بباقي القوة للتدريب. أمر إيهود نائبه، (دالي يتوم)، بأن يأخذ جنود الدورية الذين قدموا، ويدربهم على اقتحام الطائرة عبر غرفة الطيار والأبواب. وفكر إيهود وياتوم في إمكانية، أن يستخدم الجنود (سلم الحرامية) للوصول إلى أبواب الطائرة - أي أن يرفع كل اثنين ثالثاً على كتفهما، ثم إحضار سلال المنيوم بعد ذلك.

بدأت الاتصالات مع الطائرة بعد عدة دقائق من هبوطها، فقد طالب أبو سنيّة - قائد العملية - أن يتم إطلاق سراح ٣١٥ معتقلاً فلسطينياً في السجون الإسرائيلية - مهدد بتفجير الطائرة ومسافريها، إذا لم يستجيبوا له.

أجرى وزير الدفاع المفاوضات مع الخاطفين بوساطة فيكتور كوهين - أحد كبار رجال جهاز الأمن العام - والذي جند كل تجربته وخبرته في إطار ذلك.

وكان كوهين يقول في كل مرة أنه بحاجة إلى وقت لنقل المطالب إلى صانعي القرار، وقد طلب منه ديان أن يعمل على إطالة زمن المفاوضات قدر

الإمكان، من أجل إرهاب الخاطفين، وقد هدد أبو سنيينة المرة تلو الأخرى، بأن يأمر الطيار بالإقلاع، ويفجر الطائرة فوق تل أبيب.

كان ديان يدرك استحالة إقلاع الطائرة، وأن ربان الطائرة سرعان ما سيدرك ذلك عندما يشغل الساعات. لذا طلب من إيهود أن يتأكد من وجود قوة خلف الطائرة على استعداد للعمل السريع.

كان إيهود في تلك الأونة مع القوات المتدربة، وقد احضر الجنود، ونظمهم في مجموعتين، تحمل كل منها سلام المنيوم كانت الخطوة مباشرة وجريئة: إذا ما أعطيت الأوامر، أو إذا ما أطلقت عيارات نارية داخل الطائرة، يتجه الجنود ركضاً، ويصعدون بالسلام إلى جناحي الطائرة، ثم يقتحمونها عبر بابي الطوارئ القائمين في الأجنحة، وتتوزع القوة يمينا ويسارا مع محاولة إصابة الخاطفين في أسرع وقت ممكن. مع الأخذ بعين الاعتبار، عدم توفر معلومات حول مكان وجودهم في الطائرة.

طلب ديان من كوهين أن يحاول من خلال الحوار مع قائد الخاطفين، أن يبنى له صورة مبدئية، فقال انه يعتقد أن قائد المجموعة الخاطفة هو حضري من منطقة القدس الشرقية. وأنه شخص متقف، وليس قاتلاً أو مجرماً يعمل لأسباب تتعلق بالمال، بل لأسباب أيديولوجية.

وقد طلب منه ديان، أن يحاول تحديد لحظة بداية انهيار قائد الخاطفين، وقد شعر كوهين بأنه مرهق جداً، بيد أن اللحظة لم تكن لحظة العمل.

قبل ساعة من انبلاج الفجر، رغب ديان في التوجه إلى مكان يستطيع أن يراقب منه الوضع بنفسه. وطلب أن نذهب به إلى مكان وجود إيهود، فقدناه إلى هناك وبصحبه سكرتيره العسكري ارييه بارأون.

وعلى بعد مائة متر خلف الطائرة، وبينما أمامهما طابوران من الجنود المنبطحين على الأرض على اهبة الاستعداد، فحص وزير الدفاع وقائد الدورية إيهود، فيما إذا كان الوضع واللحظة مناسبين لاقتحام الطائرة.

كان إيهود يرغب في الاقتحام، بيد أن ديان تردد قليلاً، ثم قال: دعهم ينضجون أكثر. فقال إيهود: "سيكون الاقتحام في ضوء النهار أصعب، ولن نستطيع الاقتراب من الطائرة بصورة فجائية.

وفي إطار محاولته لكسب الوقت طلب ديان من كوهين أن يوافق على إطلاق سراح المعتقلين الموجودين في القائمة، وقال له أن يشير إلى أن الأمر يحتاج إلى وقت طويل حتى يتم إحضارهم إلى المطار.

أصر أبو سنية على إطلاق سراح جميع الأسماء الموجودة في القائمة في غضون ساعتين وإلا فإنه سيفجر الطائرة، فتدخل رئيس شعبة الاستخبارات، وقال أن ذلك مستحيل ويحتاج إلى وقت أطول، بيد أن أبو سنية أخذ ييدي نوعاً من العصبية، وقال: لقد شغلت ساعة التوقيت، وإذا لم يتم إطلاق سراحهم في غضون ساعتين، ستفجر الطائرة بمن فيها.

لجأ كوهين -الذي اكتسب خبرة طويلة في مجال التحقيق مع (المخربين) -إلى استخدام أسلوب نفسي، فقال لأبو سنية، أنا أشمئز من العسكريين، فهم لا يعرفون غير أسلوب القوة، لقد اتصلت بموشيه ديان فوافق على مطلبكم الخاص بتدخل الصليب الأحمر في المفاوضات، وفي عملية إطلاق سراح المعتقلين، واتفقت معه على تقديم الماء والطعام لكم وللمسافرين في الطائرة وقلت له: أنكم أناس جادون وثوريون، وكلمتكم هي كلمة رجال.

وخلال البحث والتمحيص للوضع بين وزير الدفاع وقائد القطاع الأوسط طرحت فكرة أن يتخفى جنود الدورية في صورة فنيين وأن يقتربوا من الطائرة تحت حجة إعدادها للإقلاع فتبنى إيهود الفكرة فوراً. فالفنيون يستطيعون الاقتراب دون أن يثيروا الكثير من الاهتمام، وبالتالي سيصبحون قريبين من الطائرة وتصبح إمكانية اقتحامها أسرع فأمر فوراً بإحضار ملابس فنيين بيضاء ومعدات عمل وأجهزة كالتى يستخدمها الفنيون في عملهم، وفي غضون ساعة كان جميع جنود الدورية يرتدون ملابس الفنيين البيضاء، وجميع معدات العمل جاهزة. وقرر إيهود أن يستخدم الجنود المسدسات فقط، نظراً لاستحالة إخفاء البنادق في

ملابس العمل. ومن الجدير بالذكر أن جنود شعبة الحراسة في طائرات العمال كانوا أكفأ من باقي الجنود في استخدام المسدسات. لذا تم وضعهم على رأس طاقم الاقتحام.

تكون طاقم الاقتحام من ستة ضباط وأربعة من جنود الاحتياط العاملين كحراس، وستة جنود.

وفي نفس الوقت كان الجنود الباقون يتدربون على عملية الاقتحام، وبدأ أن العملية ستتم بسرعة. ولم يبق سوى مشككة واحدة، وهي معرفة مكان تواجد الخاطفين في لحظة الاقتحام.

ازداد التوتر داخل الطائرة، وبدأت (تريز هلسة)، التي كانت تمسك العبوات تهدد المسافرين بتفجير الطائرة، في حين أمر أبو سنيينة ربان الطائرة بالاستعداد للإقلاع فقال له الربان إن ساعات الطائرة وأجهزتها تشير إلى تسرب الزيت، واستحالة الإقلاع. فطلب منه أبو سنيينة الخروج خارج الطائرة ومعرفة ماهية العطب، طلب أبو سنيينة أن يتم جر الطائرة إلى أحد (عنابر) الصيانة وإعداد الطائرة للإقلاع. بيد أن كوهين قال له: إن الوقت متأخر، ولا يمكن جر الطائرة الآن إلى مكان الصيانة، ويجب الانتظار حتى يأتي الفنيون.

وفي ساعات الفجر الأول وصل إلى المكان ثلاثة جنود لم يكونوا ضمن قوة الاقتحام. (بنيامين نتنياهو) قائد الطاقم الشاب، و(عومر عيران) - مقاتل شاب من أفضل الجنود في الدورية. وقد قدما في سيارة نتنياهو وأصرا على المشاركة في العملية، فوافق إيهود على ضمهم إلى القوة المتدربة. ثم قدم (يوني نتنياهو)، وطلب هو الآخر ضمه إلى القوة. بيد أن إيهود أصبر على عدم الشراكة قائلا: لا يجوز أن أشرك شقيقين في عملية واحدة، وهذا قانون لا هوادة فيه، وهو مسئوليتنا تجاه الأهل. لقد قدم شقيقك بنيامين، وهو الآن في التدريب؟؟ لكن يوني لم يقبل ذلك، مما اضطر إيهود لاستخدام صلاحياته كقائد، فقال له: "يوني، هذا أمر".

حاول يوني إقناع بنيامين بأن يتخلى له عن مكانه، لكن بنيامين لم يوافق، وأصر على القيام بالدور الموكل إليه، وارتدى ملابس الصيانة البيضاء وانخرط في القوة المهاجمة التي كان عليها اقتحام الطائرة عبر باب الطوارئ. أُلقيت اصعب المهام على عاتق (مردخاي رحيم)، وقام رئيس الأركان بتوجيهه بنفسه قائلاً: مهما يحدث في داخل الطائرة عليك العمل لتفكيك العبوات الناسفة، نحن نعتمد عليك.

في إحدى الجولات التي قام بها ممثلو الصليب الأحمر بين غرفة القيادة المتقدمة في برج الحراسة والطائرة، عادوا معهم شخص غير متوقع. ريان الطائرة (رجينلد ليفي) والذي بدا شديد الإرهاق، وقد أمسك كيساً وبه مواد متفجرة. لقد أطلق الخاطفون سراحه كي يوضح للطرف الآخر أنهم جادون.

قدم قائد الطائرة معلومات حيوية حول ما يحدث داخل الطائرة، فقال: إن عدد الخاطفين أربعة، بينهم امرأتان، وأن قائد العملية الذي يدير المفاوضات موجود دائماً في غرفة الطيارين، واثنان في مقدمة الطائرة وإحدى الخاطفات بالقرب من باب الخروج. أعلم وزير الدفاع إيهود والذي أعلم بدوره قادة الهجوم، وتقرر العمل في أقرب فرصة ممكنة.

حدد إيهود عدد القوة المهاجمة والذي بلغ سبعة عشر جندياً، وقسمها إلى مجموعات صغيرة. ضمت الأولى (داني يتوم) - نائب قائد الدورية، و(إيتسيك جوانان) - وهو متميز في استخدام المسدس، و(أوري كيرت). وضمت الخلية الثانية (مردخاي رحيم) و(داني برونز)، و(عומר عيران) و(داني أرديني). وضمت الخلية الثالثة (عوزي ديان)، و(حازاي)، و(جليلي).

وضمت الخلية الرابعة (بنيامين نتنياهو) و(ماركو اشكنازي)، و(يعقوب تسورن) و(أريك طل)، وكان على هذه الخلية أن تقتحم الطائرة من باب الطوارئ.

وكانت الأوامر واضحة: سنتحرك جميعاً فوق رافعات العمال ونحن نرتدي ملابس الصيانة وعلى أن يتم إخفاء المسدسات داخل الملابس. ولا شك أننا

سنكون جميعا تحت رقابة الخاطفين، لذا يجب أن يحمل كل واحد صندوق معدات. وستحمل إحدى الرافعات ثلاثة سلالم كي تنسلق الطائرة بها. وكان يجب على ممثلي الصليب الأحمر أن يسيروا في المقدمة، دون أن يعلموا أن عمال الصيانة الذين يسيرون خلفهم هم جنود كوماندو.

وأضاف إيهود: في الوقت الذي سنتحرك باتجاه الطائرة، ستجري على المدرج عدة تحركات أخرى، حيث سيتم جر طائرة بوينج تابعة لشركة (تي دبليو إيه) باتجاه الطائرة المخطوفة وبمحاذاته ستتحرك شاحنات عسكرية وكأنها الشاحنات التي تقل المعتقلين المحررين من المعتقلات. لقد كانت الخدعة كاملة.

شعر الضباط مدى التوتر الأخذ بتلابيب إيهود، وأصيبوا بالعدوى، ويقول إيهود فيما بعد: كنت أدرك مدى جسامة المسؤولية الملقاة على عاتقي. لقد كان نجاح العملية رهنا بمدى انطواء الخدعة على الخاطفين.

ويضيف: لو أن الخاطفين اكتشفونا حتى قبل ثوان من اقتحام الطائرة، فقد تنتهي العملية بكارثة. أما العامل الثاني المهم في العملية فتمثل في سرعة الاقتحام، وهو الأمر الذي تدرّبنا عليه، وعلى سرعة فتح الأبواب. لقد كان العمل أثناء التدريبات سريعا وممتازا، بيد أن التدريبات لم تكن في يوم من الأيام دلالة على النجاح الفعلي على أرض الواقع العملي.

ومثلما تبدو الأمور في أفلام السينما المنتجة بصورة جيدة، شاهد إيهود طائرة (تي دبليو إيه) وهي تجر باتجاه الطائرة المخطوفة، ومن زاوية أخرى ظهرت شاحنات وحافلات من المفروض أنها تقل المعتقلين المحررين، بيد أن جميع من جلسوا فيها كانوا من البدو العاملين في الجيش كقصاصي أثر، وجميعهم يرتدون ملابس المعتقلين. وأخذ ممثلو الصليب الأحمر يتجولون في المنطقة، وهم ينسقون صفقة تبادل المعتقلين بالرهائن، مما جعل الخاطفين يطيرون فرحا، فقد استجابت إسرائيل لجميع مطالبهم.

كانت الساعة السادسة وواحد وعشرين دقيقة عندما بدأت الرافعات تقترب من الطائرة لإعدادها للإقلاع، وأشار ممثلو الصليب الأحمر للرافعات بأن

تواصل تقدمها، وأشاروا لآبو سنية الذي كان يراقب الوضع من غرفة الطيار، بأن كل شيء على ما يرام.

وعندما أصبحت الارتفاعات قريبة جدا من الطائرة، طلب أبو سنية أن تتوقف، وأن يفتح الفنيون سראويلهم كي يتأكد من أنهم غير مسلحين. نقل إيهود أمرا سريعا إلى القوة قال فيه: ساكون أول من يفحص، فإذا ما اكتشف الخاطفون شيئا مشبوها، وفتحوا النار، عليكم الاندفاع قدما، وإتمام العملية.

هبط إيهود من الرافعة أولا فأمره الخاطف أن يفتح سحاب (افرهوله) كي يتأكد من أنه لا يحمل سلاحا. كان إيهود شديد التوتر فقد خشي من أن يفجر الخاطفون الطائرة خلال عملية الهجوم.

كان على إيهود أن يطلق صفيرا قويا كعلامة لبدء الهجوم. ترجل (مردخاي رحيم) من الرافعة وتقدم باتجاه باب الطوارئ الأيسر الأمامي. وهو يدرك تماما أن قائد المختطفين يفحصه بدقة من غرفة الطيار، ثم ترجل خلفه عوزي وعومر.

كان طاقم الطائرة البلجيكية يقف قريبا من الطائرة، ويرافق (الطاقم الفني)، وكما أن أحدهم شك في أن هؤلاء الفنيين هم جنود لذا، همس باتجاه ماركو اشكنازي "Good Luck".

قرب داني يتوم السلم باتجاه مقدمة الطائرة، كان إيهود على وشك إطلاق صفارته عندما اتجه إليه أحد المقاتلين الاحتياط، وقال له انه يعاني من حالة إسهال وآلام في البطن، فسمح له بقضاء حاجته تحت الطائرة، فذهب وخلع سرواله وقضى حاجته والقوة كلها بانتظار أن ينتهي ويعود.

قام فنيون حقيقيون من شركة العال والذين كانوا على علم بما سيحدث بوصل مولد كهرباء بالطائرة كي يحدد كهرباءها، ثم غادروا المكان ركضا. الامر الذي جعل إيهود يغلي من الغضب، فقد خشي أن يلاحظ الخاطفون أن هناك شيئا ليس على ما يرام، وأطلق صفارته. بيد أن الصفارة لم تكن قوية، ولم

يسمّعها جميع أعضاء القوة، وتأخرت عملية الاقتحام ثواني معدودة بيد أنها ثمينة للغاية.

كان مردخاي رحيم، أول من اقتحم الطائرة مما أذهل الخاطفين، بيد أن الأطرش أطلق النار باتجاهه، فانحنى رحيم مما جعل العيار يخطئه. اقتحم عומר عيران الطائرة بعد رحيم وشاهد ما حدث، فأراد إطلاق النار على الأطرش، بيد أن مسافرة عجوز أمسكتة من ملابسه مما عرقل محاولته لثوان. ويقول انه اضطر للكمها كي تتركه.

حاول الأطرش إطلاق النار مرة أخرى على رحيم بيد انه أصيب برصاص عيران، في حين واصل عيران الاندفاع باتجاه غرفة الطيار، وهو يفتش بعينه عن المتفجرات. وفي هذه اللحظة اقتحم الطائرة ماركو اشكنازي وبنيامين ننتياهو. اكتشف اشكنازي مكان وجود تريز هلسه، وهاجمها وكال لها ضربة قوية مما جعل عيارا ينطلق من مسدسه، ويصيبها وينحرف باتجاه يد بنيامين ننتياهو اليمنى، والذي كان يعتزم تجاوز اشكنازي والسير قدما. وحينها قامت الخاطفة الأخرى بفتح النار باتجاه ننتياهو واشكنازي مما أدى إلى إصابة إحدى المسافرات اليهوديات ووفاتها فيما بعد.

اقتحم داني يقوم الطائرة من الباب الأمامي المقابل لغرفة الطيار، في حين تسلق اوري كيرن من الأسفل عبر فتحة السقوط باتجاه غرفة الطيار، وأخذ يتبادل إطلاق النار مع المختطف داخل الغرفة، ويدفعه باتجاه رحيم القادم من قاعة المسافرين.

اقتحم عوزي ديان الطائرة، من الباب الخلفي، كان هناك مسافر يختبئ خلف ستارة، فرآه وأطلق عليه عيارين، فصرخ الرجل أنا مسافر أنا يهودي ولحسن حظه لم يقتل.

حدثت حالة فوضى تامة داخل الطائرة، وبدأ مسافرون محاولة الفرار، وسدوا الطريق على الجنود الذين كانوا يخشون من أن يفعل الخاطفون العبوات الناسفة.

وصل إيهود في هذه اللحظة إلى الطائرة، وحاول توجيه الجنود نحو الخاطفين، الذين أفاقوا من الصدمة، وشرعوا بالرد على النار.

أشار أحد المسافرين لعوزي ديان على فتاة كانت تلف نفسها بغطاء في أحد المقاعد الأمامية، وكانت تلك هي ربما طنوس، كانت تمسك بيدها قنبلة، فنزع منها زناد الأمان، وقالت: لا تطلق النار، وضع عوزي فوهة مسدسه في رأسها، وأخذ من يدها القنبلة بهدوء وهو يشد على الذراع الذي يحول دون انفجارها، وأعطاهما لجندي آخر والذي سارع لتأمين الذراع بزناد ارتجله بصورة مؤقتة، بينما وقفت طنوس ترتعد من الخوف، وتتوسل أن لا يقتلها. رفع ديان الغطاء عنها بحذر، فشاهد إلى جوارها حقيبة المتفجرات، فرفعها بحذر كي يتأكد أنها ليست مربوطة إلى جسم الطائرة، وأعطاهما لأحد الجنود. واصل رحيم الاندفاع نحو الطائرة فأطلق أبو سنيّة النار باتجاهه، فاحتوى رحيم خلف مقعد من مقاعد الطائرة ورد على النار.

استبدل رحيم مخزن مسدسه وواصل التقدم وهو يطلق النار، في حين رد عليه أبو سنيّة رغم أنه كان مصاباً، ثم دخل أبو سنيّة إلى مرحاض الطائرة في القسم الأمامي من الطائرة وأغلق الباب من الداخل، بيد أن رحيم اقتحم الباب بالقوة وأطلق عليه النار فقتله.

لاحظ رحيم عن يساره وجود تريز هلسه فهاجمها وسيطر عليها، ومزق قميصها فوجد في (صدريتها) عبوة ناسفة مشبوبة ببطارية وجاهزة للتفجير.

امسك إيهود بتريز، وأنزلها عبر جناح الطائرة للجنود الذين كانوا في الأسفل.

لقد استغرقت العملية بأكملها تسعين ثانية ثم جرى إنزال المسافرين بسرعة ودخل خبراء المتفجرات لإبطال مفعول العبوات.

لقد أصيب مقاتلان بجراح طفيفة وقتلت مسافرة، وأصيب بعض المسافرين الآخرين بجراح، أمر إيهود داني يتوم بجمع الجنود والعودة إلى

القاعدة وفي الإذاعة هناك سمعوا عن (الملائكة) ذوي الملابس البيضاء الذين
اقتحموا الطائرة وأنقذوا الرهائن.

الفصل الثامن

قاد عملية اختطاف ضباط سوريين
لمبادلتهم بطيارين إسرائيليين أسرى

أصبحت إسرائيل كلها في حالة فرح وفخار عارم، وأعرب جميع أعضاء الحكومة عن رغبتهم في رؤية الأبطال الذين أنجزوا العمل. وتدفق الصحفيون من جميع الأماكن، وهم يحملون أمرا واضحا، أحضروا أي معلومات عن هذه الوحدة السرية.

وقد نجحت إحدى الصحف في التقاط صورة للعملية في اللحظات الأولى في أعقاب انتهائها، وقائد الوحدة إيهود يخرج من الطائرة مرتديا الملابس البيضاء، التي يرتديها عمال شركة "العال"، وفي يده مسدس مسلون، وخلفه نائبه (داني يتوم) وتحت أقدامه على جناح الطائرة إحدى المختطفين ملقاة على الأرض، وأمامه عدد من المسافرين المذعورين، والجنود ينزلونهم إلى الأرض.

وقد نشرت هذه الصورة على الصفحات الأولى للصحف الكبيرة، بدءا من نيويورك تايمز، وانتهاء بالصندي تايمز، أما العنوان الذي كتب تحت الصور، فكان "الملائكة باللباس الأبيض"، وكشفت بعض الصحف السر الدفين، لقد نفذ العملية وحدة سرية تدعى "دورية هيئة الأركان" وكتب الكثير عن هذه الوحدة من المعلومات الخيالية.

وأصدر الرقيب العسكري أمرا يحظر الكشف عن أي معلومات حول قائد الدورية، حتى ولو كان الحرف الأول من اسمه، وقد ذعر إيهود أيضا، من نشر صورته، وخشي من استسلام أعضاء الوحدة للغرور، فجمعهم بعد عودته إلى القيادة، وأثنى عليهم قائلا: "لا يجب أن ننسى أن النجاح والفشل في مثل هذه العمليات رهن بالسرعة ودقة التنفيذ، وأن أي تعطيل أو تأخر في اقتحام الطائرة، أو تشخيص مكان وجود المختطفين كان سيفضي إلى وقوع كارثة".

وقال للمقاتلين إن العملية برمتها استغرقت تسعين ثانية، أي أقل من الزمن الذي استغرقت التدرجات بعشر ثوان.

حافظ إيهود على رباطة جأشه وبرود أعصابه تماما، خلال حديثه إلى المقاتلين، في الوقت الذي كانوا يتوقعون منه إبداء قدر أكبر من السرور بيد أنه كان يخشى الغرور.

لقد تم تنفيذ عملية (ايزنوف) في نفس الوقت الذي كانت فيه الإجراءات تجري على قدم وساق لاختطاف ضباط مصريين سوريين بغية مبادلتهم بالطيارين الإسرائيليين الموجودين في أسر هاتين الدولتين.

وفي مطلع نيسان استدعى (منو شيكد) رئيس شعبة العمليات في هيئة الأركان، إيهود، وقال له: "غولدا مائير تود أن تعملوا على صعيد السوريين، وأنا اعتقد أن موعد تنفيذ العملية بات قريباً لإرغام السوريين على تبادل الأسرى.

حرص إيهود على إعداد مخططات للعمل على الخيارين -السوري والمصري- وقال لأعضاء الدورية، يجب أن تكونوا على أهبة الاستعداد لصدور الامر في كل لحظة. لقد أمن إيهود في أعقاب عملية (سابينا)، إن هيئة الأركان ستعتمد، منذ الآن، الدورية، لتنفيذ العمليات من هذا القبيل، وكان يعتمد في ذلك على رئيس الأركان بن اليعيزر، لكن ليس عليه فقط. فقد كان واضحاً له أن قائد سلاح المظليين والمشاة العميد رفائيل ايتان، يتطلع إلى تولي مثل هذه العملية.

كان إيهود يلجأ، في مثل هذه الحالة، إلى ممارسة سبق له أن جربها، حيث كان يُبقي نائبه يتوم في الدورية، ويحتل له مكاناً دائماً في مكتب رئيس شعبة العمليات، الذي ما كان يبعد عن مكتب رئيس الأركان سوى أمتار معدودة. لقد كانت لديه علاقات قوية مع كبار ضباط هيئة الأركان في أعقاب السنوات العشرة التي قام خلالها بتنفيذ العديد من العمليات من هذا القبيل، والتي شغلت هيئة الأركان كلها. وبالتالي احتفظ لنفسه بميزة واضحة على رفائيل ايتان، وعلى قادة الوحدات الأخرى، الذين كانوا يفتشون عن عمليات كبيرة لوحدهم. وقد أحب قادة هيئة الأركان الظهور بمعية قائد الدورية المشهور، مما وفر له فرصة جيدة لإقناعهم بأن الدورية، هي الخيار الأنجح لمثل هذه العمليات.

وفي مطلع حزيران، وصلت إلى هيئة الأركان معلومات تفيد أن هناك ضباطاً سوريين رفيعي المستوى سيقومون بجولة في لبنان. وقد قام (منو شيكد) بالاتصال هاتفياً بإيهود، ونقل إليه معلومات حول ذلك، مما جعل إيهود يدرك أن الامر يتعلق بنصب كمين للضباط السوريين لاختطافهم.

وفي الثامن من حزيران تلقى ايهود برقية مفادها أن طائرة هليوكبتر تقل رئيس الأركان وقائد القطاع الشمالي مردخاي جور ستهبط في قاعدة وحدته للاجتماع به اجتماعا هاما. كان بن اليعيزر ضابطا عمليا. وقد استهل حديثه بالقول: غدا، ظهرا، سيقوم ضباط رفيعو المستوى بالتجوال على الحدود اللبنانية في قاطع وادي (شوبا)، واشك في أن تتوفر فرصة أخرى كهذه لاختطاف ضباط سوريين هل بمقدورك التخطيط والتنفيذ في إطار هامش زمني كهذا؟؟؟

كان ايهود يعرف وادي شوبا جيدا، فهو منطقة صعبة للحركة، ويوجد فيها تلال صخرية كبيرة، وأشجار تجعل الشروط مناسبة لتنفيذ العملية. بيد أنه نصب كمين بواسطة نقل جنود هي مسألة ليست سهلة، خصوصا عندما يتعلق الامر بالرغبة في إلقاء القبض على أحياء.

قال ايهود لبن اليعيزر وجور: "سنبذل قصارى جهدنا، سنجري مناورة للتنفيذ، ويجب أن نحصل على صورة جوية واضحة للمكان، وسنتدارس بعض التفاصيل مع قائد القاطع المذكور.

وبعد ثلاث ساعات سنعرف كل ذلك. وكى نتوجه إلى هناك ليلا، يجب أن نحرك من الوحدة في حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر على أبعد تقدير".

حاول ايهود استخلاص معلومات أخرى من بن اليعيزر، بيد أنه قال له: لا أستطيع تقديم معلومات أخرى، فشعبة الاستخبارات لم تستكمل ملف العملية بعد، لكنني اقترح أن تعد القوة للاتجاه شمالا، وسيقدم لكم (جور) قائد القطاع، جميع المساعدات التي تطلبونها.

كان جور أكثر، شكوكية من رئيس هيئة الأركان، فطلب منه ايهود أن يبقى، ليرى المناورة التي سيجريها بعد ساعتين، بيد أن مردخاي لم يكن قادرا على البقاء.

لم يكن ايهود يدري أن قائد القطاع كان متضائقا جدا، من هذه العملية، التي هبطت عليه في وقت كان يعد فيه العدة، للقيام بمناورة كبيرة، وقال لرئيس الأركان بغضب: إن قيادته ليست مستعدة لتنفيذ مثل هذه العملية التي قد تؤدي إلى

إضرار النيران على طول خط الجبهة، بيد أن بن اليعازر لم يتراجع، وأمره أن يعلن حالة الطوارئ في قيادة قطاعه، وأن يدفع دبابات وبطاريات مدافع باتجاه الحدود. وفي نفس الوقت، بعث إيهود، يوني ننتياهو على رأس قوة إنقاذ، من مقاتلي الدورية.

وفي نفس الليلة، دخلت قوة من الدورية بأمر من إيهود، إلى الأراضي اللبنانية، وقد انطلقت القوة من إحدى القواعد في جبل (دوف) وشقت طريقها على المنحدرات عبر أشجار كثيفة. وبعد حوالي كيلومترين، قطعت الاتصالات مع جميع القيادات، باستثناء غرفة العمليات المتقدمة لقائد لواء القاطع، (تسوري سرجي).

بدأت التساؤلات تأتي إلى إيهود، عبر غرفة العمليات، فقد نقل إليه قائد القطاع، رسالة عبر تسوري سرجي: "هل تعرف أن هناك حاجزا للجيش اللبناني على بعد ٣٥٠ مترا من مكان الكمين؟؟".

-إيهود: نعم، أنا اعرف ذلك.

-جور: هل يوجد جنود في الحاجز؟؟

-إيهود: من الجائز وجود جنود لقد بنينا خطتنا على أساس وجود جنود في الحاجز، وإذا ما حاولوا التدخل فسوف نقوم وحدة الاستطلاع الغربية، بالتعامل معهم".

-تسور: يأمرك مردخاي بالعودة، وهو لا يوافق على إتمام العملية.

- إيهود: لقد شاهدنا الحاجز في الصور، وهو يضم عددا يتراوح بين ٦-٩ جنود لبنانيين وسنعرف كيف سنتعامل معهم. مضت خمس عشرة دقيقة، شديدة التوتر، وعندما شرعت القوة في اجتياز المياه المتدفقة في وادي شوبا، واستعدت لتسلق مئات الأمتار على كتف الوادي، باتجاه الكمين المخطط، جاء الأمر قاطعا: عودوا، بيد أن إيهود لم يستجب لها، لكن القيادة كررت الأمر، فعض بروج على نواجذه بغیظ، وقال لقادة الخلايا همسا: يجب أن نعود. كان الشعور بخيبة الأمل يرافق أعضاء الدورية طيلة طريق

العودة، وقد صوبوا جام غضبهم على قائد القطاع، واعتبر ايهود إلغاء العملية بمثابة عدم ثقة بقدرته.

حاول رئيس الأركان تهدئة غضب ايهود، وقال له: أن السوريين سيقومون، في غضون أيام معدودة، بجولات أخرى على طول الحدود. مما حدا بإيهود لتكثيف التدريبات على تنفيذ العملية، التي أعطيت اسما شيفريا هو (ارجاز-٢).

لم يمض وقت طويل، حتى أخرجت عملية (ارجاز-٢)، إلى حيز التنفيذ الفعلي، ففي ساعات الليل المتأخرة، دخلت القوة إلى الأراضي اللبنانية، فيما انتظرت قوة أخرى، بقيادة (موكي تسور) في ثلاث سيارات (لاندروفر) على طريق الدوريات. على أهبة الاستعداد لاقتحام الحدود اللبنانية.

وكي يزيل تسور الشكوك، أوقف السيارات بالقرب من موقع الأمم المتحدة، وزعم أن إحداها معطوبة.

أشرف ايهود، ومعه عوزي ديان على الكمين الرئيسي، في حين أشرف بنيامين نتنياهو على قوة الحجز، على منحدر الطريق، على بعد ثمانمائة متر إلى الشمال، كما أشرف موكي بتسار على القوة التي بقيت في الأراضي الإسرائيلية، والتي حددت مهمتها في التعامل مع القوات اللبنانية التي قد تحاول التدخل، والمشاركة عند الضرورة. أما عميث بن جورين، فقد ترأس سرية من وحدة (أجوز) وقام بأعمال الاتصال والتنسيق بين غرفة العمليات المتقدمة لرئيس الأركان، وقائد القطاع مردخاي.

تمركزت قوة بروج قريبا من أحد المنحنيات الحادة قرب هضبة مرتفعة على الطريق اللبناني، وقد قدر ايهود، أن المركب السوري كله سيخفف من سرعته بالقرب من الهضبة، وحينها سيصبح من الأسهل شن الهجوم على الضباط السوريين، ووقفت القوة بكاملها، بانتظار القافلة السورية. وفجأة، اقترب أحد الرعاة اللبنانيين بقطيعة من القوة التي لم تجد مناصا من إلقاء القبض عليه وتقييده وتحذيره من انه إذا ما حاول القيام بأي حركة، فسوف يصفى فمورا.

أفاد بنيامين نتنياهو، في جهاز الاتصال، انه يسمع صوت اقتراب سيارات، وفجأة بدت بشائر قافلة عسكرية، وعلى رأسها سيارة لبنانية مدرعة. توقفت المدرعة قرب المكان الذي كانت تكمن فيه قوة نتنياهو، ووجهت مدفعها باتجاه الحدود الإسرائيلية، وترجل منها الجنود اللبنانيون، واقترب اثنان منهم حتى خطوات معدودة من قوة نتنياهو، بيد انهم عادوا، وبدأوا في إعداد قهوة والإعداد للعب طاولة الزهر.

استعدت قوة نتنياهو لإمكانية السيطرة على الجنود اللبنانيين، بيد انهم عادوا بعد حوالي نصف ساعة إلى المدرعة، وواصلوا حماية المنطقة. وفي نفس اللحظة، ظهرت سيارة سوداء من طراز (اليموزين) على منحني الطريق، ترافقها سيارتان أخريان وسيارة (الاندروفر). وفي نفس الوقت، أفادت التقارير، أن هناك مدرعة أخرى تتمركز على الصخور على بعد كيلومترين.

لم يكن ايهود قادرا على الاتصال من منطقة الكمين برئيس الأركان وقائد القطاع، بيد انه قدم إليهما تقارير عبر "عميث بن جورين". أعطى ايهود أمرا لقوته بالاستعداد للهجوم، وكانت المدرعة تقف على بعد ثمانمائة متر إلى الشمال، على منحدرات الطريق، مهددة المنطقة المحيطة بمدفعها، وعلى بعد سبعين مترا، كمنت قوة نتنياهو.

اتصل ايهود بنتنياهو، وسأله: هل أنت جاهز؟؟ فرد نتنياهو: نعم. اتصل ايهود برئيس الأركان، وشرح له الوضع، وقال: ستهاجم قوة ايهود اللاندروفر والسيارتين. وفي نفس الوقت ستقوم قوة نتنياهو بإطلاق قذائف (الآر بي جي) وقنابل مضادة للدبابات على المدرعة، ويختفي وسط العواصف المتشابكة. وسيتم نقل الضباط السوريين المخطوفين على الأقدام في طريق لا تستطيع اللاندروفر أو المدرعة السير فيها، وعلى أية حال، لا توجد رؤية مباشرة بين المدرعة والقوة المركزية. أوعز ايهود لرجالها بالاستعداد للهجوم، في الوقت الذي كانت فيه المدرعة اللبنانية تقف قريبا من سيارة (اليموزين) مهددة بمدفعها.

كان رئيس الأركان، وقائد القطاع يشعران بالقلق من المدرعة اللبنانية، وفي نفس الوقت استعد موكي بتسار للاختراق السريع للحدود اللبنانية، عندما سمع صوت ايهود في جهاز الاتصال يقول: انهم يقتربون مني، سيارة جيب لاندروفر، بل سيارتا لاندروفر وسيارة ليموزين سوداء، وسيارة إضافية.

سمع موكي بتسار صوتا يقول في جهاز الاتصال "توقف"، وتمكن بتسار من تمييز صوت مردخاي جور، الذي كان يدير العملية مع رئيس الأركان من غرفة العمليات. كان رئيس الأركان يطالب ايهود بوقف العملية.

بيد أن ايهود رد عليه قائلا: "كل شيء على ما يرام، نحن على استعداد، لا توجد أي مشكلة في التغلب على اللاندروفر، وننتيهاو سيعالج المدرعة".
أخذ رئيس الأركان زمام القيادة، وقال: "لا. لا تنفذ". بيد أن صوت ايهود جاء في جهاز الإرسال قائلا: أرجو أن تعطيني إذنا بالتنفيذ". كانت لهجة ايهود مليئة بالغضب والتوتر، "إنني أراهم، إنهم يقتربون مني، انهم على بعد أمتار معدودة مني وأستطيع الهجوم الآن.
-بن اليعازر: لا، لا أوافق.

راقب جنود الدورية القافلة وهي تندفع متسلقة الطريق بأعين تتميز غيظا. وقد بذل ايهود محاولة أخيرة، طالبا السماح له بالتنفيذ، بيد أن رئيس الأركان رفض الطلب.

وفي كتابه "جندي يسري"، كتب موكي بتسار فيما بعد، حول هذه العملية: "كانت تلك اللحظات أكثر اللحظات التي شهدت إبطاء في حياتي، لقد شعرت أنني أخون طيارينا في السجن السوري".

طوى ايهود أجنحته، وعاد بالقوة راجلا عبر الأشجار الكثيفة وقد طلب منه رئيس الأركان، وقائد القطاع أن يحضر معه قادة المجموعات لاستجوابهم حول العملية.

وعندما عقد الاجتماع تحدث الضباط بصورة خشنة للغاية مع رئيس الأركان وقائد القطاع، أما إيهود فلم يتكلم، وطلب أن يبقى وحده مع بن اليعيزر ومردخاي، بيد أن الاثنين طلبا منه أن يتحدث أمام الضباط.

استهل إيهود كلامه بصوت منخفض نسيباً، اخذ يعلو رويدا رويدا، قائلاً: "لم اكن أتوقع في يوم من الأيام، أن يؤدي وجود سيارة مدرعة لبنانية إلى جعلكم تلغيان عملية. لقد اتخذنا استعدادنا مسبقاً، لاحتمال مرافقة مدرعة لبنانية لقافلة الضباط، إن وجود مدرعة على بعد ثمانمائة متر من الكمين، يمكن أن يكون مؤثراً، لقد كان بمقدور ننتياهو أن ينهي هذا الوضع بضربة النيران الأولى، بيد أن قراركما أدى إلى إلغاء العملية. ولربما أن هذه الفرصة كانت آخر فرصنا لتحرير طيارينا من الأسر السوري. لديكم تجربة عسكرية غنية جداً، وأنا واثق من أنكما ما كنتما لتترددا في الموافقة على التنفيذ، لو أنكما شاهدتما ما شاهدته على أرض الواقع.

كان بن اليعازر ومردخاي جور يصغيان إلى أقوال إيهود، كطفلين يتعرضان للتوبيخ من المعلم. واصل إيهود قائلاً: إن الأسوأ من كل هذا، هو أنكما تسببتما في دفعا في المرة القادمة على عدم إحاطتكما علما بجميع المعلومات المتوفرة لدينا ميدانيا، وذلك خشية أن تتخذوا قرارا تدممون عليه في المستقبل- على غرار ما حدث اليوم.

بدأ بن اليعيزر شديد الحرج والضيق، فهذه أول مرة، يقوم فيها ضابط برتبة مقدم بتوبيخ رئيس الأركان وقائد القطاع أمام ضباط صفار، ورغم ذلك، لم يحاول إسكاته.

حملق بن اليعيزر في إيهود وضباط الوحدة، وقال: ربما نكون قد أخطأنا، بيد أنني واثق أنه ستتاح لنا فرصة أخرى.

كانت الأجواء صعبة للغاية في الدورية، فهذه هي المرة الثانية التي يتم فيها إلغاء العملية وقد أعلم ننتياهو، إيهود، بأنه سينهي خدمته في الجيش غدا، لقد

أرجأ عملية إنهاء الخدمة المرة تلو الأخرى، كي يشارك في العملية، وقال: "أنا مسافر للدراسة في بوسطن".

مضت عدة أيام، وبدأ العمل من أجل إخراج عملية (ارجاز-٣) إلى حيز التنفيذ الفعلي وإزاء العبر التي استقاها إيهود من العمليتين السابقتين، فقد عمل على تغيير مكانه في العملية، وأوكل القيادة الميدانية إلى يوني ننتياهو-ربما يكون قد فعل ذلك تعويضا له على عدم مشاركته في عملية (سابينا) وفي عملية (ارجاز-٢)، وعين عوزي ديان نائبا له، وقرر الإشراف على العملية من مركز القيادة الأمامي القريب جدا من رئيس الأركان وقائد القطاع. وقال لموكي بتسار، ربما يبدو ما أقوله لك غريبا، لكنني لن أستطيع ضمان تنفيذ العملية إلا إذا تواجدت في غرفة العمليات الأمامية.

كان إيهود يحب في يوني رصانته وجديته وتمسكه بالمهمة الموكلة إليه. وفي إحدى التدريبات على العملية، ابتسم أحد الجنود الذي كان يلعب دور القوة المهاجمة للقافلة السورية. فأوقف يوني التدريب، وجمع الجنود، وصرخ فيهم قائلا: بهذا الأسلوب لن تستطيعوا إلقاء القبض على ضباط سوريين للأبد. ثم واصل التدريب، وعندما وصلت السيارات التي تحمل الجنود الذين يمثلون دور الجنرالات السوريين، هاجمهم يوني، وفتح باب السيارة، وجذب الجندي الذي يمثل دور ضابط سوري من شعره بكل قوته.

أخذ الجندي المذكور يشتمه، وهو يقول: ما الذي تفعله، لقد خلعت شعري من جذوره، فالتفت يوني إلى جنوده، وقال: هذا ما يجب أن تفعلوه، اجذبوهم من شعورهم بمنتهى القوة كي تسيطر عليهم".

اجتازت قوة يوني الحدود في تمام الساعة الثالثة فجرا، وكي يمكن مواجهة احتمال مشاركة مدرعة لبنانية في حماية قافلة الضباط السوريين، تقرر إلحاق مدرعتين إسرائيليتين بقوة يوني، وأوكلت إلى موكي بتسار مهمة قيادة قوة الحماية.

وفي ساعات الظهر، أفاد المراقبون أن هناك قافلة تقترب، وشاهدوا في مناظرهم سيارة لاندروفر تتقدم، وخلفها سيارتان مدنيتان الأولى من طراز (ايمبله) والثانية (اوستن).

أمر ايهود المدرعتين أن تكونا على أهبة الاستعداد لاجتياز الحدود اللبنانية، وأمر يوني بالاتجاه فورا إلى الطريق اللبناني.

اجتازت المدرعتان الحدود اللبنانية، واتجهتا نحو القافلة، وتوقفتا على بعد عدة أمتار من اللاندروفر اللبناني. فوجئ الجنود اللبنانيون، وحدثت معركة سريعة وقصيرة، قتل خلالها خمسة جنود لبنانيين، واصيب ضابط سوري بجراح. اندفع عوزي ديان باتجاه الضباط الجالسين في السيارة (ايمبله) البيضاء، وصرخ فيهم بالإنجليزية أن يستسلموا، بيد أنهم حاولوا الفرار، فأطلق باتجاههم عدة عبارات تحذيرية.

صرخ أحد الضباط السوريين بالإنجليزية (No blood) بلا دماء، ورفع يديه، في حين حاول ضابط آخر الفرار، بيد أن يوني وضابطا آخر سيطرا عليه بالقوة. لقد كان هذا الضابط يحمل أكبر رتبة بين ضباط القافلة. وقد نجح ضابط آخر في الفرار مستغلا الفوضى التي عمت المكان، فطارده موكي بتسار، إلا أنه اختفى وسط الأشجار الكثيفة. كما تمكنت سيارة اللاندروفر ومعها سيارة أخرى من الفرار داخل قرية مجاورة، وقد طاردهم جنود الدورية داخل القرية، بيد أنهم لم يستطيعوا العثور عليهم.

جلس "عوزي ديان" خلف مقود الايمبله البيضاء وقادها وفيها خمسة ضباط سوريين إلى الأراضي الإسرائيلية، وبالقرب من الحدود كان بالانتظار رئيس الأركان وقائد القطاع وايهود بروج، ولم ينجح بن اليعيزر في ضبط عواطفه، فعانق ايهود بحرارة، ومر بين الضباط الذين شاركوا في العملية وربت على كتف كل واحد منهم، وقال: "أمل أن تلغي هذه العملية الآثار التي خلفتها العمليتان اللتان ألغيناها في السابق، لقد اصبح لدى السوريين حافز يرغمهم على إعادة طيارينا، ففي قبضتنا خمسة ضباط رفيعي المستوى، بينهم ضابط برتبة

جنرال، وضابطان برتبة عقيد من سلاح الاستخبارات التابع لسلاح الجو السوري.

انتقلت عملية المعالجة منذ تلك اللحظة إلى الكادر السياسي، الذي قرر عدم الإعلان عن عملية الاختطاف كي لا يخزي السوريين، وبغية إتاحة الفرصة، لإجراء عملية تبادل سريعة.

وفي نفس الليلة، تم إرسال رسالة سرية إلى السوريين عبر الأميركيين جاء فيها: "في قبضتنا خمسة ضباط رفيعي المستوى، ونحن على استعداد لعدم الإعلان عن القضية برمتها إذا ما وافقتم على تبادل الأسرى، ونحن على استعداد لإطلاق سراح الضباط صبيحة الغد مقابل طيارينا".

وفي صبيحة اليوم التالي جاء الرد السوري: "نحن على استعداد للتبادل السريع". فوجئت جولدا مائير بسرعة الرد، وقررت تصعيب الشروط، فطلبت مقابل إطلاق سراح الضباط السوريين، إطلاق الطيارين الإسرائيليين في سورية، والطيارين العشرة وجنود سلاح المشاة الأسرى في أيدي المصريين منذ حرب الاستنزاف، لقد آمنت جولدا بأن العلاقات القوية القائمة بين الرئيس الأسد، والرئيس المصري أنور السادات، ستفضي إلى صفقة مشتركة. وهكذا تم تعطيل عملية التبادل، وتسرب النبا إلى وسائل الإعلام الأجنبية ومنها إلى إسرائيل، ورفضت مصر المشاركة في العملية، حتى لو كان ذلك مقابل إطلاق سراح عشرات الجنود المصريين الأسرى لدى إسرائيل.

وفي نهاية المطاف يست جولدا من إمكانية الربط بين الصفقتين السورية والمصرية، فعدت لطرح مطلبها الأساسي، والمتمثل في إطلاق سراح الطيارين الإسرائيليين الثلاثة بيد أن سورية التي قدرت أن إسرائيل حققت مع الضباط وربما أنها تمكنت من أخذ معلومات مهمة منهم، لم تعد في عجلة من أمرها. وهكذا، لم تتم عملية التبادل إلا بعد ثمانية أشهر من تنفيذ عملية (ارجلز-٣).

بوصفه رئيسا للأركان، كان بن اليعازر يتعرض لضغوط شديدة عندما كانت هناك عملية تلوح في الأفق، ويتوجب عليه اتخاذ قرار بالجهة التي يجب أن تتولى تنفيذها.

فمن ناحية، كان رفائيل ايتان قائد المشاة والمظليين يمارس ضغوطا لإكمال المهمة إليه ومن الناحية الأخرى، كان المقدم شاؤول زيف - قائد الكوماندو البحري يمارس ضغوطا. بيد أن إيهود كان يملك حاسة سادسة تمكنه من إقناع رئيس الأركان وضباطه الكبار بأفضلية دورية هيئة الأركان، وعندما كان رفائيل ايتان، وشاؤول زيف يريان، بروج، وهو يهبط درجات قيادة هيئة الأركان وهو يحمل على كتفه حقيبة الخرائط، كانا يدركان انهما خسرا العملية.

اصبح ايتان أحد اشد خصوم إيهود بروج، في حين نمت علاقة حميمة بين إيهود واللواء ارئيل شارون، قائد القطاع الجنوبي في مطلع السبعينات، فقد طور شارون نظرية عمل خاصة، لمكافحة الإرهاب في غزة، وكان جنود الدورية ينفذون هذه النظرية في غالبية الاحيان.

لقد بدأ التعارف بين شارون وإيهود نهاية عام ١٩٦٤، عندما كان إيهود بوصفه نقيباً شاباً يقود إحدى عمليات الدورية في الشمال، وقدم العقيد شارون رئيس هيئة أركان القيادة الشمالية - التوجيهات الأخيرة لوحدة التنفيذ. وقد اعجب بروج بشارون الذي لم تفتنه شاردة ولا واردة في ضرورة التنفيذ إلا وذكرها لأعضاء الوحدة، وقد اعتاد إيهود تقدير شارون، منشئ الوحدة (١٠١) الشهيرة.

وفي عام ١٩٧٢ حظي إيهود بوصفه قائدا لدورية هيئة الأركان في أعقاب عملية (سابينا)، بالإطراء والثناء من قبل شارون. وقال: "لقد كنتم جيدين، هكذا ينبغي العمل". وألمح شارون إلى إيهود، أنه سيحظى في قطاعه بعمل مهم، وكشف أمامه النقاب، عن الاستعدادات التي يقوم بها لمحاربة "الإرهاب" في قطاع غزة. سر إيهود جدا فقد اعتبر العمل في قطاع غزة بمثابة فرصة جيدة لإثراء تجربة طواقم الدورية الشبان.

وفي صيف ١٩٧٢ توجه ايهود إلى قيادة القطاع الجنوبي في بئر السبع، وكان شارون في أوج عملية توجيه لطاقم تنفيذي، وقد سر شارون لرؤيته، ودعاه للانضمام إليه.

فوجئ ايهود، عندما شاهد إلى جانب كبار ضباط القطاع، جنودا برتبة رقيب وشارون يحل أمامهم الأحداث التي سيواجهونها في العملية، والجميع يشاركون في هذا التحليل ثم تطرق شارون إلى تحليل عملية إلقاء قنبلة على أحد ضباط هيئة أركان قطاعه في غزة إبان تنقله وحده في سيارة جيب، واعتقد شارون أن رد فعل الضابط لم يكن على ما يرام، أدرك شارون دهشة ايهود، وقال له موضحا: أنا أؤمن بالعمل الجماعي، بدءا من كبار الضباط حتى اصغر الجنود، لأن هذه الطريقة هي وحدها الكفيلة بجعلهم يفهمون ما يقصده بالضبط وبهذا الأسلوب ينقل إليهم الحماس، وروحية القائد إلى جميع المنفذين، موفرا على نفسه أسابيع طويلة من العمل الروتيني والتعليم البطيء للجنود. وفي أعقاب الاجتماع التوجيهي أنف الذكر دعاه شارون إلى مكتبه. وهناك عرض عليه ايهود خطة تنفيذية لاختطاف طيارين وضباط مصريين، بغية الضغط على مصر، للموافقة على عملية التبادل. وأعرب ايهود عن تذمره جراء عدم موافقة هيئة الأركان على مثل هذه العملية، جراء الاستعدادات المعقدة التي تحتاجها العمليات، وبسبب المشاكل الاستخبارية التي تتطلبها، وقال : أننا على استعداد للعمل في غضون أربع وعشرين ساعة، بيد أن وتيرة هيئة الأركان لا تجارينا.

قال شارون: "تعالوا إلي، وستحصلون عندي على كل شيء. مكتب قيادة، واتصالات. أنا ساهي لكم كل شيء، تحدث مع (شاي تماري) ضابط شعبة الأركان، وقيادتي ستقدم لكم جميع المساعدات التي تطلبونها".

لقد أحب ايهود العمل مع شارون، وأدرك أنه سيجد لديه دائما مهام مثيرة وغزيرة. لقد أدى العمل مع شارون إلى تمكن جميع طواقم عمل هيئة الأركان من خوض عمليات في قطاع غزة، واكتسبوا خبرة واسعة في المهمات الخاصة التي أعدها لهم قائد القطاع.

لقد صمد التحالف الذي قام بين الاثنين في بيارات غزة، زمنا طويلا، وأيد شارون، أيهود، طيلة فترة عمله، وخصوصا في مواجهة رفائيل إيتان، فقد أعتبر أيهود تواسلا للوحدة (١٠١).

لقد تحولت دورية الأركان في عهد أيهود من وحدة تنفيذية تابعة لشعبة الاستخبارات العسكرية، إلى وحدة خاصة متميزة لهيئة الأركان كلها.

لقد حاولت الحكومة الإسرائيلية استغلال الشهرة التي اكتسبها أيهود، كقائد لدورية هيئة الأركان، وكضابط قادر على تنفيذ جميع المهام في الخامس من أيلول ١٩٧٢. فقد سيطر صبيحة هذا اليوم مسلحون فلسطينيون من منظمة (أيلول الأسود) على مساكن الوفد الرياضي الإسرائيلي إلى أولمبياد ميونيخ، وأخذوهم رهائن. وطالب المسلحون مقابل إطلاق سراح الرياضيين الإسرائيليين إطلاق سراح معتقلين فلسطينيين، وطلبوا من الحكومة الألمانية طائرة لمغادرة ألمانيا مع رهائنهم.

كان وزير الدفاع موشيه ديان، على اتصال هاتفي متواصل مع رئيس مخابرات ألمانيا الغربية، وكان الكثير من الشكوك تراوده منذ البداية في قدرة قوات الأمن الألمانية على إطلاق سراح الرهائن، وفي نفس الوقت كان لديه مرشح للقيام بهذه المهمة ١٠٠ أيهود بروج وطلب ديان من رئيس الأركان دراسة إمكانية سفر دورية هيئة الأركان إلى ميونيخ. بيد أن الوقت كان يمضي بسرعة دون الحصول على الإذن بذلك، فقد رفض الألمان بشدة حتى الإلماحات الإسرائيلية لإرسال قوة عمل خاصة.

توجه رئيس الموساد تسفي زمير إلى ميونيخ على عجل، مكلفا بدراسة إمكانية أن يوافق الألمان على إرسال قوة عمل إسرائيلية من دورية هيئة الأركان. وقد وصل زمير بعد الظهر واجتمع فوراً بقائد شرطة ميونيخ، ورئيس المخابرات الألماني. بيد أن الاثنين لم يكونا على استعداد حتى لسماع فكرة إمكانية عمل قوة اجنبية على الأراضي الألمانية.

أدرك أيهود مدى صعوبة تنفيذ عملية تخليص الرهائن، إضافة إلى أنه كان يعتقد أن الألمان يفتقرون إلى التجربة، على هذا الصعيد كما أنه أدرك أن المسلحين استقوا العبر من عملية (سابينا).
وعندما جاءت بشائر الأنباء بفشل القوات الألمانية، كان أيهود حزينا جدا، فقد اعتقد ولا زال، انه كان بمقدور دورية هيئة الأركان النجاح في المهمة.

الفصل التاسع

أيهود في قلب بيروت
تقمص شخصية امرأة وساهم في تصفية
ثلاثة من القادة الفلسطينيين

لا زال (موكي تسور) يتذكر الاجتماع الخاص الذي عقده ايهود لكبار ضباط
الدورية في شباط ١٩٧٣. كان ايهود مسرورا للغاية، وعيناه تشعان بريق الفرح، وأخرج
من مظهره كان معه ثلاث صور، وضماها إلى صدره.

كان الضباط متوترين، فهم لم يعرفوا بعد السبب الذي جعل ايهود
يدعوهم إلى الاجتماع. استل ايهود الصورة الأولى ووضعها على المنضدة، وقال:
محمد يوسف النجار، قائد جماعة أيلول، ثم وضع الصورتين الأخريين، وقال:
كمال عدوان مسؤول العمليات لحركة فتح في إسرائيل، ورئيس شعبة
العمليات الخاصة لمنظمة فتح، وكمال ناصر الناطق باسم ياسر عرفات.
وبدا أن جميع الضباط أصبحوا أكثر توترا، فقد أدركوا أن العملية، هذه المرة،
هي عملية خاصة جدا.

فرد ايهود على المنضدة خارطة لمدينة بيروت، وقال: كمال عدوان،
وكمال ناصر يسكنان هنا في الطابق الثاني والرابع، وبالقرب منهما يسكن
أبو يوسف النجار".

أدرك قادة الدورية، أن ذلك يعني أن الدورية ستتوجه إلى بيروت
لتصفية القادة الثلاثة.

واصل ايهود كلامه: "لدينا كل شيء، بما في ذلك وصف كامل للحي،
ونحن قادرون على الوصول إليهم. وسنصل إليهم، يجب البدء بالعمل".

لم يضع موكي بتسار كلمة واحدة، فقد أدرك منذ وصوله إلى الدورية
قبل سنة، إنها تختلف في طبيعتها عن أي وحدة أخرى، سبق له أن عمل بها.
فالعمل الوظيفي داخل الدورية يختلف عنه في أي وحدة أخرى، حيث العلاقة
القائمة بين الضباط هي علاقة وطيدة، وتتسم بالصدقة وصراحة ومنفتحة.
كانت العملية ذات هدف واضح، يتمثل في تصفية الزعماء الثلاثة في فراشهم
في قلب بيروت.

أدخل ايهود في روع ضباطه، وجنوده، الاعتقاد بأنه ينتظر منهم تفكيراً جذرياً، وخلاقاً وبدأ كل منهم يدلي بدلوه ويطرح أفكاراً تتعلق بكيفية الوصول إلى الهدف وتنفيذه، والعودة بسلام.

سجل ايهود جميع الأفكار على ورقة، أمامه بيد أنه رفض فكرة واحدة فوراً بقوله: لن نصل إلى الهدف بطائرات هليكوبتر، ولن نكرر أسلوب العمل في عملية مطار بيروت، لأن الضجة التي تثيرها الطائرات ستكشفنا. سنصل إلى الهدف عبر البحر، كسياح، وكعشاق، وسنعمل بالتعاون مع الموساد، وسيقوم عملاء الموساد باستباقنا، وسيزودنا بسيارات في نقطة الإنزال على البحر، كي توصلنا إلى هدفنا، وتعيدنا إلى نقطة الإنزال مجدداً. وكشف ايهود النقاب لضباطه عن أن الصناعات العسكرية الإسرائيلية، شرعت في صناعة بندقية عوزي صغيرة (ميني عوزي) - حسب طلبه - مزودة بكاتم صوت لتزويد مقاتلي الدورية بها.

لقد بدأت الاستعدادات لهذه العملية قبل شهرين، إن وصول معلومات إلى إسرائيل، تفيد بأن بعض قادة المسلحين الفلسطينيين - ومن ضمنهم بعض المشاركين في التخطيط لمذبحة الرياضيين في ميونيخ يسكنون في حي (الرملة البيضاء) في شمال غرب بيروت. توجه اللواء (يكوتيل آدم) - الذي كان معاراً آنذاك للموساد، - إلى رئيس الموساد، وطلب منه أن يتدارس مع ايهود، فيما إذا كانت دورية هيئة الأركان قادرة على تنفيذ العملية.

تم استدعاء ايهود إلى قيادة الموساد، ومعه (امنون بيران) رئيس شعبة العمليات في الدورية، وطرح أمامه المعلومات، وبدأ واضحاً له أن على الدورية مفاجأة الثلاثة بيد أنه كانت هناك مشكلة: ففي مدخل كل منزل تواجد حارس، أضف إلى ذلك أن المداخل كانت تبقى مضاعة طيلة الليل.

قال ايهود: "هناك مشكلة، فالتخطيط لمثل هذه العملية، يتطلب حصولي على معلومات أخرى حول الحراسة، والشقق، وقوات الجيش والشرطة اللبنانية الموجودة في المكان، والأهم من كل هذا، ما إذا كان القادة الثلاثة يتواجدون في

الشفق طيلة الليل؟؟" طلب الموساد مهلة زمنية لعدة أسابيع، وفي نهاية الامر، احضر جميع المعلومات اللازمة وحينما درسها ايهود، قال (ليكوتتيل آدم): أنا على استعداد لتنفيذ هذه المهمة.

قرر وزير الدفاع موشيه ديان، توسيع العملية بحيث تصبح اكبر عملية يتم تنفيذها في لبنان. وكان ديان على قناعة بأن رئيسة الحكومة (جولدا مائير)، ستصادق على أي عملية، هدفها تصفية المسؤولين عن عملية مقتل الرياضيين الإسرائيليين في ميونيخ. فقبل عدة أيام وجهت أمرا إلى رئيس الموساد، بأن يعمل على مطاردة، أولئك المسؤولين في كل مكان بالعالم.

ولم يكن ديان مخطئا في اعتقاده، فما كادت جولدا تسمع أن أحد أهداف العملية، هو أبو يوسف النجار، النائب الأول لياسر عرفات، وأحد كبار المخططين لعملية ميونيخ، حتى وافقت فوراً، على الشروع بالتخطيط للعملية. قال وزير الدفاع لرئيس الأركان: "هذه العملية فصلت بصورة خاصة على مقاس ايهود بروج، ودورية هيئة الأركان".

مضى شهر دون أن تنتهي إلى ايهود أي معلومات حول العملية، وكان وزير الدفاع قد قرر، في تلك الأونة توسيع العملية بحيث تشمل قيادة الجبهة الشعبية القريبة من مخيم اللاجئين صبرا الواقعة جنوبي بيروت. وقد تم إيكال هذه العملية إلى المقدم (امنون ليفكين شاحك) رئيس كتية الشبيبة الطلائعية -الناحل- المظلي، الامر الذي حول العملية إلى عملية معقدة.

وحينما لم يسمع ايهود شيئا عن العملية، اخذ إجازة، وذهب لقضائنها في ايلات، وصبيحة أحد أيام السبت، تلقى مكالمة تطلب منه المثول على عجل، في مكتب رئيس الأركان، في تل أبيب. وفي المكتب، وجد بانتظاره رئيس الأركان ونائبه ومساعد رئيس شعبة الأركان اللواء (يونه افراتي) و(منو شيكد) الذي عين لتوّه قائدا لسلاح المظلات.

كان (منو) قد قدم خطة أعدتها قيادته لاغتيال (مسلحين) يسكنون في شارع الفردان في بيروت. وفهم ايهود من الحديث، أن الامر يتعلق بتنفيذ عملية

لاغتيال (المسلحين) الذين كان يجب أن يقوم هو بالعملية لاغتيالهم. وقد تحدثت خطة (منو شيكد) عن تفعيل عشرات الجنود في خلايا تنفيذ وحراسة.

انتظر بن اليعيزر بأناة وصبر، حتى انتهى من شرح خطته، ثم توجه إلى ايهود وقال له: ما رأيك في الخطة؟؟

- ايهود : بتوجيه من يكوئيل آدم ويونه أفراشي قمنا بدراسة هذا الهدف قبل شهر، وباعتقادي أن التنفيذ ممكن بخطة أخرى تتوخى مفاجأة (المسلحين) في بيروت، وعلى أن تستغرق دقائق معدودة فقط، إذا لم نتورط، ويشارك فيها عدد من الجنود لا يتجاوز خمسة عشر جنديا.

- بن اليعيزر: متى تقدر على تقديم خطة لذلك؟؟

- ايهود: غدا، إذا أطلقت سراحي الان.

- بن اليعيزر: اذهب لوضع الخطة، وسيشارك في العملية اربع أو خمس قوات في آن واحد في بيروت، بيد أن هذا الجزء هو أهمها على الإطلاق وسنمنحك أفضلية في اختيار زمن البدء، وستكون أول من يفتح النار، وسيشرف منو شيكد على العملية كلها، من زورق حربي في البحر.

في صبيحة اليوم التالي، قدم ايهود الخطة إلى رئيس الأركان، ثم إلى موشيه ديان. طلب ديان أن يعرف فيما إذا كانت هناك معلومات متوفرة حول استعدادات (المسلحين) والجيش اللبناني في المنطقة، فقدم ايهود وممثلو الموساد وشعبة الاستخبارات العسكرية المعلومات التي بحوزتهم. واتضح أن هناك تواجدا كبيرا لقوات الأمن اللبنانية (والفدائيين) في المكان، وعلى مسافة قليلة من الهدف، توجد نقطة شرطة للجنדרمة اللبنانية. وقد سأل ديان، ايهود، فيما إذا كان قادرا على التنفيذ في ظل هذه الشروط؟؟ فقال ايهود بثقة : نعم، نستطيع التنفيذ. وتم تحديد العملية "أفيغ نيعوريم" - ربيع الشباب.

وافق وزير الدفاع على مهاجمة جميع الأهداف في نفس الليلة، بما فيها قيادة الجبهة الشعبية في قلب بيروت، فقد اعتقد أن مهاجمة عدة أهداف في آن

واحد في بيروت، ستشغل قوات الأمن اللبنانية، وتتيح الفرصة لجنود الدورية العمل بحرية.

-إيهود: ما فرصة موافقة رئيسة الحكومة على التنفيذ؟؟
-ديان: "جولدا ستصادق، ولن تكون هناك أي مشكلة معها، إنها تنتظر منذ زمن طويل مثل هذه العملية".

ثار جدل في إحدى جلسات قادة الدورية حول الغطاء الذي يجب عليهم تدبيره كي يتمكنوا من الوصول من البحر إلى الهدف، فاقترح موكي بتسار أن يمثل المقاتلون دور العشاق، فيقوم الجنود أصحاب الأجسام الضخمة بدور الرجال، في حين يقوم صغار البنية بدور النساء. ويخيل إلي أن وجه وجسم إيهود يرشحانه لأن يكون صبية (برونتب شقراء)، وكذلك عميرام ليفين وليوني رفائيلي، -الذي انضم إلى القوة-.

كلفت قيادة العملية بشراء باروكات الشعر المستعار المطلوبة وتوجه المشاركون في العملية إلى المحلات التجارية واشترى كل منهم حلة زرقاء. وقد اختار إيهود فستانا نسائيا، وطلب أن يكون واسعاً عليه بعض السنتمرات. بدا أن البائعين مندهشون، فلم يكن إيهود أول شاب يدخل إلى الحانوت لشراء فستان ويقول نفس العبارات، وصعب عليهم أن يفهموا هذا العرض الجديد للأزياء.

وتم تفضيل استخدام بندقية عوزي دون (أخمص) -عن العوزي الجديدة، التي لا زالت حتى ذلك الحين، في مرحلة التطوير، وقد تم فحص عدة أسلحة أجنبية، بيد أنها بدت غير ملائمة للعملية. وتم اختيار عبوات ناسفة خاصة، خفيفة الوزن بيد أنها شديدة المفعول من أجل تحطيم أبواب شقق الشخصيات الثلاثة، كما أعد كل طاقم حقيبة (جيمس بوند)، وضع فيها سلاحاً أبعد مدى، وعبوات ناسفة بوزن ٢٥٠ غرام لكل عبوة.

فتش إيهود عن مبنى مشابه للمبنى الذي يعتزم مهاجمته في بيروت، وبعد بحث طويل عثر على مبنى في طور البناء مشابه له في أحد ضواحي تل أبيب. وبينما الطاقم الذي يقوده إيهود يقوم بمناورة تتمثل في الهبوط بالزوارق

على ساحل تل أبيب، ثم يشنون على المنزل المذكور هجوما سريعا، فوجئوا بإحدى دوريات الشرطة الإسرائيلية لم يتمكن رجال الشرطة من استيعاب المنظر الذي شاهدوه سيارات مدنية تتوقف بالقرب من مبنى في طور الإنشاء، ويترجل منها أشخاص بلباس مدني، ويشرعون بالسير باتجاه المبنى وكل واحد يمسك بيد الآخر، وقد استعد قائد الدورية لحمل جميع هؤلاء الأشخاص الغرباء إلى قيادة الشرطة، وفجأة برز من الظلام شخص بلباس مدني كان ذلك الرجل منوشيك، طلب من الضابط أن يترك المجموعة وشأنها، بيد أن الضابط لم يكن على استعداد لعمل ذلك. فقال له (منو) سيأتي يوم وتذكر ما الذي فعله.

كانت إحدى المشاكل الصعبة التي واجهت إيهود هي إعداد الطواقم، حيث لم يكن أي من الضباط أو الجنود على استعداد للتخلي عن ليلة في بيروت. مما اضطر لاتخاذ قرار الحسم والذي لم يكن سهلا أحيانا. أما أصعب المشاكل فجاءت مع نائبه يوني نتياهو. فقد قرر إيهود إبقاء يوني في الوحدة لمواصلة التدريبات بيد أن نتياهو لم يكن على استعداد حتى لسماع ما قاله، وقال لإيهود، لقد تركت كل شيء خلفي وعدت للخدمة - للجيش - فقط من أجل خوض مثل هذه العمليات. ولا توجد عمليات كهذه كل يوم، أنا بحاجة للتجربة والتفكير هكذا فقط يتم بناء القادة. لقد منحك إبراهيم فرصة، ويجب أن تمنحني أنا أيضا فرصة. وفي نهاية المطاف عثر إيهود على حل: "خلية موكي بتسار عملت وحدها في بيت أبو يوسف، وإذا ما أصيب أحدهم فإن الاثنين الآخرين سيجدان صعوبة في حمله إلى الخارج، وفي نفس وقت تنفيذ العملية، وإذا ما قبل بتسار انضمامك إليه كمقاتل رابع، يمكنك مرافقتنا، وإذا قال موكي نعم، فلا أعارض".

كان يوني أرفع رتبة من موكي ولم يكن بمقدور موكي أن يرفض الطلب. وكانت مهمة هذه الخلية تتمثل في اقتحام منزل أبو يوسف النجار في شارع الفردان في بيروت.

وفي أحد التدريبات التي أجريت على النموذج المشابه، بحضور رئيس الأركان وقائد سلاح المشاة، فاجأ بن اليعيزر الطاقم بالقول: "عدو من الخلف،

لديكم جريح، وفيما هاجم موكي العدو الوهمي، قام يوني بحمل (تسبيكة) -أحد أعضاء الخلية- الجريح، خارج المبنى. بيد أن بن اليعيزر لم يكن راضيا، وقال: أن عملية الانسحاب كانت بطيئة جدا.

وكما اقترب موعد التنفيذ، كلما أصبحت التدريبات أصعب، وقد تسلق الجنود سلاسل العمارة، ونزلوا منها عشرات المرات ليليا.

كان ايهود ينتظر في مدخل المبنى، ويضغط كل مرة، على جهاز (موتورولا) الموجود معه -جهاز إرسال- وهي العلامة المتفق عليها لتفعيل العبوات النافسة على جميع الأبواب في المبنىين.

كانت الحقيقة التي تضم تفاصيل العملية تتضخم يوما بعد الآخر، وتزداد المعلومات التي فيها حول الأهداف المرشحة للاغتيال. فقد عرف أعضاء الطاقم، مثلا، أن كمال عدوان وكمال ناصر، يسكنان في عمارة واحدة، أحدهما في الطابق الثاني، والآخر في الطابق الرابع أما أبو يوسف فكان يسكن في بيت قريب، في الطابق السادس. وكان معظم سكان الحي من رجال الأعمال اللبنانيين الأثرياء والدبلوماسيين الغربيين.

ولم تكن شخصيات الثلاثة تخفى على أي من السكان، فقد كان الثلاثة يحظون بحراسة دائمة.

شرع عملاء الموساد يقطعون المنطقة طولا وعرضا، ويجمعون جميع التفاصيل: الحراسة، الروتين، طرق الوصول، وطرق الانسحاب.

وفيما بعد، قال أبو اياد - صلاح خلف- انه حذر الثلاثة من وضع الحراسة المرافقة لهم، وقال: "ذات يوم ستهبط طائرة هليكوبتر إسرائيلية وتختطفكم".

أتمت هيئة الأركان ملف عملية 'ربيع الشباب' وبدأ رئيس الأركان يضغط على وزير الدفاع للحصول على موافقة سريعة على العملية، قائلا: "هذه الفرصة لن تتكرر"، بيد أن ديان كان مترددا، ويخشى من التورط في قلب عاصمة عربية.

نشرت الجرائد الأجنبية في أعقاب العملية تحقيقاً حولها، جاء فيه: أن سائحين سجلا اسميهما في فندق (سائندس) المطل على ساحل البحر في بيروت الغربية في الأول من نيسان ١٩٧٣. وقد سجل الأول نفسه باسم جيلفر ريمبود - رجل أعمال بلجيكي، وقد قدم على متن طائرة لوفتهانزا من فرانكفورت، أما الثاني فهو ديتير التنتسور وقد قدم هو أيضا على متن لوفتهانزا، وحمل جواز سفر ألمانيا.

وبعد خمسة أيام سجل ثلاثة سياح آخرين أنفسهم، باسم: اندرو فيتشواي، وقد بدا جنّلمان بريطانيان من الجيل القديم، وشارلس بوسار وهو رجل أعمال بلجيكي، وجورج الدر، وهو إنجليزي، وصل في طائرة بريتيش ايروفيز من لندن.

وفي نفس الليلة، سجل في فندق (اتلانتك) الواقع على بعد قليل من مساكن الأهداف الثلاثة سائح إنجليزي باسم اندرو ميسي، وقد عمل على إقامة علاقة ودية مع موظفة الاستقبال، وكان يسالها بين الفينة والأخرى عن أماكن قضاء الوقت على طول متنزه المشاة، وبدا مهتما بصورة خاصة بالطقس، وارتفاع الأمواج.

وبناء على تحقيقات الصحف الأجنبية، فإن ميسي هو كبير عملاء الموساد الذين قدموا إلى بيروت قبل العملية. وكان الستة يلتقون كل ليلة على متنزه المشاة البحري، بيد أنهم ما كانوا يجتمعون معاً، كما قام كل منهم باستئجار سيارة أميركية فاخرة من شركات تأجير السيارات، وواحد منهم فقط استأجر سيارة رينو.

ودع رئيس الأركان في العاشر من نيسان القوة المتوجهة إلى بيروت، والتي كانت على وشك الإبحار. بدا بن اليعيزر شديد التأثر، ولم يستطع إيهود، في تلك الاونة، أن يدرك مدى حجم المسؤولية الملقاة على عاتق قائد الجيش الذي يرسل خبرة مقاتليه إلى قلب عاصمة معادية. وكان بن اليعيزر، قد تعهد قبل ليلة واحدة، أمام رئيسة الحكومة، أن يعود المقاتلون بسلام.

لم يكن الجيش الإسرائيلي قد سبق له العمل في قلب إحدى العواصم المعادية. وقد سأل رئيس الأركان قاندي القوات إيهود وأمنون شاحك. هل كل شيء على ما يرام؟؟ وكان الاثنان يقولان له: نعم، قدر الإمكان. وقبل الصعود إلى ظهر الزورق الحربي، ألقى رئيس الأركان كلمة في الجنود، تحدث خلالها عن التكليف، والحوافز، والحذر أثناء التنفيذ واختتم كلمته بالقول: "اقتلوا هذه القذارة وعودوا إلى البيت بسلام".

نهض موكي بتسار، وقال: سيدي رئيس الأركان: هل قلت اقتلوا؟؟؟ رمق بن اليعيزر رئيس شعبة الاستخبارات إيلي زعيرا -الذي كان يقف قريبا- بنظرة سريعة وقال: "نعم، اقتلوهم".

ودع رئيس الأركان القوات، وقد كان هناك إضافة إلى إيهود وأمنون شاحك، عموس يارون، وشموئيل برسيورجر وشاؤول زيف. وكان لكل قوة مهمة محددة. لقد كانت الطواقم بمثابة "طواقم الأحلام" بالنسبة للجيش الإسرائيلي. وقد اشرف على العملية كلها 'منو شيكد'.

قال رئيس الأركان، وهو يصفحه: "أعد لي هؤلاء المقاتلين بسلام"، فقال شيكد: أعدك بذلك.

أبحرت تسع سفن وزوارق حربية تابعة ل سلاح البحرية غربيان باتجاه عرض البحر، ومن هناك سيسيرونها في الطريق البحري الدولي، ثم سيتجهون ليلا إلى بيروت.

كانت مهمة أمنون ليفكين شاحك، تتمثل في اقتحام قيادة "الجهة الشعبية لتحرير فلسطين" وكان إيهود يعرفه من عمليات تخطيط وتنفيذ سابقة، بيد إنها كانت المرة الأولى التي يشتركان معا في نفس القوة المقاتلة.

كان إيهود يكن تقديرا كبيرا جدا لأمنون شاحك، وهدوئه وقدرته الطبيعية على القيادة ويدرك أن المهمة التي سينفذها، لا تقل عن مهمته تعقيدا.

بينما كانت السفن الحربية الإسرائيلية تمخر عباب البحر، وقعت في نيقوسيا، عاصمة قبرص دراما، فقد هاجم مسلحون من "أيلول الأسود" طائرة

إسرائيلية تابعة لشركة (أركيع) كانت على وشك الإقلاع إلى تل أبيب بيد أن حارسي الطائرة الإسرائيليين فاجأ المهاجمين وأطلقا عليهم النار، فقتلوا اثنين منهم، بينما ألقت الشرطة القبرصية القبض على الثالث. واعتقلت الحارسين الإسرائيليين للتحقيق.

وفي ساعات ظهر نفس اليوم، انفجرت قنبلة في منزل السفير الإسرائيلي في قبرص (رحاميم تيمور) والذي كان في تلك الآونة في طريقه إلى المطار. تساءلوا في هيئة الأركان، فيما إذا كانت عمليات قبرص ستعرق عملية ربيع الشباب؟؟ وقال وزير الدفاع لرئيس الأركان أن جولدا مائير قلقة، بيد أن رئيس الأركان أوصى بأن تتم العملية مثلما خطط لها، وطلب من رئيس الموساد، (إيلي زعيرا)، أن يفحص في بيروت ما إذا كانت استعدادات المسلحين في بيروت قد تغيرت؟؟ وقد جاء الرد من بيروت قائلا: الوضع هادئ تماما.

يكره إيهود بطبيعته عمليات الإبحار الطويلة، وقد قضى غالبية وقته على السفينة وهو يتقيأ، ولم يسترد طبيعته الا عندما شارفت السفن على الساحل اللبناني، فاصلح المكياج الأزرق تحت عينيه.

وقبل وصولها إلى ساحل بيوت بعدة كيلومترات افتترقت السفن الخمس، فتوجهت زوارق الصواريخ (حوريب وإيلات- وسوفة، ومسجافا)- التي تنقل القوة المنقذة باتجاه ساحل بيروت، وبدأت تستعد لإنزال الزوارق المطاطية. وفي حوالي منتصف الليل، توقفت سبع سيارات مأجورة قرب الساحل، وكيلا تتثير الشبهات، توقفت كل واحدة على بعد عدة عشرات الأمتار من الأخرى، وقام سائقوها بإعطاء إشارات باتجاه البحر. كانت تلك إشارات متفقا عليها، بأن كل شيء على ما يرام.

لم يلاحظ عملاء الموساد خلال آخر جولة قاموا بها، باتجاه الهدفين: شقق القادة الفلسطينيين الثلاثة وقيادة الجبهة الشعبية، وجود أي تحركات غير عادية. بيد أن شيئا ما أثار لديهم عدم الارتياح، فقد لاحظوا وجود حركة غريبة على الشاطئ من الحرس اللبناني.

جلس ايهود بروج في الزورق المطاطي القائد، وتابع بعينه حركة الزبد الأبيض للأمواج. كان عدد قوة دورية هيئة الأركان عشرة أشخاص. تم توزيعهم على خمس خلايا. وقد اشرف عميرام لفين على قوة الحماية، في حين اشرف موكي بتسار، وأميتي نحمانى، وتسبيكة، على طواقم التصفية.

كانت هناك ثلاث سيارات بانتظار طاقم ايهود، وأربع سيارات بانتظار طاقم امنون شاحك. وقد جلس عملاء الموساد خلف مقاعد السيارات.

جلس ايهود بجوار السائق في السيارة القائدة، وهي من طراز (بويك سكيلرك)، وجلس خلفه موكي بتسار ويونى، ليونى رفائيلي وتسبيكة. انطلقت السيارة من موقعها بهدوء كي لا تثير الشكوك، وسارت السيارات الأخرى خلفها، ليس قريبا جدا، بيد أنها حافظت على المسافة التي تتيح لكل منها رؤية الأخرى.

قال عميل الموساد لقد تجولت قبل برهة وجيزة بالقرب من الهدف، ولا اشعر بالارتياح، هناك حركة نشطة لسيارات الجندرمة اللبنانية، وهي مزودة بمدفع رشاش. هل تعلم أن هناك محطة للجندرمة، على بعد مائتي متر من الهدف؟؟ وهناك شخص يرتدي زيا عسكريا في مدخل الشارع، على بعد مائة متر من موقف السيارات الذي سنطلق منه إلى الشفق". عض ايهود على ناجذيه. لقد تذكر اللحظات الأخيرة في عملية (ارجاز - ٢)، عندما ألغى رئيس الأركان العلمية في اللحظات الأخيرة خشية التورط.

تساءل موكي بتسار الجالس خلفه عما إذا كان ايهود سيعلم القيادة بالمعلومات الجديدة أم لا؟؟ وسرعان ما جاءه الرد، حيث قال ايهود: واصل المسيرة. وتفحص باروكة الشعر النسائية فوق رأسه. كان ليونى رفائيلي يضع هو الآخر باروكة شعر شقراء. بدأت السيارات تدخل المنطقة المكتظة في بيروت.

وعلى إحدى إشارات الطريق، توقفت سيارة ايهود، وإلى جوارها توقفت سيارة فارهة، تجلس على مقودها امرأة جميلة، وقد نظرت باتجاه موكي بتسار

وابتسمت فبادلها الابتسام. وفكر، لو أنها تعرف إلى أين تتجه لاختفت ابتسامتها فوراً.

خفف عميل الموساد من سرعته، كي لا يثير الشبهات، وبالقرب من مفترق الطرق التالي، لاحظ وجود شرطة لبنانيين. فكر موكي بتسار في تلك الآونة في الطيارين الأسرى، وتمنى أن لا يقوم ايهود بإعلام (منو شيكد) بوجود رجال الشرطة اللبنانيين، خشية أن يتصل منو برئيس الأركان، والذي يقوم بدوره بإعلام ديان، ومن ثم جولدا مائير، التي قد تأمر بوقف العملية. وقد أشار رجل الموساد إلى الشرطة، فقال ايهود: "شاهدتهم، واصل المسيرة".

تسلقت السيارة الطريق حتى وصلت إلى شارع الفردان، ثم توقفت أمام أحد المنازل. ترجل موكي أولاً: وفتح الباب لايهود بروج الذي يرتدي زي امرأة، ووضع يديه حول كتفي ايهود وضمه إلى صدره، وقال له: "الوضع يذركني برمّا". : كان ايهود شديد التوتر، ولاحظ انه لا وجود لرجال الشرطة اللبنانيين. وفجأة قدم رجلا شرطة لبنانيان فهمس بتسار في أذن ايهود: "نحن سياح، وسوف يعملان على إخلاء الطريق أمامنا".

أنزل بتسار يده من حول كتف ايهود وهما يتجهان مباشرة نحو رجلي الشرطة، على أهبة الاستعداد لاستلال مسدسه ومهاجمة الشرطيين. وكذلك ايهود. بيد انه لم تكن هناك أي ضرورة لذلك، فقد أخلّى الشرطيان الطريق أمام العاشقين، وقد اصطدم أحدهما بكتف بتسار واعتذر.

توجه الاثنان نحو الباب الزجاجي المؤدي إلى البيت الموعود، وحاول ايهود فتحه، وتمكن من ذلك. كان موقف الحارس في مدخل العمارة فارغاً. ترك بتسار ايهود، وصعد السلالم، وبعد حوالي نصف دقيقة، وصل باقي أعضاء الخلية، وصعدوا السلم خلف بتسار.

وفجأة، خرج شخص من سيارة حمراء، من طراز (دوفين) كانت تقف على الجانب الآخر من الطريق، وأخذ يقطع الشارع. ولاحظ ايهود انه فتح معطفه الجلدي، وأخرج من داخله مسدساً، فاستنتج أنه الحارس.

تقدم الحارس باتجاه ايهود وعميرام لفين وعندما اصبح على بعد عشرة أمتار أشار ايهود إلى ليفين كي يستعد. ولدهشة الحارس البالغة، فتحت المرأتان الواقفتان الجاكيتات وأخرجتا رشائين، واسندتا ظهريهما إلى أحد الأعمدة، وفتحتا النار. أطلق الحارس عيارين، ثم تراجع ركضا إلى السيارة بينما المرأتان تطلقان صليات نارية باتجاهه. احتسى الحارس الجريح خلف (مصطبة) حجرية على الجانب الآخر من الطريق وقد أصابت إحدى العيارات صافرة السيارة الحمراء، وتسببت في حدوث (تماس) جعل السيارة تطلق صفيرها حتى انتهت العملية.

كانت الساعة الواحدة وتسعا وعشرين دقيقة، وقد ألغى صوت العيارات النارية المفاجئة، مما جعل الجنود يغيرون صعودهم الحذر إلى ركض سريع.

لاحظ ايهود بطرف عينيه أن الأضواء اضيئت في شقتين في العمارة: الطابق الثاني، والرابع، وفي الطابق السادس من عمارة أخرى. مما يعني أن تشخيص الهدف كان صحيحا، بيد أن عامل المفاجأة انتهى.

حدث كل شيء بعد ذلك بسرعة. فقد تسلق بتسار وطاقمه الدرج بسرعة إلى الطابق السادس، في حين اتجه طاقما نعماني وتسبيكة باتجاه الشقتين المخصصتين لهما.

احتل ايهود إحدى الزوايا المشرفة على شقق القادة الثلاثة، في حين بقي ليفكين ودوف بار ضابط التنسيق للكوماندو البحري في وضع المراقبة في الشلوع.

قفز بتسار كل ثلاث درجات معا، مع التأكد بأن تسبيكة وليوني ويونه يتبعونه. وصل الثلاثة إلى باب شقة أبو يوسف، فنقروا بتسار على جهاز الإرسال ثلاث نقرات، وبعد ثوان سمع خمس نقرات من ايهود دلالة على أن بالإمكان اقتحام الشقة. فجر المهاجمون الباب بالمتفجرات، وكانت المعلومات التي بحوزتهم تفيد بأن أبو يوسف سيكون في غرفة الضيوف في الجناح الأيسر للشقة، بيد أن الانفجار جعل أبو يوسف يقفز من مكانه ويتجه نحو الباب بالبيجاما، وحالما شاهد المقتحمين أدرك ما يدور.

أطلق يونه النار عليه من مسافة قريبة، وقبل أن يصاب، حاول فتح درج المكتب وإخراج المسدس، كما سارعت زوجته نحو يونه في محاولة لحماية زوجها، بيد إنها أصيبت بالعيارات، وقد صرخ أبو يوسف بشيء ما قبل أن يسقط أرضاً. جمع تسبيكة وليوني مئات الوثائق المختومة بخاتم حركة فتح، ووضعها في صندوق، واتجه نحو الدرج بسرعة.

سمع قائد الجندرية في المركز الواقع على بعد مائتي متر صوت العيارات النارية وصفير السيارة، فأرسل ستة رجال شرطة في سيارة لاندروفر، كي يعينوا ما يحدث.

بعد عدة ثوان من إطلاق النار على الحارس في الشارع ظهر اللاندروفر في الشارع، ففتح إيهود وعميرام لفين ودوف بار والدكتور شموئيل كيتس الذي شارك في العملية، عليه النار، مما جعل اللاندروفر ينحرف عن مساره، ويصطدم بالسيارات في الشارع. فتح قسم من رجال الشرطة النار، في حين أصيب بعضهم، واحتوى البقية من النار.

وفي نفس الوقت، بدأ الطاقمان الآخران عملهما. فتسلق طاقم نحمانى إلى الطابق الثاني. حيث منزل كمال عدوان. وحطما باب المنزل بالركلات، واقتحما المنزل. واكتشف نحمانى كمال عدوان، الذي حاول الاختباء خلف إحدى الستائر، وأطلق النار باتجاه المقتحمين من بندقية رشاشة كانت معه، مما أدى إلى إصابة أحد الجنود إصابات خفيفة، في حين أصيب عدوان وسقط قتيلًا. وفي الغرفة المجاورة اكتشف الجنود زوجته وابنه، بيد أنهم لم يؤذوهم، وجمعوا بسرعة الوثائق الموجودة وغادروا المكان، على عجل. جلس كمال ناصر خلف مكتبه في شقته الواقعة في الطابق الرابع في نفس المبنى، وأكمل الكلمة التي كان يعتزم إلقاءها أمام كبار ضباط حركة فتح غدا.

وقد شاهده تسبيكة، حينما تم اقتحام المنزل، وأطلق النار عليه عن قرب، وقد حاول كمال الوصول إلى المسدس الذي كان قريباً منه، بيد أن تسبيكة غير مخزن بندقيته، وأطلق عليه صليحة أخرى.

حدثت ضجة في مفترق الطرق القريب من شقق القادة الثلاثة، فقد وصلت سيارة لاندروفر أخرى تابعة للشرطة اللبنانية إلى المكان، وجابهها بروج ومن معه -بعد أن انضم إليه موكي بتسار بقوته- بيران حامية، وقد اصطدم اللاندروفر الثاني بالاندروفر الأول، وتوقفت البيران التي كانت تتطلق منه. نزلت خليتا كمال عدوان وكمال ناصر إلى الشارع، وكان أحد الجنود مصابا بجراح خفيفة فقام الدكتور كيتس بربط الجرح بسرعة وقد حدث ايضاً الطواقم على الدخول إلى السيارات التي أخذت تتجه إلى الشارع بسرعة. وقد أفادت آخر هذه السيارات، أن هناك سيارة لاندروفر ثالثة تتجه إلى المنطقة من الجهة الخلفية.

تخيل ايضاً مطاردة اللاندروفر للسيارات حتى ساحل البحر، واضطراره، هو والجنود، لمغادرة السيارات ومغادرة المكان تحت البيران، بيد انه سرعان ما قرر الانتظار بعض الوقت والتخلص من المشكلة بصورة جذرية، وخرج من السيارة هو و موكي بتسار وجنديان آخران، واستتروا خلف الأعمدة الرخامية، وفتحوا النار على "الاندروفر"، توقفت سيارة اللاندروفر فسارع بتسار لالقاء قنبلة داخلها، ثم صعد الجميع إلى السيارة التي انطلقت بهم.

أمر ايضاً بالقاء مسامير خاصة كانت قد أعدت مسبقاً على طريق المطاردة المحتمل في شارع (ابن القليب). وفي غضون خمس دقائق وصلت السيارة إلى (منتزة المشاة) على الساحل، فلاحظ ايضاً أن هناك سيارتي لاندروفر تقومان بأعمال الدورية والحراسة، فأمر السائق بتخفيف السرعة، وواصلت سيارتهما مسيرهما باتجاه نقطة المغادرة.

وعندما أصبحوا على الساحل تماماً، اتصل ايضاً بغرفة العمليات المتقدمة، وأعلمها بنجاح العملية وبمقتل القادة الثلاثة، وزوجة أحدهم، وسبعة جنود لبنانيين، وحارس خاص، وامرأة أخرى.

تلقى منو شيكد تقرير ايضاً، وتنفس الصعداء، بيد أن تنفسه كان للحظات معدودة، لان معركة كانت تدور في تلك الأونة في مدخل مبنى قيادة

الجبهة الشعبية. فقد قاد أمنون شاحك القوة إلى قيادة الجبهة، وكان قد تم التخطيط لاحتحامها في الساعة الواحدة وأربع وثلاثين دقيقة أي بعد أربع دقائق من اقتحام منازل القادة الثلاثة.

قاد أمنون شاحك القوة سيرا على الأقدام وببرود أعصاب باتجاه مبنى القيادة، وقد تقدم خلفه حاجي معيان، وأبيدع شور- وهما جنديان من دورية المظليين- وكانا يرتديان بنطالي (جينز) وقميصين مليونيين، وفي أيديهما مسدسات كاتمة للصوت. وسار خلفهم ايجال برسلر- قائد إحدى الفصائل في المظلات- والذي أصبح فيما بعد مستشارا لشئون الإرهاب لرئيس الحكومة اسحق رابين.

وبالقرب من المبنى، اصطدم ابيدع وحاجاي بمسليحين وأطلقا عليهما النار عن قرب، وقد قتل أولهما فوراً، في حين أصيب الآخر، وأخذ يستغيث طلباً للمساعدة، ففتحت النيران من كل اتجاه على المجموعة. مما أدى إلى إصابة ايجال برسلر مباشرة إصابة خطيرة، وقتل ابيدع وأصيب حاجاي معيان إصابة خطيرة، توفي على أثرها فيما بعد.

أمر ليفكين شاحك قوة التخريب باقتحام المبنى فقام مناحم زوتورسكي - قائد وحدة التخريب اللوائية- ونائبه اهارون سبج باقتحام المبنى وهما يطلقان النار. قام سبج بإخلاء حاجاي معيان المصاب بإصابة خطيرة، وعاد إلى غرفة الدرج التي تواصل فيها القتال.

دعا مناحم زوتورسكي بجهاز الإرسال إلى إدخال متفجرات إلى المبنى، فقام جنود وحدة الهندسة بوضع المتفجرات على أعمدة البيت، وبعد عدة ثوان هز ببروت انفجار عنيف، وانهارت قيادة الجبهة، وقتل عشرات المسلحين الذين كانوا داخلها، في حين بدأ الجنود بالانسحاب باتجاه الشاطئ، عادت قوة إيهود في البحر إلى ارتداء الملابس العسكرية. وحينما نزل إيهود بروج وأمنون ليفكين من الزورق الحربي في إسرائيل، التقت لهما صور وهما مقطبا الجبين.

واصل إيهود سفره من ميناء حيفا حيث رسا زورق الصواريخ في طبريا، ودخل إلى شقته في ساعات الفجر الأولى، ونام فوراً إلى جوار زوجته.

وعندما استيقظت (نافا) وجدت إلى جوار السرير حقيبة صغيرة وفيها ملابس مثيرة للفضول، وعندما فتحتها وجدت فيها الملابس النسائية التي كان ايهود يرتديها. وعندما استيقظ ايهود، كان عليه أن يقدم تفسيراً، بيد إنها وقبل أن تسأله لاحظت المكياج على وجهه وتحت عينيه. فتساءلت بدهشة عن ذلك قام ايهود برواية ما حدث في بيروت لـ(نافا) من البداية حتى النهاية.

وبعد مرور خمس وعشرين سنة من تنفيذ عملية ربيع الشباب، لا زال ايهود يرى فيها انجح عملية كوماندو تقوم دورية هيئة الأركان بتنفيذها. لقد فصلت العملية بصورة مناسبة جداً للدورية، ووفقاً للنموذج الذي بلوره ابراهيم أرنان قبل خمس عشرة سنة. لقد كان هناك عملية دمج ناجحة في (ربيع الشباب) بين الاستخبارات المتميزة، والتخطيط الصحيح والذكي، والعمل المشترك بين الأذرع العسكرية: دورية هيئة الأركان، والمظليون، والكوماندو البحري.

وبعد عدة أيام من العملية نشرت جريدة السفير اللبناني نبأ مفاده، أن من بين المهاجمين كانت هناك امرأة شقراء فابتسم ايهود وفكر فيمن تقصد الصحيفة؟؟ هو ايهود أم ليفكين شاحك أم ليوني رفائيلي؟؟

الفصل العاشر

من جامعة ستانفورد الأميركية إلى سيناء

كانت عملية ربيع الشباب آخر العمليات الكبيرة التي نفذها إيهود في إطار عمله كقائد لدورية هيئة الأركان، أي أنه وفي أقل من سنة أشرف على العمليات العسكرية الثلاث التي تعتبر أبرز ما نفذته الدورية في تاريخها: عملية تحرير الرهائن من طائرة سابينا، وعملية اختطاف الضباط السوريين، وعملية ربيع الشباب، التي تعتبر درة التاج بين عمليات هيئة الأركان. ولا شك أن أيًا من الذين سبقوه لم يصل إلى مستواه التنفيذي.

لقد آن الأوان للسير قدما في الترقى العسكري خصوصا وأن السنتين اللتين خصيصا له في قيادة الدورية انتهتا، ولم تبق سوى مشكلة واحدة هي مشكلة الوريث.

كان هناك ثلاثة ضباط يعتبرون أنفسهم أحق بالوراثية من الآخرين، وهم: يوني نتتياهو وجبورا زوريع، وداني يتوم -الذي لم يكن آنذاك في الدورية. كانت الخيارات الثلاثة متميزة لكن إيهود لم يخف رغبته في نقل عصا القيادة ليوني. إلا أنه ولهذا السبب، اقترح عليه الانتظار قليلا، فقد أمن إيهود أن الدورية كإطار معلق، تضع أمام القادة تحديات خاصة، بيد أنها لا تكسبهم تجربة قيادية على صعيد الأطر العسكرية العادية.

أوضح إيهود ليوني ، خلال الحوار الخاص بينهما، أن مسار القيادة للوحدة، يجب أن يمر بالمدرعات، "تحول إلى المدرعات، وتعلم كيف تقود الدبابات، وتعرف على أذرع الجيش الأخرى، وليس فقط المظليين والدورية، وبعد ذلك ستترأس الدورية". أي تماما على غرار المسار الذي اجتازه هو قبل خمس سنوات.

وافق يوني ، وإضافة إلى رغبته في الانخراط في سلك المدرعات فقد كان يرغب في إكمال دراسته، في جامعة هارفارد، بالولايات المتحدة. وبعد أن تلقى وعدا بأن يتم ترشيحه لرئاسة الدورية، بعد سنتين، أخلى يوني مكانه لجبورا زوريع.

كان داني يتوم في تلك الآونة- أيار ١٩٧٣- نائب قائد كتيبة دبابات في سيناء، وقد تلقى اتصالا هاتفيا من العقيد دوف تماري رئيس شعبة جمع المعلومات، في شعبة الاستخبارات العسكرية- يسأله فيما إذا كان معنيا بالعودة إلى دورية هيئة الأركان والتنافس على منصب القائد؟؟ فرد بالنفي، لقد كان معنيا في هذه المرحلة بمواصلة مسيرته في الدبابات.

وفي الأول من حزيران ١٩٧٣ ترك إيهود الدورية، أي بعد حوالي شهر ونصف الشهر من عملية ربيع الشباب. وفي نهاية حفل الوداع، منحه رئيس الأركان بن اليعيزر الوسام الخامس لعمله في الدورية.

وفي نفس هذا الحفل، الذي كان أكبر حفل في تاريخ الدورية- تم بث الفيلم "مهمة مستحيلة" والذي تم إعداده على وتيرة المسلسل التلفزيوني المعروف في تلك الآونة، والذي أصبح أحد الرموز الميثولوجية للدورية.

ومن الجدير بالذكر، أن الفيلم المذكور اعد عام ١٩٧٢، فقد أعدت الدورية حفلا خاصا، وقام ابراهام ارنان بمفاجأة الحاضرين بالفيلم الذي بادر هو إلى طرح فكرته. وقد لعب دور البطولة فيه ابراهام ارنان، دوف تماري، عوزي يائيري، مناحم ديجلي وإيهود أي جميع قادة الدورية باستثناء يوسف قسطل.

وفي بداية الفيلم، يتسلم ابراهام ارنان مظروفا مختوما، يحتوي على أمر بتنفيذ عملية سرية داخل الحدود المصرية. ويأتي صوت رئيس الحكومة على خلفية البث قائلا: "إذا ما نجحت سنسعد بسعادة النصر، وإذا فشلت فسننتصل من جميع المسئوليات".

ويقوم ارنان الذي يرتدي ملابس رئيس المافيا المأخوذ من فيلم "دون كورلياونو"، بعقد اجتماع عاجل لطاقمه الاستشاري للمهمات الخاصة. وحول الطاولة يجلس كبار رجال المافيا، مناحم ديجلي، عوزي يائيري، دوف تماري، وإيهود بروج، وهم يرتدون حلا حديثة، وفي يد كل منهم سيجار.

يقوم (الدون) ابراهام بعرض المهمة أمامهم: اختطاف اربع راقصات مصريات وإحضارهن إلى البلاد كي يلعبن دور نجوم الحفلة. ويتم تكليف أربعة

أشخاص بالتنفيذ، هم : ابشه ادموفيتش وجبيلي الصغير، وكوبي يتسيف وإيلي جيل. ويتم تنفيذ العملية بنجاح.

قبل تركه للدورية، اجتمع ايهود مع رئيس الأركان بن اليعيزر الذي لم يخف محبته للضابط الشاب، وعرض عليه مسار ترق سريع: دورة (مارينز) - مشاة البحرية الأميركية - في الولايات المتحدة، ووظيفة رفيعة بعد إنهاء الدورة. ومن الجدير بالذكر، أن دورة (المارينز) تعتبر في الجيش الإسرائيلي دورة رفيعة للغاية، ولا يتم إرسال الضباط إليها إلا إذا كانوا ضباطاً في الوحدات الميدانية وبعد أن يكون قادة الجيش قد اعتبروهم زخماً مستقبلياً للقيادة الميدانية. وقد سبقه إلى هذه الدورة : رفائيل إيتان، وإبراهيم أرنان، ومنو شيكد، ودوف تماري، وعوزي يائيري، وعاموس يرون.

-بن اليعيزر: ما الذي تريد عمله حينما تعود من الدورة؟؟

-إيهود : قائد لواء دبابات، لقد عملت كقائد لسرية دبابات، وقائدًا لكتيبة مشاة، والتواصل الطبيعي -حسب رأيي- هو قائد لواء دبابات.

-بن اليعيزر: لدي عدد كبير جداً من المرشحين لقيادة اللواء الرابع عشر أو لأي لواء نظامي آخر، بيد أنه لا يوجد لدي مرشح جيد لمنصب رئيس شعبة جمع المعلومات في شعبة الاستخبارات العسكرية. ولا اعتقد أن هناك من يمكن أن يقوم بذلك أفضل منك، لقد عمل إبراهيم أرنان في هذه الوظيفة أيضاً، وقام بعمل جيد.

-إيهود : إذا كان الأمر على هذا النحو، فإنني أتنازل عن دورة المارينز، وأفضل أن اذهب إلى جامعة ستانفورد في كاليفورنيا لإتمام رسالة الماجستير في تحليل النظم.

بدأ بن اليعيزر مندهشاً، وقال: أنت تعرف أن الجيش لا يوافق على إكمال الدراسة في جامعات مدنية.

-إيهود: أرجو أن تسمحوا لي لقد آن الأوان لذلك.

-بن اليعيزر: دعني أرى ماذا يمكننا عمله.

انتهاز ايهود فرصة دراسة بن اليعيزر لطلبه وقام بجولات في الوحدات العسكرية المختلفة لوداع الضباط والجنود الذين يعرفهم وقد التقى بلواءين هما إسرائيل طل، وإيلي زعيرا اللذين أكدا له، أن لديهم وعودا بان يصبح رئيس الأركان القادم، وألحا له بان لقاءه القادم بعد عودته، هو في مكتب رئيس الأركان. ولدهشته البالغة، حينما وصل إلى الولايات المتحدة واجتمع بالملحق العسكري اللواء موتي جور سمع منه نفس الأقوال. وقد سجل ايهود لنفسه ملاحظة حول أسلوب التهرب المتبع في الجيش، والذي سيواجهه قريباً.

أثار مطلب ايهود إكمال رسالة الماجستير عدم ارتياح في هيئة الأركان، فقد كان من المتبع حتى ذلك الحين، اختيار ضباط معينين وإرسالهم في دورات مارينر متقدمة. ولم يكن من المألوف خروج ضباط لإكمال رسالة الماجستير.

ناقشت شعبة الطاقة البشرية في هيئة الأركان الطلب، وقررت رفضه. شعر ايهود بالإهانة، وأعلن اعتزازه أخذ إجازة دون راتب من الجيش وألا يلتزم بالعودة بيد أن بن اليعيزر لم يكن على استعداد لسماع ذلك، وخشي من أن يستجيب ايهود لعالم رجال الأعمال ويفقده الجيش. وفي نهاية المطاف، وافق الجيش على إكماله لدراسته.

وصل ايهود إلى جامعة ستانفورد باسمه الجديد "ايهود براك" لقد كان حتى تلك اللحظات ايهود بروج، وقرر أن يحول اسم العائلة إلى اسم عبري.

وصلت عائلة براك إلى ستانفورد في آب ١٩٧٣ - ايهود و(نافا) وابنتهما ميخا - وكان ايهود مصراً على إنهاء دراسته في أقل من سنتين والعودة إلى الجيش. وهكذا، بعد سنوات طويلة من التخطيط العسكري، والعمليات أخذت عائلة براك تتأقلم مع وضع مختلف تماماً وتتمتع بكل دقة من الحرية والارتياح النفسي.

وفي السادس من تشرين الأول ١٩٧٣ - أي قبل مضي أقل من شهرين على وصول العائلة إلى ستانفورد - اجتاحت القوات المصرية قناة السويس، واجتاز الجيش السوري الحدود، وفاجأ إسرائيل في حرب تشرين.

سمع ايهود عن بدء معارك حرب عام ١٩٧٣ لأول مرة من التلفزيون، فسارع بالاتصال باللواء موطي جور -الملحق العسكري في السفارة في واشنطن.

-ايهود : ما هي الأخبار؟؟

-موطيه: يخيل إلي أننا لا نخسر حربا كبيرة.

-ايهود: ماذا تعني بنحن. إننا في واشنطن لواء في وظيفة رسمية، وأنا مقدم، ولا اعتزم إضاعة الحرب الجارية في إسرائيل.

-موطيه: ربما من الأجدي أن تصبر يوما أو يومين.

-ايهود: ولا حتى لحظة واحدة.

-موطيه: هناك مشكلة في الطيران إلى إسرائيل فالجميع يريدون العودة إلى إسرائيل.

-ايهود: أنت ملزم بتدبير مقعد لي على أول طائرة إلى البلاد.

-موطيه: يجب أن تعرف أن هناك ازدحاما كبيرا في مطار كندي.

-ايهود: سأودع (نافا)، وأقلع في أول رحلة جوية من سان فرانسيسكو إلى نيويورك.

لم تكن هناك معلومات كثيرة متوفرة، وكل ما كان يعرفه، هو أن الجيشين المصري والسوري فاجا الجيش الإسرائيلي، وأن معارك طاحنة تدور في سيناء وهضبة الجولان.

وبعد رحلة طويلة، وصل إلى مطار (كندي) وهناك وجد مئات الإسرائيليين يناضلون من أجل الحصول على مقعد في طائرة العال المتجهة إلى إسرائيل، ولدهشته البالغة برز اسمه بين أسماء المسافرين. لقد أوفى موطيه جور بوعده.

وفي نفس اليوم، وصل إلى إسرائيل في رحلة من الولايات المتحدة، ضابط آخر من دورية هيئة الأركان، النقيب بنيامين نتنياهو، لقد علق هو الآخر دراسته و عاد إلى إسرائيل.

وجد ايهود في مطار اللد عوزي ديان بانتظاره، وقد اتجه الاثنان فوراً إلى هيئة الأركان.

لقد سبق له أن زار مقر هيئة الأركان عشرات المرات، بيد أنه لم يسبق له أن شاهد مثل هذا الوضع. بدت الوجوه شاحبة متعبة حد الإرهاق، وذقون لم تحلق، وشعور بالارتباك والقلق في العيون، حتى رئيس الأركان بدا منهكاً. ورغم ذلك، كان أكثر الضباط الموجودين إصراراً على أن الدنيا لم تنته، وأننا سننتغلب على الأزمة.

وعندما رأى اللواء اهارون ياريف رئيس شعبة الاستخبارات السابق، عائقه، وقال له: الوضع صعب، صعب، أنه لم يكن في أي مرة سابقة بمثل هذه الصعوبة.

كانت هيئة الأركان قد تلقت قبل برهة وجيزة، أنباء حول فشل الهجوم المضاد الذي شنّه اللواء (بيرن)، وأن عشرات المدرعات التابعة له، بقيت في ساحة المعركة والنيران تأكلها. ولأول مرة، تدرك هيئة الأركان، أن الأمر لا يتعلق بضربة عسكرية عابرة.

توجه ايهود إلى رئيس الأركان، وقال: "ما هو أهم مكان تريدني فيه؟؟" فقال بن اليعيزر: في كل مكان، بيد أنني اعتقد أن أهم مكان الآن هو دعم المدرعات، اذهب إلى اللواء مردخاي تسيبوري، فهو يعمل على تشكيل كتيبة جديدة من مخازن، الطوارئ، ترأس الكتيبة، واختر طاقمك من الذين جاءوا من الخارج، وتوجه إلى سيناء، فالوضع هناك فظيع". وفي نفس الليلة، التقى ايهود باللواء تسيبوري، وحصل منه على التوجيهات الأولية.

أجرى ايهود الكثير من الحوارات مع الضباط في هيئة الأركان، والذين اتفقوا على أنه في أعقاب تدمير قوة (بيرن)، فإن القوة التي تفصل بين المصريين وتل أبيب، هي قوة اللواء ارئيل شارون.

وفي صبيحة يوم الثلاثاء - وبعد ثلاثة ليال متواصلة من عدم النوم، وصل المقدم ايهود براك إلى (جولس)، وهناك شاهد مئات الجنود يجلسون على

الحشائش أمام قيادة قوات المدرعات، وجميعهم من المتطوعين الذين علقوا تعليمهم في الخارج وأعمالهم، ونزعاتهم، وقدموا لخوض الحرب.

وفي صبيحة اليوم التالي اجتمع مرة أخرى بتسيبوري والذي بدا رغم حالة الإرهاق الشديدة، واثقا من نفسه، وقال لايهود : الوضع سيء للغاية، ويتفاقم، أن الضربة التي لقيت (ببيرن) قد تؤدي لاهارتنا، وبمقدور المصريين الاندفاع شرقا، ولا توجد لدينا قوة لصدّهم".

اعد تسيبوري بسرعة، كتيبة دبابات من مخازن الطوارئ: فصيلتان من دبابات (الباتون) التي يعرفها ايهود منذ تدريبه السابق على المدرعات. وفصيل دبابات (ستوربيون) التي لم يسبق له أن تعرف عليها، وفصيل من سلاح المشاة المدرع. وقال لايهود: الدبابة هي الدبابة، توجه مع ما هو متوفر، المهم أن تتجه بسرعة.

أدرك منذ اللحظات الأولى، أن الجنود يرغبون في التوجه بسرعة إلى الجبهة، فالمعلومات التي كانت تصل من الجبهة جعلتهم تواقين للتوجه إلى هناك، على جناح السرعة. ومن بين الضباط الذين كانوا يرغبون في ذلك، كان هناك ضابط شاب نال إعجاب ايهود منذ اللحظات الأولى، ويدعى موشيه (عبري) سوكنيك. ورغم أن الاثنين لم يلتقيا من قبل، إلا أن صداقة وطيدة نشأت بينهما، وبقيت زمنا طويلا.

وفي أعقاب لقائه مع الضباط، توجه ايهود إلى وحدة مخازن الطوارئ لأخذ دباباته، وهناك شعر أن الدنيا أصبحت سوداء من شدة الغضب. فقد كان قسم من الدبابات (عاريما) تماما، دون مدافع رشاشة في البرج، وقسم منها دون تلسكوب أو أجهزة تنسيق نيران. وقبل أن يشرع في الشتم فهم أنه لا خيار آخر أمامه، وعليه أن يأخذ الدبابات ويتجه إلى سيناء، وهناك عليه تدبير أموره.

توجه ايهود إلى قيادة اللواء للحصول على أمر مهمة، وقابل قائد القطاع الجنوبي شموئيل جونا (جوروديش)، والذي بدا وكأن العالم كله تداعى فوق

رأسه. وكان الفريق السابق حاييم بارليف، قد عين قبل يوم واحد قائدا للجهة الجنوبية.

ضغط (جوروديش) على ايهود، كي يترك كتيبة الدبابات التي لا زالت في طور التكوين، وان يتوجه بكتيبة دبابات (تي-٣٤) روسية سبق أن غنمتها إسرائيل خلال حرب ١٩٦٧، والاتجاه نحو البحيرات المرة، تحت غطاء دبابات مصرية لتدمير الدبابات المصرية بالقرب من قناة السويس.

وكي يدرس ايهود محور العمليات، طلب تزويده بصورة جوية، بيد أن شعبة الاستخبارات أفادت، بأنه لن يتوفر مثل هذه الصور، الا بعد عدة ساعات. وبعد أن درس ايهود العملية، مع نائب قائد الكتيبة، آفي رومانو، أدرك انه بحاجة لأربع وعشرين ساعة، لطلي الدبابات وإجراء بعض المناورات، لذا عاد إلى جوروديش. وقال له: يجب الانتظار حتى تصل الصور الجوية، وهو الامر الذي لم يرق لجوروديش. وقد سمع بارليف المحادثة بين الاثنين، فسأل جوروديش عما يقوله ايهود، وحينما أعلمه، قال بارليف: ايهود محق، ومن المحتمل أن نكون بهذه العملية، كمن يضرب رأسه في الجدار. وهكذا تراجع جوروديش عن العملية، وعاد ايهود إلى كتيبته الأصلية.

عملت الكتيبة في البداية، ككتيبة احتياطية، في منطقة (رفيديم)، وكانت القيادة تدفع بها إلى الأماكن المختلفة وفقا للتقارير الاستخبارية، والتي لم تكن في أغليبيتها ذات أساس من الصحة. فقد وصلت معلومات إلى قيادة القطاع الجنوبي، حول اعتزام المصريين إنزال فرقة مظليين في (رفيديم)، وشائعات حول مخطط مصري لمهاجمة المواقع المتقدمة للقيادة الجنوبية.

مارس ايهود ضغوطا من أجل تسلم مهام حقيقية، بيد أن بارليف، الذي أعاد التوازن للجهة الجنوبية، هذا من روعه قائلا: "أعدك أن تقاثل في هذه الحرب، بيد أننا بحاجة إلى كل دبابة وكل جندي وكل قائد. يجب أن نعمل أولا، على تهدئة الجهة، كي نتمكن من التفكير والعمل بعقل".

في الخامس عشر من تشرين الأول، اجتاز المظليون بقيادة العقيد داني ماط قناة السويس. وفي الوقت الذي كانت كتيبة ايهود تتخذ الاستعدادات اللازمة لاجتياز القناة، تمكن المصريون من قطع محور (طيرطور) المؤدي إلى القناة. وفي السابع عشر من تشرين الأول، أرسلت كتيبة المظليين (٨٩٠) بقيادة المقدم اسحق مردخاي لفتح المحور المغلق. ولم تكن لدى قائد الكتيبة الذي نشر قواته واندفع شمالا أي فكرة بأنه يتجه إلى حوض موقع فرقة مصرية متخذة بصورة جيدة، ويوجد معها لواء دبابات، وبطاريات مدفعية وكتائب كوماندو مجهزة بصواريخ ساجر.

ولم تقم أي جهة في قيادة الجنوب، بإعلام قائد اللواء المتحرك باتجاه خنادق العدو، أن هذا الموقع قصف في صباح نفس اليوم لواء مظليين احتياط، وكتيبة دبابات.

أتاح المصريون الفرصة للواء الإسرائيلي للاقترب حتى غدا على بعد عشرات الأمتار من هذا الموقع المعروف باسم المزرعة الصينية. ثم فتحوا عليهم نيران الجحيم، وقد قاتل لواء المظلات بكل ما أوتي من قوة، بيد أن القادة والجنود تساقطوا بغزارة.

أعلم اسحق مردخاي بصوته الهادئ، القيادة، عن المعركة الشرسة التي يخوضها ضد قوات كبيرة والإعداد الكبيرة التي سقطت من قواته. ورغم أن القائد حاول السيطرة على أعصابه إلا أن الوضع كان سيئا للغاية، فقد كان المصريون يهددون في كل لحظة بالهجوم وإغراق المظليين المنهكين بالنيران.

في حوالي الساعة الرابعة صباحا أيقظوا ايهود من قيادة الفرقة، وأعلموه بان المظليين يواجهون مشكلة، وأن على كتيبته أن تتجه إلى المنطقة.

وبعد إعداد سريع، انطلقت الكتيبة باتجاه الموقع، وبعد حوالي ثلاثة أرباع الساعة، حدث أول اتصال بين ايهود وعوزي يانيري قائد لواء المظلات، وقد طلب يانيري النجدة، وقال أن كتيبته في أزمة حقيقية. وان أضرارا جسيمة

لحقت بالجنود، وطلب أن يرسلوا إليه، في أسرع وقت ممكن، تعزيزات من المدرعات.

-يهود: من القائد هناك.

-يائيري: اسحق مردخاي، ولديه إصابات جسيمة.

-يهود: قل له أن يصمد، أنا في الطريق إليكم، عندما نقترّب أعطونا إشارة كي نتعارف.

اتصل عوزي يائيري بمردخاي وقال له: يهود في الطريق إلينا، انه الرجل المناسب في مثل هذا الوقت.

قاد يهود الكتيبة، وتقدم على رأسها، والى جواره المقدم يشاي يزهر - ضابط مظلّين سابق، والذي أصر على الانضمام إلى الكتيبة عندما سمع بأنها تسعى لإنقاذ المظلّين. وفي ساعات الفجر الأولى اقترب يهود بمدراعاته من نقطة الإشارة، بيد أن الضباب كان كثيفاً، ولم يكن بالإمكان تحديد مكان لواء المظلّات.

تمكن يهود من الاتصال بمردخاي، وقال له: أطلق قنبلة دخان كي أستطيع تحديد مكانكم، فاستجاب مردخاي، رغم الصعوبات التي كانت قائمة، ورغم إدراكه انه يكشف نفسه بذلك ويعرض لواءه لهجمات المصريين.

شاهد يهود الدخان الأحمر المتصاعد من القنبلة، فقال لمردخاي: لقد عرفت مكانكم، انتم على بعد كيلو متر منا، سهاجم، واندفع بدباباته الباتون إلى الأمام، والى جانبه فصّيل (سوكنيك) وحينما وصلوا إلى التلة التي كان المظلّيون يحتمون بها، شاهدهم أمامه، وغالبيتهم جرحى، وبتراجعون إلى الخلف، تجاوزهم يهود، وقال لمسؤولي فصائل كتيبته، عندما أعطي الأمر، افتحوا النار. وعن بعد، شاهد مجموعة قيادة الكتيبة (٨٩٠) منغمسة في الرمال، وشاهد عشرات المظلّين منبطحين على الرمال.

فاجأ ظهور الدبابات، المصريين لثوان بيد انهم سرعان ما تمالكوا أنفسهم، وردوا بهجوم بصواريخ ساجر من الجناح، وقنابل الدبابات من الأمام،

مما أدى إلى إصابة الدبابات الأولى في كتيبة إيهود، وإضرار النيران فيها، وانضمت إلى القصف دبابات مصرية، كانت متخذة أمامها.

واصلت الدبابات الإسرائيلية التي لم تصب هجومها، وشاهد إيهود مجموعة من الجنود المصريين وهي تصوب قذائف (الآر بي جي) إلى دبابته. فصرخ بقائد دبابته: ادهسهم، ادهسهم. هذا في الوقت الذي علمه قائد الفصيل الثاني أن أربع دبابات من دباباته الإحدى عشرة قد أصيبت.

توقف الهجوم، وأخذت الدبابات التي لم تصب في التغطية على قوات سلاح المشاة التي بدأت تخلي الجرحى المظليين إلى قناة خلفية. كانت هناك ثلاث دبابات تشتعل فيها النيران عن يمين إيهود، واثنان تحترقان عن يساره.

حال بدء الهجوم، بدأ فصيل سلاح المشاة في إخلاء المظليين الجرحى إلى قناة مياه خلفية جافة في المزرعة الصينية، تبعد حوالي خمسمائة متر، وقد أصيبت عدة سيارات مدرعة، واشتعلت فيها النيران، ومن ضمنها سيارة قائد الفصيل. ولم يعد القائد يرد على الاتصالات كانت المدرعات تشتعل بالنيران في كل مكان.

أصبحت الكتيبة تتعرض لخطر الإفناء، وقد تساقطت الصواريخ وقنابل (الآر بي جي) من كل اتجاه.

نفذت الذخيرة من بندقية العوزي التي بحوزة إيهود، وأخذ يستخدم القنابل اليدوية، ويلقي بها في كل اتجاه، على أمل أن يحد من هجوم وتحركات الجنود المصريين، يساعده يشاي يزهر. وفجأة لاحظ أن يزهر أصيب إصابة خطيرة فقد أطلق عليه أحد الجنود المصريين النار فأصاب شريانا مركزيا في رقبته. حاول إيهود وقف تدفق الدماء دون جدوى. وكانت القنابل تخطئ دبابته بأمطار معدودة.

أعلمه سوكنيك بأن فصيله مني بالمزيد من الإصابات، في حين أعلمه العقيد عوزي يائيري بأن سلاح المشاة تمكن من إخلاء غالبية المظليين الجرحى. وأن المظليين الذين لم يصابوا، بدأوا يستعدون للدفاع.

طلب ايهود من سوكنيك وضباط آخرين، أن ينجوا بأنفسهم، ویتراجعوا إلى الخلف إلى مواقع دفاعية. واتضح في هذه المرحلة، أن ثمانية جنود مظليين وضابطي دبابات جرحى من قوة ايهود، قد تخلفوا في ساحة الميدان. كان الوضع صعبا للغاية، وبينما دبابتان تلتهمهما النيران، لاحظ براك خلف التلة، في المنطقة المكشوفة بين المصريين والقناة التي انبطح فيها المظليون الجرحى، لاحظ أن أحد قائدي الدبابتين قد نجح في الخروج من الدبابة المشتعلة والى جواره مجموعة من المظليين، وقد بدأ القائد يصرخ في جهاز الإرسال: "أنقذونا، أن المصريين يطلقون النار علينا من على بعد خمسين مترا، وهم يقتربون".

طلب ايهود إسنادا مدفعيا لوقف تقدم المصريين، وفي نفس الوقت، اعد قوة إنقاذ على سيارات مدرعة، وقد تطوع للمهمة ضابطان شابان من قاعدة التدريب الثالثة، هما: جيورا شوهم، وجدعون دبور تسكي لمهمة الإنقاذ، في حين واصل قائد الدبابة طلب النجدة. وفي هذه الأثناء انضمت إلى المعركة دبابة من لواء (نتكة نير) والتي هاجمت المصريين من الجناح.

اندفعت السيارات المدرعة بقيادة براك، وفيها الضابطان المذكوران ومتطوعون آخرون من سلاح المشاة والمظليين إلى المنطقة المكشوفة، وقامت بتحميل الجرحى، والانسحاب إلى مكان مخبأ من النيران. ولم تمض ثوان معدودة، حتى كان الجنود المصريون يتدفقون إلى المنطقة كالسيل العرم. تأثر ايهود من الشجاعة التي أبداه الضابطان الشابان، وشد على أيديهما واعداد بأن يلتقي بهما في أعقاب انتهاء الحرب. بيد انهما قتلا بعد أربعة أيام غربي القناة.

وفي ساعات المساء، انطلقت بقايا الكتيبة ٨٩٠ سيرا على الأقدام باتجاه القناة، في حين بقيت كتيبة ايهود في المنطقة، ثم جاءت كتيبة دبابات من اللواء (٦٠٠) للحلول محلها. وبينما ايهود يعلم قائد الكتيبة بالدبابات المحروقة، والجنود المفقودين، هطل على الكتيبتين سيل من صواريخ الكاتيوشا، بيد أن أيا منهما لم يصب.

أدت معارك الإنقاذ التي خاضها إيهود لتخليص المظليين إلى خلق توتر خفي بين قائدي المعركة: إيهود براك، واسحق مردخاي فقد شعر مردخاي، بالضيق جراء الأوصاف التي تناقلتها وسائل الإعلام حول العملية، وقال في العديد من المناسبات، أن الدبابات وصلت متأخرة جدا، وبعد زمن طويل من طلبه الإسناد من قائد لواء المظليين. ولم يعجبه ما قالت وسائل الإعلام أن كتيبة الدبابات احتلت المزرعة الصينية، في الوقت الذي منى هو بالفشل.

لم يكن اسحق مردخاي يعلم أن استدعاء كتيبة إيهود، جاء بعد زمن طويل من استغاثته، وأن الكتيبة استعدت في أقل من ساعة، كما كان عليه أن، يجتاز بدبابته منطقة كثبان رملية وعرة طويلة عشرة كيلومترات فيما هو يقوم بالتوجيه وفقا للتوجيهات التي تلقاها فقط. أضف إلى ذلك، أن إيهود لم يخطئ، حينما احتل المزرعة الصينية، بل على العكس، فقد اعترف بأن كتيبة الدبابات التي كان يقودها- وعلى غرار الكتيبة ٨٩٠، ودورية اللواء الثمانين قبله- اضطرت إلى النجاة بالتراجع إلى الخلف بسبب كثرة المصابين. لقد أدرك الاثنان، فيما بعد، أنه لو كان الوضع معروفا مسبقا، لما كان بالإمكان تنفيذ المهمة التي قام بها إيهود، إلا من قبل قوة مشتركة من المظليين والدبابات، والمدفعية.

وفي ساعات الليل بدأت كتيبة دبابات الباتون الجريح، بالتحرك غربا باتجاه القناة، واجتازت القناة فوق جسر، وبعد حوالي ساعة من قطع القناة وعندما اقتربوا من قناة المياه الحلوة، على الجانب الغربي من القناة شرع المصريون في قصفهم قصفًا شديدا جدا. أوقف إيهود دبابته، ونزل تحتها، وأخلد للنوم. ولم تستطع القذائف وانفجاراتها إيقاظه من النوم العميق الذي حط عليه بعد يومين متتالين، بلا نوم.

وبعد ساعتين، أيقظه أحد الضباط، وقال له: لقد تلقت الكتيبة أمرا بالتحرك كي تهاجم بطارية صواريخ. لقد تذكر قائد الجبهة، حايم بارليف، أن إيهود يحب العمليات الخاصة، وكلفه بمهاجمة بطارية صواريخ أرض - جو كانت قد ألحقت بسلاح الجو الإسرائيلي خسائر فادحة.

اخترق ايهود بدباباته عمق الأراضي المصرية في وضح النهار وهو يطلق نيرانه في كل مكان -على غرار ما كان يفعل إيان ترؤسه دورية هيئة الأركان، بيد انه، هذه المرة، كان على متن دبابة: حركة، واختراق بالنيران وتدمير الهدف ثم العودة باتجاه القوات الإسرائيلية. وسجل ايهود أمامه، أن مقاومة المصريين غربي القناة، تختلف عنها شرقي القناة، مثلما رآها في المزرعة الصينية.

كانت المهمة التالية للكتيبة تتمثل في مهاجمة قوات مصرية في منطقة المطار الأمامي في (فايد).

وعندما عاد ايهود إلى المعسكر حيث تقف المدرعات، قال له سوكنيك، أن هناك ناقلة جنود مدرعة مفقودة، من مدرعات سلاح المشاة. وفي أعقاب إجراء استجواب للجنود اتضح أن جنديا شاهدا ناقلة مصابة بالقرب من خطوط المصريين.

ويقول سوكنيك، كانت تلك لحظة صعبة، فقد أدركنا أن لدينا مصابين أو مفقودين بالقرب من خطوط المصريين. وضع ايهود على جسمه معدات الجنود، وملاها بمخازن الرصاص، وقال: أنا ذاهب للبحث عن المدرعة المفقودة.

كان ايهود يدرك، أن ضباط الدبابات غير مؤهلين للتحرك ليلا، وخلال الصدام المحتوم مع المصريين، لذا قرر الذهاب للبحث عن المدرعة، وطلب ألا يرافقه أحد، كان عليه السير عدة كيلومترات في المنطقة القريبة للخطوط المصرية، واخذ معه جهاز رؤية ليلية. وبعد سير سريع على الآثار التي تركتها الدبابات خلفها، عثر على جنديين إسرائيليين جريحين من جنود المدرعة، قالوا له: أن المدرعة أحرقت بكل ما فيها، ولم يبق على قيد الحياة سواهما.

لقد تمكنت الكتيبة من أسر حوالي مائتي جندي مصري خلال القتال. بيد أنه لم يكن لديه فائض من الجنود لحراسة الأسرى، لذا نزل ايهود من الدبابة، وصفهم في طابور ثلاثي، وعين أحد الضباط المصريين مسئولاً عنهم، وقال له بالعربية انه لا يجب أن يتحركوا وإذا تحركوا سيطلق عليهم النار.

سارت الدبابات إلى مسافة تمكن الأسرى من الفرار إذا أرادوا ذلك،
وعندما عادت الدبابات في صبيحة اليوم التالي من مهمتها، فوجئ إيهود برؤية
الجنود المصريين وهم يجلسون مثلما تركهم.
لقد كانت تلك نهاية الحرب. ففي الرابع والعشرين من تشرين الأول،
دخلت اتفاقية وقف إطلاق النار حيز التنفيذ الفعلي على الجبهة المصرية.

الفصل الحادي عشر

اليهود..... المدرعات..... الاستخبارات

نجحت توصية وزير الدفاع، موشيه ديان، وفي غضون أقل من شهر زُقت البشري لايهود بترقيعه إلى رتبة عقيد، وتسليمه زمام القيادة في لواء مدرعات نظامي.

كانت تلك أيام عصيبة بالنسبة للجيش. فقد نشرت لجنة (اغرنات) أجزاء من التقرير الذي ألقى على كاهل الكادر العسكري، المسؤولية عن حرب تشرين ١٩٧٣.

في تلك الفترة، استقال رئيس هيئة الأركان دافيد اليعيزر، وتظاهر آلاف جنود الاحتياط يومياً في القدس، مطالبين باستقالة حكومة جولدا مائير. كانت الضربة التي تلقاها سلاح المدرعات في تلك الحرب عنيفة، فقد قتل الكثير من قادة الفرق والكتائب، وكانت الخطوة الأهم، ترميم السلاح.

كان ايهود يثق بقدرته على إنجاز هذه المهمة. وقد عين قائداً للواء النظامي رقم (٤٠١) الذي أمضى معظم الوقت في سيناء، سواء أكان ذلك في التدريبات أو العمليات التنفيذية، واختيار خطوط التمركز العسكري.

لم ينل تعيين ايهود رضا الجميع في سلاح المدرعات، لا سيما وأنه كان المظلي الثاني الذي تمكن من الوصول إلى قيادة هذا اللواء ولم يسبقه إليه، إلا العقيد دان شومرون الذي كان ضابطاً مظلياً قديماً، قاد اللواء في حرب ١٩٧٣، واعتبر أحد أفضل القادة في اللواء آنذاك، خاصة وأن دباباته لعبت دوراً رئيسياً إلى جانب لواء (١٤) في التصدي للجيش المصري في سيناء.

اختلف المسؤولون في سلاح المدرعات بشأن تعيين قائد لواء (٤٠١) وكان منهم من قال أن قائد اللواء، يجب أن يكون قد خدم في سلاح المدرعات. بيد أن اللواء يسرائيل ظل، رئيس شعبة العمليات، في مطلع عام ١٩٧٤، واللواء يكتوئيل آدم، الذي كان آنذاك قائد القوات في سيناء وعرف ايهود من قيادة المنطقة الشمالية، حسماً القضية وأوصيا بتعيين ايهود وقد نظر موطي جور وشمعون بيرس الذي عين آنذاك وزيراً للدفاع، بعين الرضا إلى هذا التعيين.

وخلافا لموقف فرق المدرعات حاز ايهود، وخلال وقت قصير، على رضا طاقم اللواء رفيع المستوى، وكانوا جميعا من أفراد سلاح المدرعات منذ الصغر. فقد أذهلهم بمناورات غير عادية، بدت مختلفة تماما عن صورة الحرب التقليدية في سلاح المدرعات. وكانت العبرة المهمة التي استقاها ايهود من الحرب، ضرورة المبادرة المستمرة، التي تفقد العدو موازينه.

تبنى قائد الوحدة الجديد أسلوب المعارك الليلية، وكان يحرص على وصول الدبابات إلى أهدافها بطرق غير متوقعة، ليتسنى لها تطويق "العدو" ومفاجاته في أماكن لم يكن يتوقعها.

استغل براك علاقاته في هيئة الأركان العامة، ونجح في إكساب اللواء مزيدا من ساعات التدريب، والتعاون في المناورات اللوائية، مع تشكيلات سلاح المشاة. لقد استقى العبر من مأساة المدرعات في مواجهة الصواريخ، بذل الكثير من الجهود، على صعيد التعاون المشترك بين الدبابات سلاح المشاة والمدفعية.

أثارت المعرفة التي أبداها براك في الدبابات الأميركية، دهشة ضباط سلاح المدرعات. فقد كان يقود الدبابة بمهارة فائقة ويصيب أهداف الرماية بدقة. يقول داني يتوم، أحد قادة الكتائب الذين عرفوا ايهود منذ أيام دورية هيئة الأركان: "كان ايهود قائد لواء مدرعات ممتازا، وقد بنى فرقة قيادية متميزة كان سلاح المدرعات في تلك الفترة، يعاني من نقص في قادة الدبابات وقادة السرايا. وقد تم في قواعد التأهيل في سلاح المدرعات، تأهيل عدد من الضباط لهذه المهمة.

عمل لواء (٤٠١) كوحدة سلاح مشاة متميز فقد تدرب على عمليات توجيه ملاحية ليلية، إلى مسافات لم تكن مألوفة في سلاح المدرعات آنذاك، والفضل يعود لايهود، الذي طور أساليب حربية تهدف إلى رفع مستوى النجاح في مواجهة مشكلة الصواريخ المضادة للدبابات. ولقد توصلنا في المناورات الكبيرة، التي أجريت، إلى نتائج أفضل من تلك التي توصل إليها المحترفون في سلاح المدرعات".

كان الكثير من الضباط في سلاح المدرعات غير راضين عن أسلوب تدريبات سلاح المشاة الذي فرضه براك في اللواء. وكان أبرز هؤلاء، العقيد يوسي بيلد، الذي قال "هذا ليس سلاح مدرعات، بل سلاح مظليين سلاح المدرعات يحارب بصورة أخرى".

غير أن أكثر ما أثار دهشة ضباط سلاح المدرعات، قدرة إيهود على التوجيه الملاحى. ففي إحدى المناورات الليلية، التي أجرتها إحدى الفرق في منطقة (تساليم) في النقب، اخطأ أحد ضباط الفرقة أثناء عملية توجيه ملاحى، وضل طريقه. شعر براك، الذي كان يستمع إلى شبكة الاتصال. إن أحد الضباط وقع في أزمة صعبة. ولم يعد يعرف المكان الذي هو فيه. كان كل ضباط الفرقة يستمعون إلى الحوار الذي جرى بين قائد اللواء والضابط الصغير:

-الضابط: "لا اعرف أين أنا".

-إيهود: "لا تقلق سنساعدك. انظر حولك، هل ترى هالة من الضوء".

-الضابط: "نعم أرى هالة من الضوء، لكنها بعيدة جداً".

-إيهود: "هل هذا الضوء على يمينك أم يسارك؟"

-الضابط: "على يساري".

-إيهود: "ابدأ بالسير وانظر ما إذا كانت كثبان الرمل ستنتهي بعد بضعة كيلومترات وتبدأ بالانحدار".

-الضابط: "لكن لا اعرف بأي اتجاه سأسير".

-إيهود: "انظر إلى الشمس واعتبر أن الساعة ١٢".

-الضابط: "حسناً أنا انظر".

-إيهود: "الآن سر باتجاه اليسار".

-الضابط: "أنا ابدأ السير".

بعد ربع ساعة - إيهود: "خرجت من الكثبان ووصلت إلى المنحدر؟".

-الضابط: "ربما لست متأكداً".

-إيهود : "انظر إلى الأمام. هل ترى هالة ضوء كبيرة بعيدة وهالة اصغر على مسافة أقرب؟".

-الضابط: "نعم".

-إيهود: "سر باتجاه هالة الضوء الكبيرة، وستكون في طريق الخروج. ستسير طيلة الوقت -تقريباً- باتجاه اليمين، انظر إلى عداد السرعة، وتأكد من عبور مسافة ٥ كم، عندها ستصل إلى الطريق، وسأوجهك إلى أن تصل".

وبعد حوالي نصف ساعة، قال الضابط: "لقد وصلت إلى الطريق".

لقد أضافت هذه القصة إنجازاً جديداً إلى سجل إنجازات إيهود في اللواء وأزالت الانطباع بأنه قائد متبجح ومبالغ.

وعلى الرغم من عشقه للموسيقى الكلاسيكية، ومشاهدة أفلام الفيديو، بيد أن الجنود والضباطذكرونه، كقائد لواء يحرص على الانضباط والسلامة العامة في المناورات. لم يكن مستعداً للتغاضي عن المشاكل التي تتعلق بالانضباط الجنود، ولم يكن يتردد في معاقبة الجنود الذين يبدون الاستخفاف بالانضباطية التنفيذية. لكن كانت هناك بعض الاستثناءات.

ففي إحدى الليالي، قدم إليه أحد جنود الاحتياط ويدعى (زئيف كولر)، للمحاكمة. كان كولر قد مثل أمام قائد فرقته قبل ذلك، وحكم عليه بالسجن الفعلي، بسبب غيابه عن موقع المراقبة. لكنه استأنف الحكم ووصل إلى قائد اللواء.

سمع إيهود حجته وفهم منه أن جنود الفرقة كانوا قد طلبوا، ومنذ فترة طويلة، إحضار منشأة ما إلى موقع الرصد. وأوضح الجندي، أنه دون هذه المنشأة لن يكون بالإمكان الرصد، ولن تكون هناك جدوى منه، وأن هذا هو سبب غيابه عن موقع الرصد. أعاد إيهود النظر في أقواله وقبل الاستئناف. وفي اليوم التالي، تم وضع المنشأة في الموقع وبدأت عملية الرصد.

كان الاختبار الرئيسي بالنسبة له كقائد لواء مدرعات، استعادة ثقة مقاتلي المدرعات بالدبابات. فالأثر السلبي الذي خلفته الحرب، لم ينته بسرعة ولم

ينس المقاتلون مأساتهم في 'يوم الغفران' ١٩٧٣ أمام صواريخ "ساجر" و"آر بي جي".

يقول يهود: "لم يكن بالإمكان نسيان حرب ١٩٧٣، لدى الحديث عن الحرب القادمة، لا سيما وأن آثار دبابتنا المحترقة، كانت ما تزال قائمة في الصحراء. بوصفي قائد لواء، كان من واجبي استعادة ثقة المقاتلين بالدبابات. ولقد تمكنت من ذلك بفضل التعاون العميق والوطيد مع سلاح المشاة والمدفعية في مناورات أجريت على مستوى الكتائب والألوية. هذا الأمر، أشعر مقاتلي سلاح المدرعات بالأمان، وأن دباباتهم لن تكون عرضة للخطر، بفضل تواجد سلاح المشاة هناك للتفرغ لمواجهة كوماندو "العدو".

في الأول من أيلول ١٩٧٤، ولدت البنت الثانية ليهود. لم تسنح الفرصة للقائد الأب، بالتواجد إلى جانب زوجته في تلك اللحظات العصيبة. رغم أن عملية الولادة كانت صعبة للغاية، ورغم أن طفلاته كانت في مرحلة الخطر انتظرت الزوجة (نافا)، زوجها. وحال وصوله، سألته عن مدى إمكانية عمله في منصب آخر، يجعله أكثر قربا من البيت لكنه أوضح لها، وكعادته إن المسار الذي اختاره، مسار قيادة حربية ومن وجهة نظره، هذه هي الطريقة الوحيدة للسير بالجيش إلى المدى البعيد. ولم تملك (نافا) إزاء هذا التبرير، سوى الإيماء بالموافقة.

وقبل نهاية العام انتقلت عائلة يهود براك إلى شقة جديدة في (رمات هشارون) وقبل ذلك ببضعة أشهر، أخبر يوني نتتياهو، أنه يبحث عن شقة ليعيش فيها مع زوجته (بروريا). قص يهود على زوجته ما سمع، وقد أبدت سعادة كبيرة لأن بجوار شقتها شقة شاغرة. بدأت العلاقات بين العائلتين تتوطد، وبدأت (نافا) بقضاء ساعات طويلة برفقة (بروريا)، أثناء انشغال الزوجين يهود في المدرعات ويوني في دورية هيئة الأركان.

في فترة خدمته كقائد للواء المدرعات، قرر المتحدث بلسان الجيش الإسرائيلي وفي خطوة فريدة من نوعها، السماح ليهود براك، بإجراء مقابلة مع

مجلة (باماحانية الناطقة بلسان الجيش الإسرائيلي)، وقد أجرى اللقاء صحفي يدعى رفائيل بيسان. وخلال اللقاء قال يهود الذي أشير إليه باسم العقيد ب: "لقد ولدت وكالكثيرين في كيبوتس. كبرت وترعرعت هناك. وتعلمت حتى فترة التجنيد. القوا بي في مدرسة الكيبوتس خارجا، بسبب أعمال الصبائية. تجنّدت في سلاح المدرعات بالجيش. أردت أن أكون في سلاح المدفعية، ولم يسمحوا لي. خدمت لسنوات في دورية هيئة الأركان، رغم أنه تم تحويلي في وقت متأخر إلى سلاح المدرعات.

ولما سئل يهود عن قدرة الجندي المصري في الحرب قال: "بشكل أساسي، لا أظن أن الجنود المصريين، كجنود منفردين، حاربوا أفضل بكثير مما كانوا عليه في حرب حزيران ١٩٦٧ في جرادة. والفرق أن الجيش المصري حارب هذه المرة، بوحدات أكثر".

"في اليوم الأخير في السويس، وبعد ثلاثة أيام من وقف إطلاق النار، استمر عدد من الجنود المصريين المنفردين، في محاولاتهم الاقتراب من دبابتنا بأسلحتهم الخفيفة. كان من الواضح لهم، أنهم لن يتمكنوا من إبعادنا عن قناة السويس، كما لن يتمكنوا من تغيير النتيجة العامة للحرب. لكن، كانت تحدوهم الرغبة في محاولة ضرب عدد آخر من دبابتنا".

بيسان: "وماذا عن الدراسة؟"

براك: "علقت الدراسة، فأنا أرى فيها طريقاً لا ينتهي، من وجهة نظر الجامعة، أنا في إجازة إذا أردت العودة، في غضون عامين، فليس علي عمل أي شيء، من وجهة نظرهم، سوى إشعارهم بذلك مسبقاً، ودفع الأقساط بالطبع، كان من الواضح بالنسبة لي، بعد تلك الحرب، أن مكاني هنا في الجيش وليس على مقاعد الدراسة. كان سلاح المدرعات، على وجه الخصوص، يعاني نقصاً في عدد الضباط، لا سيما الضباط برتب ما بين قائد شعبة وقائد كتيبة".

بيسان: "وعندئذ عدت مباشرة إلى سلاح المدرعات؟"

براك: "نعم، لأن الضرر الذي لحق به، أفسى بكثير من الأضرار التي لحقت بوحدات أخرى".

بيسان: "كيف استقبلك أفراد المدرعات كجندي مظلي؟"
براك: "لا تتس، أنني رغم ذلك، أجريت عملية تحويل منظمة."

بيسان: "هل تشعر بتحسّن على صعيد الجيش؟"
براك: "باعتقادي أن العبرة الأساسية، تتعلق بضرورة بناء قادة أكثر استقلالية وقدرة على اتخاذ القرارات وحدهم، ضباط يتميزون بالقدرة على تحمل المسؤولية".

قبل انتهاء عام ١٩٧٥، وبعد عام ونصف العام من عمله كقائد لواء (٤٠١)، دعي إيهود إلى مكتب رئيس هيئة الأركان، موطي جور.

كان جور جدياً، قبل ذلك بوقت قصير، قتل العقيد، عوزي يائيري، أثناء هجوم مسلح على فندق "سافوي". كان يائيري قبل سقوطه، مساعد رئيس شعبة الاستخبارات، لشؤون العمليات. وانطلاقاً من تقديره الشديد لكفاءة براك التنفيذية، طلب منه القبول بهذا المنصب. بيد أن براك لم يكن سعيداً بذلك. فالمنصب المعروف، يقوم على أساس التخطيط التنفيذي وليس القيادة. لكن في مثل تلك الظروف، وفي ظل تدخل موطي ونائبه يكتونيل آدم لم يكن هناك مناص من القبول.

كان هذا المنصب، منصبه الأول في هيئة الأركان، وكان أصغر عقيد هناك، لكنه رغم ذلك، كان على قدر المسؤولية.

أراد رئيس هيئة الأركان، أن يبقّى إيهود إلى جانبه، كعراب للعمليات الخاصة في الجيش الإسرائيلي، بيد أنه كان من الواضح لبعض ضباط هيئة الأركان أن إيهود لن يكتفي بمهمة التخطيط فقط، ومن وجهة نظره، هناك مجال للربط بين التخطيط والتنفيذ، تماماً مثلما عمل في عملية "ربيع الشباب" في بيروت كان يدرك أن الضابط الذي سيقود الجيش الإسرائيلي إلى أي مكان هو: إيهود براك.

الفصل الثاني عشر

عملية عنتيبي

اليهود يشارك في تحرير الرهائن

يوم الأحد، ٢٧-٦-١٩٧٦، كان أقصى أيام الصيف الحارة. في الساعة ٨:٥٩، أقلعت طائرة "ايرباص" تابعة لشركة الطيران الفرنسية "اير فرانس" في الرحلة (١٣٩) من مطار بن غوريون إلى باريس. كان على متن الطائرة ٢٨٨ مسافرا، معظمهم إسرائيليون خرجوا لقضاء الإجازة الصيفية في فرنسا.

في الساعة ١١:٣٠، هبطت الطائرة في أثينا، نزل منها (٣٨) مسافرا، وصعد ٥٨. كان من بين أولئك الذين صعدوا، أربعة أشخاص، وصلوا قبل ذلك بوقت قصير، على متن رحلة لشركة "سنغافورة إيرلينز" من البحرين في الخليج العربي: رجل وسيدة يحملان جوازي سفر ألمانيين، ورجلين يحملان جوازي سفر كويتيين مزيفين.

كان مطار أثينا معروفا بتدني مستوى الأنظمة والإجراءات الأمنية فيه. وما حدث في ذلك اليوم، أكد صحة ما يشاع عنه: إذ أن أحدا لم يقيم بتفتيش المسافرين الأربعة، الذين ساروا باتجاه الهدف: طائرة: "ايرفرانس".

أما مضيئة الطائرة الضجرة، فاكثفت بنظرة سريعة خاطفة على تذاكر سفرهم، وتمنت لهم رحلة ممتعة، غير أن أحدا لم يقيم بتفتيش حقائبهم وأكياسهم التي أخفوا فيها رشاشات صغيرة من طراز "سكوربين"، مسدسات، قنابل يدوية ومواد ناسفة.

جلس الألمانيان، اللذان كانا يبدوان كزوجين رومانسيين في مقدمة الطائرة، فيما جلس الفلسطينيان في المؤخرة، في قسم السياح.

في الساعة ١٢:٣٥، وحسب كلمة سر تم الاتفاق عليها مسبقا، نهض الأربعة من مقاعدهم، وعبأوا رشاشاتهم، اقتحم الألمانيان غرفة الطيار، فيما هدد الفلسطينيان بأسلحتهما ركاب الطائرة. وأعلنوا اختطاف الطائرة، على يد خلية "تشي جيفارا" من قطاع غزة.

تجول الفلسطينيان بأسلحتهما بين المقاعد وجمعوا جوازات السفر. كانت من بين المسافرين الإسرائيليين، ابنة مدير المفاعل النووي في ديمونة، بيد أنهم لم يكتشفوا أمرها: بعد ذلك، قام الخاطفون باحتجاز النساء والأطفال في مقدمة

الطائرة التي تم تحويل اسمها إلى "حيفا المحررة" في حين تم احتجاز الرجال في المؤخرة أطلع المسلح الألماني قائد الطائرة على خارطة كانت بحوزته، وحدد الهدف النهائي، وكان مطار عنيتيبي في أوغندا، في تلك الأثناء، لم تكن هيئة الأركان على علم بشيء بعد.

بعد ساعة ونصف الساعة، هبطت الطائرة في مطار (بنغازي) في ليبيا، وأطلق الخاطفون سراح مسافرة بريطانية.

وصل نبأ اختطاف الطائرة إلى هيئة الأركان العامة، التي بدأ ضباطها وعلى رأسهم براك، بدراسة المعطيات الواردة من مطار ليبيا. تذكروا ما حدث في الجزائر عام ١٩٦٨، وكيف اضطرت حكومة إسرائيل آنذاك للخضوع لخاطفي طائرة "العال" وإطلاق سراح عدد من المعتقلين في سجونها. لم يكن لدى هيئة الأركان، أي معلومات حول المطار أكثر من خرائط وصورة جوية واحدة قديمة. لا شك في أن الظرف كان صعباً.

في تلك الأثناء وتحديداً في العاشرة ليلاً، كانت الطائرة المختطفة قد أُلقيت من مطار ليبيا، وهبطت بعد بضع ساعات في عنيتيبي، حيث كان هناك بانتظارها ثلاثة مسلحين آخرين.

لاحظ المسافرون الذين تم إنزالهم من الطائرة إلى قاعة المسافرين، أن جنود جيش أوغندا، يتعاونون مع الخاطفين. وفي صبيحة اليوم التالي زارهم الرئيس الأوغندي، (عدي أمين)، وسخر أمامهم من حكومة إسرائيل، التي غدرت به، ولم تقف إلى جانبه، في حربه ضد تنزانيا.

كان العقيد إيهود براك، مساعد رئيس شعبة الاستخبارات لشؤون العمليات، بين أوائل الذين تلقوا نبأ اختطاف الطائرة.

وقد عهد إليه رئيس شعبة العمليات، اللواء يكتوئيل آدم، بمتابعة تطورات العملية. كان اللواء آدم، قد حل محل رئيس هيئة الأركان، موطي جور، الذي كان آنذاك في مناورة كبيرة جنوب إسرائيل.

طار موتي مباشرة من المناورة إلى جلسة الحكومة، التي كانت قد التأم على خلفية ما يجري في عنتيبي وفي الطريق، تم الاتصال بيكتوئيل آدم ، وعلم أن رئيس هيئة الأركان سيصل في الساعة التاسعة مساءً، وأن عليه دراسة الوضع، والتفكير فيما سيتم عمله بشأن ما يجري في عنتيبي.

وفي غضون ساعة، وصل رئيس هيئة الأركان إلى مكتبه. نظر إلى مجسم الكرة الأرضية الموضوع في زاوية الغرفة، واتصل بيكتوئيل آدم.

موتي: "كوتي ماذا سنفعل في عنتيبي؟"

كوتي: "لا أعرف في هذه الساعة"

موتي: "ماذا، ألم تصلك الأوامر بدراسة القضية؟ لقد سألني رئيس الحكومة رابين، ما إذا كان هناك خيار عسكري، وقلت له نعم يوجد. أريد الرد حالاً.

كوتي: "قل لي موتي، هل رأيت موقع عنتيبي هذه على مجسم الكرة الأرضية؟"

موتي: "ليس بعد. لكن ينبغي إيجاد طريقة للعمل".

استدعى موتي، براك من مكتبه في الطابق العلوي، واجتمع ثلاثتهم في قاعة الاجتماعات.

موتي: "حتى صبيحة يوم غد، أريد معرفة ما يمكن عمله في عنتيبي. ادع من تشاء، وقم بكل ما ينبغي أريد جواباً".

استدعى إيهود على الفور (موكي يتسار)، (عميرام ليفين)، قائد الكوماندو البحري، و(جابي زوهر) من شعبة الاستخبارات. طاقم تخطيط خاصاً. وفي تلك الأثناء، اتصل قائد سلاح الجو، اللواء بيني بيلد، ليعلم إيهود بأن رئيس مكتبه سيقدم كل ما في وسعه، وأن لدى أفراد من سلاح الجو معلومات عن مطار عنتيبي.

في غضون ساعتين، وصلت التصورات الأولية عن القاعة القديمة في المطار، بيد أن دليل الطيارين المدني، كشف النقاب عن وجود قاعة جديدة، إضافة إلى القديمة، وتركيبية معقدة من المدارج. كما كشف محاذاة المطار لبحرية فكتوريا. من وجهة نظر موكي يتسار، الذي سبق وأن تواجد في أوغندا، فإن

الأوغنديين لبسوا جديين، ويمكن عمل أكثر ما يمكن تصويره من النظرة الأولى لكن، مقابل ذلك، وصلت، معلومات استخبارية، تفيد بأن كتيبة حراسة أوغندية تتواجد في المطار وما حوله.

في تلك الليلة، تبلورت عدة أفكار تنفيذية ممكنة، لوضع يتواجد فيه ٤-٥ مسلحين في أجواء أوغندية محايدة. وقد اجمع المسؤولون، على ضرورة مفاجأة الخاطفين، للحيلولة دون تعرض أي من الرهائن للخطر. وكان بين الأفكار المطروحة، إنزال زوارق وعلى متنها عدد من المقاتلين إلى بحيرة فكتوريا، التسلل إلى القاعة القديمة في المطار، قتل المسلحين وإطلاق سراح الرهائن. وكانت هناك فكرة أخرى، تقترح إنزال طائرة منفردة وعلى متنها مركبتان أو ثلاثة- تكون إحداها- وفقا لاقتراح كوتي يتسار "مرسيدس" سوداء- تسير من المدرج الجديد إلى القاعة القديمة وتسيطر بشكل مفاجئ على القاعة وتقوم بتصفية المسلحين.

وللحقيقة، كانت هذه الفكرة العملية، أساسا تم الارتكاز إليه في التخطيط لعملية دورية الأركان.

في الساعة السابعة صباحا، طرحت الأفكار على مكتب رئيس هيئة الأركان. كانت قد طرحت أفكار أخرى، بيد أنها رفضت نظرا لافتقارها لصعبر المفاجأة .

أصدر موتي أوامر بالتركيز على داسة الفكرتين الأوليين. وألقى إيهدو على عاتق قائد الكوماندو البحري، مهمة محاولة إنزال القوارب، وعلى عاتق يتسار مهمة دراسة فكرة الطائرة المنفردة ومحاولة إدخال عدد من المركبات إليها.

نفذت التجارب في اليوم ذاته وقد فشلت محاولة إنزال القوارب. فيما بدت فكرة الطائرة المنفردة ممكنة تماما. في الوقت ذاته، أمر رئيس هيئة الأركان، سلاح الجو، بدراسة الجانب التنفيذي للرحلة إلى عنتيبي ذهابا وإيابا.

بعد ذلك، التأم المجتمعون في مكتب شمعون بيرس، لإعادة النظر في المقترحات المطروحة. لم يهتم بيرس كثيراً بالتفاصيل، لكنه كان يرى ضرورة لتنفيذ عملية عسكرية. وحسب اعتقاده، لا مجال لإمكانية تعاون الرئيس الأوغندي، عيدي أمين معهم، ومن المحتمل أيضاً، أن يبدي تعاطفه مع الخاطفين. كانت هذه التقديرات مثيرة للقلق، فالعامل المشترك بين كل تلك الأفكار التي طرحت، والتي يتوقع مع نجاحها، هو الافتراض ببقاء الأوغنديين على الحياد، وإن سمحوا للجيش الإسرائيلي، أو لأي عنصر أجنبي آخر، بالهبوط في المطار، وتسلم الرهائن، والجنود الذين قاموا بتصفية الخاطفين. وإذا ما تبين أن الأوغنديين لن يقفوا مكتوفي الأيدي، فسيكون الوضع أكثر تعقيداً.

في صبيحة اليوم التالي، وصلت إلى إسرائيل أولى المعلومات، فقد أفادت المسافرة البريطانية التي أطلق الخاطفون سراحها في مطار بنغازي، بأن خلية الخاطفين تتألف من أربعة فقط، بينهم ألمان. كانت التقديرات الأولية في شعبة الاستخبارات تشير إلى أن الحديث يدور عن أعضاء المنظمة الإرهابية الألمانية "بادر مينهوف" التي تتعاون، وبشكل واسع، مع منظمات فلسطينية.

أما المعلومات التي وصلت في اليوم الثالث للعملية، فقد كانت أكثر إثارة للقلق. حيث عزل الخاطفون المسافرين الإسرائيليين عن المسافرين الأجانب، وطالبوا إسرائيل بإطلاق سراح عشرات المعتقلين الفلسطينيين، كما طالبوا حكومة ألمانيا الغربية، بإطلاق سراح عدد من المعتقلين، وطالبوا فرنسا كذلك بدفع فدية، قيمتها خمسة ملايين دولار.

كانت تلك الأنباء مزعجة وسيئة، رغم وجود جوانب إيجابية فيها: فبداية سيكون في المطار عدد قليل من الرهائن، وسيتمكن براك ثمانية، من استجواب الرهائن الذين سيطلق سراحهم بعد حوالي ١٢ ساعة عن المبنى الداخلي القديم للمطار، إجراءات الحراسة، مستوى التعاون مع الأوغنديين وغير ذلك.

بعد ذلك، تم وعلى وجه السرعة، تعيين طاقم كلف بالتوجه إلى باريس لاستجواب الرهائن الذين سيتم إطلاق سراحهم، وكان يضم اللواء (احتياط) رجب عام زئيفي، من مكتب رئيس الحكومة، وعميرام ليفين من طاقم التخطيط التابع لبراك. غير أن المعلومات التي وصلت من ليفين، غيرت الصورة تماماً، إذ تبين أن هناك عدداً آخر من المسلمين في أوغندا، وأن الأوغنديين يتعاونون معهم ويشاركون في مهام الحراسة، وأن التفاصيل التي تتعلق بمبنى قاعة الانتظار، الغرف والأبواب في القاعة القديمة، كلها بحوزة ليفي، وأنه حسب انطباع الرهائن الذين تم إطلاق سراحهم، ليست هناك قوات حراسة خاصة في المطار والقاعة الجديدة. وعليه تم التوصل إلى تقدير جديد، يفيد بأنه لا مناص من إرسال قوة كبيرة إلى مطار عنتيبي، لقتل المسلحين، وتخليص الرهائن الذين انخفض عددهم من حوالي ٢٠٠-١٠٠، وفي ضوء التقارير التي تتحدث عن عدم وجود قوات حراسة مكثفة في المطار، بدا بالإمكان إحكام السيطرة على القاعة الجديدة، طيلة الوقت اللازم لتنفيذ العملية، وإدخال كل القوة والرهائن إلى داخل الطائرة.

استدعى كوتي دان شومرون الذي عكف، منذ يومين، في قياد سلاح المشاة والمظليين، على دراسة إمكانية تنفيذ عملية واسعة، وقد طلب منه طرح خطته، ووافق على أسسها.

كانت الخطة تقوم على أساس تكليف قوة دورية هيئة الأركان بالعمل في القاعة القديمة، وفقاً لفكرة الطائرة المنفردة ومجموعة السيارات التي ستدخل إليها، وهكذا، تبلورت خطة إنزال قوة كبيرة في عنتيبي تتألف من وحدات مختارة، تقوم بإطلاق سراح الرهائن، تصفية المسلحين وكل من يتعاون معهم ونقل الرهائن إلى إسرائيل. وقد أمر كوتي أن يكون دان شومرون، قائد العملية وإيهود براك نائبه.

اجتمع إيهود بالعميد دان شومرون، قائد سلاح المشاة والمظليين، وبدأوا استكمال تفاصيل الخطة، التي طرحت في ذلك الوقت، أمام رئيس هيئة الأركان ووزير الدفاع.

منذ اللحظة التي تقرر فيها تنفيذ العملية العسكرية، بدأت النقاشات حول تركيبة القوة التي ستقوم بتنفيذها. حاول إيهود الضنط من أجل تمكين دورية هيئة الأركان، لعب الدور الرئيسي في القاعة القديمة-تصفية المسلحين وإطلاق سراح الرهائن. كان قائد الوحدة يوني ننتياهو، خلال الأيام الأولى التي أعقبت اختطاف الطائرة، في مهمة تدريب في سيناء، وكان موكي بتسار نائبه، يطلعه، خطوة بخطوة، على مجريات الأحداث. لكن، في تلك المرحلة تحديداً، بدا الأمر أكثر جدية، فاستدعاه موكي للعودة.

وافق دان شومرون على طلب براك، وتم تكليف دورية هيئة الأركان بمهمة اقتحام القاعة القديمة في مطار عنتيبي، إلى جانب مقاتلين مظلّيين بقيادة متان فلنائي، وطاقم من لواء جولاني، بقيادة العقيد، أوري ساغي-ايزنبرغ. كان يوم الجمعة ٢-٧-١٩٧٦ يوماً بائساً بالنسبة لإيهود براك، فقد عاد رئيس هيئة الاستخبارات اللواء شلومو غازيت، الذي كان في الخارج حتى ذلك اليوم، وحاول منع براك من المشاركة في العملية، وقد جرى بينهما الحوار التالي:

غازيت: "إيهود، أنت تعرف الكثير من الأسرار، ولا يجب علينا تعريضك للخطر. ستكون كارثة إذا وقعت في الأسر، ولست مستعداً للموافقة على مشاركتك في العملية".

كان غازيت يتذكر ما حل بالعقيد، عوزي يائيري، الذي سبق لإيهود براك، إلى منصب مساعد رئيس شعبة الاستخبارات لشؤون العمليات، وقتل في عملية تخليص الرهائن في فندق "سافوي" بتل أبيب.

غازيت: "أنت اليوم ضابط رفيع المستوى في شعبة الاستخبارات، ولست قائد وحدة لست مستعداً لأن يحدث لك ما حدث لعوزي يائيري، الذي خاض عملية "سافوي" دون ضرورة لست مستعداً لأن تتعرض لنفس الخطر. من وجهة نظري، الأمر منته. وسأتوجه إلى رئيس هيئة الأركان".

براك: "أنا أناشدك لا مبرر لمخاوفك. إذ ليس من الممكن أن أقع في الأسر في عنتيبي. كنت في أماكن أكثر تعقيدا وقد خرجت منها.

غازيت: "كنت آنذاك قائداً لدورية هيئة أركان، والوضع كان مختلفاً".

براك: "هذه المهمة هامة جداً. إنها عملية لها خصوصيتها. الأشخاص هناك بحاجة لذوي الخبرة الكبيرة، ولن تمنعني من المشاركة في العملية.

بعد ذلك، التقى إيهود موطي جور، رئيس هيئة الأركان. وجرى بينهما

الحوار التالي:-

إيهود: "موطي سيأتي إليك شلومو غازيت وسيحاول إقناعك بمنعني من المشاركة في العملية".

جور: "فليحاول. لقد انتهيت الآن من الحديث في هذا مع رئيس الحكومة، اسحق رابين، وأخبرته بأنه دان شومرون سيقود العملية، وستكون أنت نائبه، وقد بدا لي موافقاً.

براك: "موطي أعلم أن يوني ننتيا هو سيتقبل الأمور بصعوبة.

جور: "يوني صغير. يحتاج إلى خبرة في مثل هذه العملية. أنا أهتم قبل كل شيء بما هو أفضل للعملية. ضع يوني نائباً لك في القوة".

براك: "حسنًا سأخبره".

جور: "أفضل أن يقوم دان شومرون بذلك. فهو قائد العملية".

براك: "وسأطلب التحدث إلى يوني بعد أن ينهي حديثه مع دان.

خرج إيهود من مكتب رئيس هيئة الأركان، وأسرع إلى المجموعة القيادية في منزل المظلي في رمات جان وفي المدخل، شاهد دان شومرون ويوني ننتيا هو، منهمكين في الحديث. انتظر قليلاً حتى ينتهيا، ثم اقترب من يوني ، الذي بدا مضطرباً ومهوماً.

إيهود: "هذا قرار رئيس هيئة الأركان. وباعتقادي، أنها توصية من كوتي".

يوني : أعلم. شرح لي دان. أريدك فقط أن تعلم أنه لو كان أحد غيرك، لما كنت سأوافق. كنت سأشعر بالآلم. كل جنود القوة سيكونون من الوحدة وينبغي أن

أكون قائدهم. أنت الشخص الوحيد الذي أقبل تخويله بهذه المهمة، والوحيد الذي سيتفهم المحاربون طبيعة تعيينه.

وقف الاثنان متواجهين للحظة، والصمت يخيم عليهما. وضع ايهود يده على كتف يوني ، نظر في عينيه وقال له: "يوني . أفهم شعورك. كنا سوية في الكثير من العمليات كقائد ومرؤوس. الآن. هذا قرار والعملية جدية أكثر من أن ننشغل بذلك. أفهم شعورك. وثق بي. سأفعل كل شيء لكلي لا تتضرر. أنت ستكون نائب في القوة، وستختار مهمتك".
يوني: "أريد قيادة القوة واقتحام القاعة نفسها.
ايهود: حسناً. لندخل إلى المجموعة".

بعد مضي سنوات على هذا الحوار، نشر عيدو نتتياهو، الشقيق الأصغر ليوني في كتابه "المعركة الأخيرة ليوني" صورة مختلفة لما حدث وحسب أقواله، لم يكن يوني ينوي التنازل بسهولة عن تلك المهمة.

يقول عيدو نتتياهو في كتابه: "كان يوني يشعر بالامتعاض، إزاء قرار تعيين ايهود براك قائداً لدورية هيئة الأركان. لم يكن يوني ينوي إبقاء الوضع على ما هو عليه، فالقوة التي ستتواجد في ساحة المعركة ستكون كلها من جنود الوحدة، ويوني ، بوصفه قائد الوحدة، كان يشعر بأنه الشخص الوحيد الذي ينبغي أن يكون قائدهم".

"في فجر يوم الجمعة، جلس ايهود ويوني وحدهما، وربما نشبت بينهما مشادة حول مسألة قيادة الدورية. استعرض ايهود مع يوني تفاصيل الخطة، وأبدى اقتراحات تنفيذية لمرحلة ما بين الهبوط في عنتيبي، الحركة السريعة إلى القاعة والهجوم.

"شعر يوني من ملاحظات ايهود، أنه يعتزم قيادة العملية بنفسه، ولن يكتفي بمجرد الإشراف عليها، وكان ايهود الذي شعر بتوتر يوني ، يظن بأن ساعات قليلة من النوم، ستساعد يوني على فهم قرار قيادة سلاح المشاة والمظليين".

وعلى أية حال، كان ايهود يعتزم السماح ليوني بالإشراف على قوة الدورية لنلا يمس بصلاحياته كقائد للوحدة، ولكن، كان من المفترض، أن يكون مصدر الصلاحيات الأعلى في منطقة الهجوم واقتحام القاعة.

كان من الصعب تجاهل المشاكل التي واجهها يوني آنذاك، في دورية هيئة الأركان، وكان ايهود ونائب رئيس هيئة الأركان، اللواء يكتونيل آدم، يدركان طبيعتها. فقبل اختطاف الطائرة ببضعة أسابيع فقط، توجه عدد من قدامى الضباط في دورية هيئة الأركان، إلى آدم، وتذمروا أمامه من أن يوني يمر بحالة نفسية صعبة، وأن أسلوبه في القيادة ليس كما كان عليه في السابق.

يعتبر مثل هذا الامر نادرا جدا في دورية هيئة الأركان، ولم يحدث قبل ذلك سوى مرة واحدة فقط، عندما كان مناحيم ديجلي قائد الوحدة، وتوجه عدد من الضباط إلى ايهود براك، الذي كان قد تحول آنذاك إلى سلاح المدرعات، وتذمروا أمامه من أسلوب عمل ديجلي.

كان هذا هو السبب في توجه يكتونيل إلى رئيس الحكومة، اسحق رابين ليقنعه بتعيين ايهود براك قائدا لقوة دورية هيئة الأركان، التي ستقحم قاعة مطار عنتيبي لقد كان كوتي يثق تماما بيوني، بيد أن ما سمعه من ضباط الدورية أزعجه.

كان يوني يعيش أزمة شخصية عميقة، ولم يتضح ذلك إلا بعد وفاته، ففي ٢٩-٦-١٩٧٦، أي قبل وفاته بخمسة أيام، وفي ذروة الاستعدادات لإطلاق سراح الرهائن، كتب يوني إلى (بروريا) زوجته رسالة يقول فيها: "أنني أواجه مرحلة حاسمة في حياتي، وفي داخلي أزمة عميقة تضعف فهمي وتصوراتي. أنا أشعر بالتعب معظم الوقت، لكن هذا جزء فقط من المشكلة، لقد فقدت حسي بالرغبة في الإبداع والتجديد. والامر صعب بالنسبة لي.

كان ايهود أحد أشد المقربين من يوني، هذا إن لم يكن الأكثر قرباً. ذلك أن شقيقه لم يكونا آنذاك في الوحدة ببني لم يكن في إسرائيل وأصدقائه خارج

الوحدة، لم يتفهموا طبيعة الاختبارات الصعبة، التي كان يواجهها في الوحدة كما لم يتفهم زملاؤه في الوحدة تعقيدات حياته الخاصة كإنسان عادي.

كان إيهود المقرب الوحيد الذي أدرك هذين الجانبين لدى يوني . كما كان الجهة التي أوصلت يوني إلى منصبه في الوحدة، ودربته على أسلوب القيادة. كان يدرك بأن يوني جدير بقيادة الوحدة وبلوغ ما هو أبعد. وقد شعر إيهود أن من واجبه، بوصفه صديقه وقائدة سابقا، مساعدته على تجاوز تلك الفترة الصعبة. كان الوضع صعباً جداً بالنسبة له. فالصداقة التي جمعت بينهما في العمليات التنفيذية المشتركة، وضعت فجأة على محك الاختبار.

بدأ التعارف بينهما مطلع عام ١٩٦٩. كان يوني يصغر براك بأربعة أعوام، وكان قائد أطقم المستجدين، أما براك، فقد عازَ انذاك إلى الوحدة كتائب لقائدها.

كان يوني نتنياهو، أكبر سناً من بقية ضباط دورية هيئة الأركان. ضابطاً مظلماً تسرح من الجيش، قبل حرب حزيران وقد شارك في الحرب كقائد سرية في معركة دارت رحاها في الهضبة السورية واصيب في مفصله. ثم عاد إلى الجيش النظامي مع بداية حرب الاستنزاف وكان حديث الزواج من (توتي). كان طالباً متميزاً، علق دراسته ليعود إلى الجيش، إلى الوحدة التي خدم فيها شقيقه بيبي نتنياهو.

لقد اكتشف إيهود ضابطاً يتسم بالجدية والنضوج، والشعور بالحيرة رغم ذلك. قائداً، عرف كيف يتحدث مع جنوده بهدوء. لقد أحب لقاءاته معه، ووجد نفسه ينشغل معه أكثر فأكثر، وينزع إلى أحاديث خاصة لا تتعلق بما يجري في الوحدة.

توطدت العلاقة بين الضابطين حتى بلغت حد الصداقة الحميمة، خلال الرحلات الطويلة إلى مناطق التدريب وخلال الاستعدادات للعمليات الخاصة. وقد فتح يوني -الذي كان جميع أفراد عائلته باستثناء شقيقه الصغير بيبي، يعيشون

خارج إسرائيل - قلبه لقائده. كان تقدير كل منهما للشخص الآخر متبادلاً، وكان ميلهما للموسيقى مشتركاً.

تحدث يوني لايهود عن شعوره بالحيرة إزاء انشغاله بالخدمة في الوحدة التي أخذت جل وقته وغيابه عن زوجته، كما تحدث له عن مشاعر الشوق والحنين إلى ذويه في الولايات المتحدة الأمريكية، الذين يعيشون في منزل يتسم بالتقشف والبساطة، وعن علاقاته المعقدة معهم.

كان يوني واسع الاطلاع على تاريخ (أرض-إسرائيل)، حتى أنه عرف معارك يهودا المكابي، كما لو أنها حدثت قبل ذلك بعامين، وليس قبل آلاف السنين. كان من المهم بالنسبة له، أن يعرف أدق التفاصيل عن الوحدة منذ أن أنشأها إبراهيم ارنان وحتى اللحظة التي وصل فيها إليها.

أكثر يوني من الحديث عن شقيقه الصغير بيبي حتى أنه في مرحلة ما، اعترف بأن أحد الأسباب التي حدثت به للتطوع للخدمة في دورية الأركان، رغبته في التواجد قرب أخيه وحمايته، ولم يكف عن الاهتمام بشؤونهم، ليس نزولاً عند رغبة والديه، بل لأنه كان يحبه حباً جماً.

كان يوني يدرك طبيعة موقف براك الرفض لإشراك اثنين من عائلة واحدة في نفس العملية، لذلك، حاول استغلال علاقات الصداقة التي تجمعهم ببراك لإقناعه بتفضيله على بيبي في العمليات الخاصة، وكان يدرك بأنه، بهذه الطريقة، سيبعد بيبي عن المخاطر.

وإضافة إلى العلاقة التي تربطه بيوني، كان لايهود علاقات بشقيقه الصغير، بيبي، بيد أن الحديث يدور هنا عن علاقات من نوع آخر، فقد كان ايهود وفي مناسبات كثيرة، أستاذ بيبي، كمحارب وكقائد طاقم أيضاً.

يقول ايهود: "لقد كان الطابع الودي مع قادة الأطقم، جزءاً لا يتجزأ من عملي في الوحدة. كانت العلاقة المباشرة بين قائد الوحدة والضباط، تفوق ما هو مألوف في كتائب المظليين، التي لم تكن مشاركة قادة الكتائب فيها في نشاطات قادة السرايا، بمثل هذا العمق".

وعندما وقع الاختيار على بيبي لتنفيذ أول عملياته في الوحدة، عمل براك كموجه له ورافقه طيلة أشهر الاستعداد للعملية، حيث خرج معه إلى التدريبات وتابعه عن كثب في المناورة النهائية، التي لا يمكن أن تصدر الموافقة على تنفيذ عملية خارج الحدود دونها.

قبل تلك العملية، واجه إيهود مشكلة كبيرة، كان عليه توحيد الطاقمين في طاقم واحد يقوم بعمل واحد. احتار القائد التنفيذي للطاقم تشاور مع مناحيم ديجلي الذي كان قد التحق بدورة مشاة البحرية في الولايات المتحدة، وتقرر أخيرا اختيار بيبي.

كانت السعادة تغمر بيبي، وقد شكر إيهود على اختياره، بعد ذلك بوقت قصير وصل شقيقه يوني لي شكر إيهود أيضا على اختيار شقيقه. ورغم مخاوفه من العمليات الميدانية، إلا أنه تمكن من السيطرة على نفسه ولم يضغط على إيهود ليستثني يوني منها.

وعلى أية حال، شعر إيهود أن اختياره لبيبي، أدخل السرور إلى نفس يوني، الذي اعتبر الأمر، بمثابة اعتراف بقدرة شقيقه الصغير على قيادة عملية خطيرة ومعقدة خارج الحدود.

يقول إيهود: "كان يوني لتتيا هو شخصية تتسم" بنبل الأخلاق، التصميم، الثقافة، والحساسية". لقد عرفته رجلا يتميز بالجدية والإخلاص في كل عمل يقوم به، ومع ذلك كنت اشعر بأنه يحس بشيء من وخز الضمير. أحسست بأنه يشعر أنه لا يتمكن من تقديم كل ما يريد".

منذ اللحظة التي عرفت فيها يوني الإنسان، القائد والصديق، تعهدت برعايته وكنت أدرك أنه سيأتي يوم يصبح فيه قائد الوحدة لطالما تبادلنا أطراف الحديث حول الحياة في الجيش وخارجه. ولقد شعرت، منذ بدايات معرفتي له أن في داخله قوة قيادية كبيرة، ليس أنا فقط، بل إبراهيم ارسان ورئيس هيئة الأركان، اللذان أعجبا به وأحبا. كان يوني بالنسبة لهما، أفضل المرشحين لخلافة إيهود

في نيسان ١٩٧٣ في قيادة الوحدة، بيد أن إيهود قرر التوصية بتعيين (جيورا زوريع)، الذي كان أكبر سنا وأقدم من يوني في الوحدة.

ويضيف إيهود: "ربما توقع يوني أن أوصي بتعيينه لكنني أرى من الأفضل أن يقود كتيبة مدرعات وأن يكتسب الخبرة، قبل أن يعود كقائد. وقد قبل يوني اقتراحي. وبعد أن أنهى مهمته كقائد كتيبة مدرعات، أدرك أن هناك (جيشاً إسرائيلياً) خارج الوحدة وسلاح المظليين، وإذا أراد الوصول بعيداً فإن عليه أن يتعرف إليه.

كانت فترة الخدمة في المدرعات، ومرحلة الدراسة بعد ذلك في جامعة (هارفارد)، من أجمل أيام (يوني)، وقد أخبرني بذلك أكثر من مرة. لقد تسلم يوني زمام قيادة الوحدة، بعد (جيورا زوريع) في نيسان ١٩٧٣، عندما أصبح أكثر فهماً ونضوجاً.

وعلى الرغم من حساسية وخصوصية العلاقة التي جمعت بينهما، اضطر إيهود لمواجهة القرار المهني، الذي حرم يوني من قيادة دورية هيئة الأركان.

في تلك الأثناء، بلغت الاستعدادات للعملية مرحلة متقدمة، حيث أصدر وزير الدفاع (بيرس) موافقته، فيما أبدى (رابين)، رغم موافقته على مبادئ الخطة، بعض التحفظ، وقد توجه إلى رئيس الموساد، اللواء (احتياط) (اسحق حوفي) وقال له: "لقد وافقت مبدئياً، على العملية، لكنني لن أحرر موافقتي النهائية، قبل أن يتم التأكد من أمرين: أولهما: عدم وجود عقبات وقناة أو حائط بين القاعتين القديمة والجديدة، وثانيهما، أن يكون الرهائن في القاعة القديمة، قبل الهبوط في عنيتي، لا أريد أن يحدث لنا ما حدث لقوة "رينجرز" الأمريكية التي خرجت لإنقاذ الأسرى في شمال فيتنام، واتضح لهم فيما بعد أن الأسرى ليسوا في المكان.

وقد تعهد رئيس هيئة الأركان، (موطي جور)، من جانبه، بنقل رسالة بهذا الشأن، إلى رجل الموساد، (ناحوم آدموني)، الذي توجه إلى كينيا.

وفي الساعة الثانية من فجر يوم الجمعة، غادر ايهود مكتب يوني في الوحدة لأخذ قسط من الراحة، فيما واصل يوني و(موكي بتسار) مناقشة التفاصيل.

في ساعات ما قبل الظهيرة، عاد ايهود ويوني إلى قاعدة الوحدة، واتفقا على تشكيلة القوة التي ستشارك في الهجوم. كان العميد (دان شومرون)، قائد الوحدة، يشرف على عملية التوجيه الميداني في القاعدة والتي وصلت إليها جميع القوات، لدراسة أدق تفاصيل المهمة العسكرية، استعدادا للمناورات التي ستجري لمختلف الوحدات بعد ذلك. في تلك الأثناء، تم استدعاء ايهود للرد على مكالمة هاتفية وصلت إليه، كان 'كوتي آدم' على الخط الآخر.

كوتي: احضر إلى مكنتي حالا ايهود، لكن ايهود شعر بأن نبرات صوته لا تبشر بخير.

ايهود: كوتي أنا في منتصف عملية التوجيه الأخيرة. ولا أستطيع مغادرة الموقع الان.

كوتي: ليس هناك خيار آخر، ايهود غادر القاعدة وعد حالا.

خرج ايهود على الفور لمقابلته. كان يخشى أن يكون قد حدث شيء ما، تسبب في تشويش كل ما تم الاتفاق عليه.

وفي مكتبه، كسر (كوتي) حاجز الصمت وقال: "إنني مضطر لإلغاء مشاركتك في العملية. عليك التوجه بعد ساعتين، على متن طائرة خاصة إلى نيروبي، عاصمة كينيا، للإشراف على عملية تزويد الطائرة بالوقود في طريق العودة، إعداد مستشفى متنقل، تجهيز منظومة اتصال بناء، بغرفة القيادة المنقولة جواً، وبالمسؤولين في إسرائيل، والتنسيق مع الكينيين الذين لا يعرفون شيئاً بالطبع. فإذا طرأ تشويش على سير العملية في عنيتي، سنضطر للعمل من نيروبي".

ايهود: هل جننت؟ عليك أن تجد شخصاً آخر غيري. باستثناء، (دان) لا أحد يعرف كل تفاصيل العملية مثلي.



كوتي: "فكرت باللواء يونه افرااتي. أنه في طريق العودة. ثم أنني ساكون في كينيا وساكون بحاجة إلى وجود شخص بجانبتي، يفهم العملية وتفاصيلها جيداً. ايهود: "أنت مخطئ. إنهم بحاجة لي في عنيتي. ويمكن أن تجد غيري ليقوم بالمهمة في كينيا".

كوتي: "أعرف. ولكن للأسف لا خيار أمامي. ولا وقت أمامنا للاختلاف". ايهود: "دان) يعرف ذلك؟".

كوتي: "نعم. وكان الامر صعباً عليه. ليس هناك خيار. إنها الأوامر". شعر ايهود في تلك اللحظة، وكأن السماء بتقلها قد سقطت عليه. خرج محطماً من مكتب نائب رئيس هيئة الأركان، وتوجه إلى منزله في (رماث هشارون) لتبديل ملابسه وتوديع (نافا) وابنتيه. اخبر (نافا) بأنه سيخرج في مهمة إلى أوروبا. لكنها كانت تدرك تماماً، بأنه سيخرج في مهمة تتعلق بالطائرة المخطوفة.

في ساعات ما بعد الظهر، أفلعت طائرة بيونج من مطار بن غوريون، وعلى متنها عدد من الأطباء، المرضى، مستشفى متنقل وايهود براك بالطبع. وقبل الإقلاع، اتصل ايهود بالعميد برويكا بوران، السكرتير العسكري لاسحق رابين، وأخبره بأنه متوجه إلى نيروبي. ثم اتصل بجادي زوهر، أحد ضباط شعبة الاستخبارات، والذي كان عضواً في طاقم التخطيط الذي يترأسه واتفق معه على أن يكون ضابط اتصاله في إسرائيل. اتفقا فيما بينهما على شيفرات سرية.

وأراد ايهود أن يكون الاسم السري لرئيس الحكومة اسحق رابين، صهر ابرميلا. وكان ابرميلا ابراهام بن أرتشي صهر رابين والاسم السري للعملة بار متشعيه".

يقول ايهود: "طرت إلى كينيا والألم يعتصرني. للمرة الأولى في حياتي يتم إلغاء مشاركتي في عملية كنت جزءاً مهماً منها، هذا إذا لم أكن في قلبها.

١٦٣

طيلة الطريق إلى نيروبي لم أتوقف عن التفكير في الأمر. كيف يعقل أن أكون على متن الطائرة في طريقي إلى كينيا، وليس مع المحاربين؟.

كان بانتظاره في نيروبي، (ناحوم ادموني)، رجل الموساد، وعدد آخر من كبار الشخصيات في الجهاز. وقد اجتمع في نيروبي مع إيهود في محاولة للوصول إلى معلومات دقيقة حول ما يحدث في عنيتيبي.

بعد العملية بسنوات نشرت صحيفة "ديلي اكسبرس" البريطانية، جزءاً من تلك الجهود وقالت: "أن الموساد جند ضابطاً بريطانيا متقاعدًا، رجل أعمال، عاش في كينيا. كان طياراً هاوياً، يملك طائرة صغيرة".

ووفقاً لأقوال الصحيفة، خرج الشخص المذكور بتاريخ ٣-٧-١٩٧٦ فجراً، في رحلة إلى عنيتيبي. وصور لصالح الموساد، المطار وما حوله. لم تؤكد إسرائيل أبداً هذا الأمر، لكن ما كشفته الصحيفة، أثار حفيظة (عدي أمين)، حاكم أوغندا، الذي دعا الطيار البريطاني، عقب ذلك إلى زيارة مصالحة في أوغندا. وبعد الزيارة الحارة، وقبل أن يصعد إلى طائرته عائداً إلى حيث أتى، قدم له (عدي أمين) هدية خاصة: شبلين في قفص شحنا على متن الطائرة. وفي طريق العودة انفجرت الطائرة وتحطمت وبذلك أنهى عدي أمين حواره.

في صبيحة السبت، وصلت الصور التي التقطت في عنيتيبي إلى غرفة القيادة في كينيا، نظر إيهود بتركيز ووجد الإجابات على الجوانب التي أثار قلق رئيس الحكومة: إذ لا يوجد هناك عقبات أو حواجز بين القاعتين القديمة والجديدة في مطار عنيتيبي.

اتصل إيهود على الفور، برئيس هيئة الأركان وقال له: "كل المعلومات التي طلبها اسحق رابين في طريقها إليك. فيما يتعلق بالسؤال الأول، الرد إيجابي، وليس هناك عقبات وبمقدوركم العبور".

كان الاتصال مشوشاً، وليس من الواضح ما إذا كانت المعلومة قد وصلت. نقلت المادة المصورة بطائرة "بوينغ" التي خرجت على الفور من كينيا

إلى شرم الشيخ ٠٠ وقد وصلت الأفلام إلى قوة دان شومرون قبل بضع دقائق فقط من الإقلاع لتنفيذ العملية.

شعر براك في لحظة ما، أن (موطي جور)، لم يدرك بالضبط، طبيعة المادة التي ستصله. فعمد إلى الاتصال برجل اتصاله، جادي زوهر، الذي جلس في هيئة الأركان في تل أبيب وقال له: "أعلم موتي وسكرتير" صهر ابرميلا" أن كل شيء على ما يرام. وفيما يتعلق بالسؤال الأول: يمكن تنفيذ بار متشعیه. وقد قام (زوهر) بدوره بنقل المعلومات إلى العميد (افرايم بورن)، السكرتير العسكري لرئيس الحكومة.

ومع وصول المعلومة الاستخبارية والمادة المصورة، أخذ قائد العملية، (دان شومرون) الموافقة على الإقلاع، لكنه لم يتسلم الموافقة على تنفيذ العملية. في تلك الساعة، عقد رئيس الحكومة، اسحق رابين، جلسة لمجلس الوزراء في تل أبيب، وأمر سكرتيره العسكري، بإصدار أوامره إلى الطائرات بالإقلاع والتحليق إلى حين صدور الموافقة النهائية. في تلك اللحظة، وصلت المعلومة التي كان ينتظرها اسحق رابين من كينيا، والتي تفيد بأن الرهائن سيكونون مع حلول الظلام على عنتيبي، في القاعة القديمة للمطار وعندئذ، صدرت الموافقة ونقلها موطي إلى غرفة القيادة المنقولة جواً، والتي ينتظر في داخلها، اللواء (كوتي آدم)، قائد سلاح الجو، اللواء (بيني بيلد) وقائد القوة العميد (دان شومرون).

كان إيهود في كينيا، بانتظار اتصال هاتفي من (جادي زوهر). وعندما سمع كلمة "صهر ابرميلا سيصل حتماً إلى بار متشعیه"، أدرك أن الطائرات الإسرائيلية في طريقها نحو الهدف.

كان إيهود على علم بالوقت المحدد لهبوط الطائرات، وكان يدرك أن استمرار العملية لأكثر من ساعة، يعني أن الوضع بات معقداً. وعندما أُلغيت الطائرات فقط، وعلى متنها الرهائن، تلقى التقرير الأول بالكود السري من تل

أبيب: لقد فقدت القوة عنصراً واحداً. هناك إصابات. الطائرات في طريقها للترود بالوقود من نيروبي الهبوط بعد ساعة.

استقبل ايهود الطائرات على مدرج المطار. وعندما فتحت أبواب طائرة "هيركوليس" الأولى، وجد نفسه يعانق دان شومرون. كان شومرون أول من أخبره بمقتل يوني في العملية.

دخل ايهود إلى الطائرة ليودع صديقه. كانت علامات الذهول والصدمة، ما تزال تملو وجوه الرهائن. أشار أحدهم إلى سرير ملقى وسط الطائرة. كشف ايهود الغطاء ونظر إلى وجه يوني الشاحب. حلق في وجهه، ودعه، ثم نزل من الطائرة وقد اغرورقت عيناه بالدموع، وشعر بجرح عميق في داخله.

اتجه نحو موكي بتسار وعانقه. قال له موكي: "لقد أصيب يوني بعد أن نزلنا من السيارة وانفصلنا عنه. ويبدو أنه أصيب برصاص جندي أوغندي من برج للمراقبة. بعد ذلك، تسلمت القيادة، واتصلت بدان شومرون وأعلمته بالأمر، واستكملنا العملية. عدت إليه وعلمت بأن الطبيب لم يتمكن من إنقاذه.

سار ايهود باتجاه عدد من المقاتلين - عומר بار-ليف، شاؤول موفاز وامنون بيلد، جميعهم قادة القوات في الوحدة، ثم عاد إلى غرفة القيادة واتصل برئيس هيئة الأركان: لقد هبطت الطائرات وقتل يوني خلال العملية.

موتي: "هل حقاً ما تقول؟"

ايهود: نعم، وقد تم نقل الجرحى لتلقي العلاج. عملية التزويد بالوقود، ستنتهي بعد ساعة تقريباً. وسأتصل بك عندما تقلع الطائرات جميعها".

بعد ذلك اتصل ايهود بمنزله في (رMAT هشارون) كانت الساعة الثانية فجراً. تحدث إلى (نافا)، ثم أخبرها بمقتل يوني. وطلب منها اطلاع زوجته (بروريا) على الأمر، بدل أن تعرف من مصدر آخر.

ايهود: "عليك عمل ذلك. لقد رأيت يوني قبل قليل وودعته، بعد دقائق سيعانون عن العملية في الراديو".

أقفلت (نافا) الخط، ثم نزلت إلى شقة يوني و(بروريا). كانت تمنى وهي تقرر الجرس أن لا تجيب (بروريا).

فتحت (بروريا) الباب. لم تكن (نافا) قادرة على الحديث قالت لها أن ايهود هاتفها من نيروبي. ثم أردفت قائلة: "وقد أصيب يوني خلال العملية"، ثم أضافت: "وجراحه خطيرة". ثم انفجرت بالبكاء. أدركت (بروريا) ما حدث. وبعد بضع ساعات وصل ضباط من الوحدة وأخبروها بما حدث.

بعد ذلك بيومين، دفن يوني في جبل هرتسل بالقدس، لم يحضر ايهود مراسيم التشييع، حيث اضطر للبقاء في كينيا يومين إضافيين للاهتمام بشؤون الجرحى في المستشفيات، ولحل مشاكل ظهرت في أعقاب العملية في عنيتيبي. وبعد ثلاثة أيام فقط، عاد إلى إسرائيل، ثم توجه إلى منزل (بن تسيون)، وكان لقائه الأول بذوي يوني.

صافحه (بن تسيون نتنياهو) وقال: "لقد سمعت عنك الكثير من يوني، الذي كان يكن لك مشاعر الود والتقدير". تحدثت (تسيلا نتنياهو)، والدموع تنهمر من عينيها: "لقد تحدثت عنك يوني كثيرا في رسائله، ولطالما رغبت في التعرف إلى هذا القائد الذي أحبه... وهنا علق ايهود بقوله: "كان يوني مثيرا للدهشة، أنه شخص نادر الوجود".

أراد بيبي أن يسمع من ايهود، الكثير عن الأيام والساعات التي سبقت عملية عنيتيبي. كانا يتحدثان كشخصين تجمعهما كارثة مشتركة، وليس كقائد وحدة وضابط صغير تحدث بيبي عن مسألة تقسيم الإرث وما تركه يوني، وأراد من ايهود التدخل للوصول إلى تسوية مع (بروريا). بذل ايهود أقصى طاقاته للمصالحة بين ذوي يوني وزوجته (بروريا)، لكن جهوده هبت أدراج الرياح، وقد تسببت هذه المحاولة، فيما بعد بقطع العلاقات بينه وبين ذوي يوني، الذين زعموا بأن ايهود أبدى تعاطفه مع (بروريا).

بعد عملية عنيتيبي ببضعة أشهر، وصلت إلى ايهود رسالة من يوني، كان قد أرسلها إليه عام ١٩٧٣ في جامعة ستانفورد، لكن حرب تشرين سبقت

وصول الرسالة، التي سلمت إليه بعد ثلاث سنوات. وقد أثنى يوني في رسالته على ايهود وكال له المديح. قرأ ايهود الرسالة، مرة تلو الأخرى، والدموع تنهمر من عينيه، وما زالت تلك الرسالة حتى اليوم، في بيت ايهود و(نافا) براك.

الفصل الثالث عشر

اللواء الصغير في هيئة الأركان
وضع نظرية بناء الجيش الإسرائيلي وشارك في غزو لبنان

في مطلع عام ١٩٧٧ ترك (إيهود براك) شعبة العمليات في هيئة الأركان، وتوجهت العائلة- ولدت له بنت أخرى تدعى يعيل- مرة أخرى إلى الولايات المتحدة الأميركية. بهدف استكمال الدراسة.

التحق إيهود بجامعة ستانفورد كان هذه المرة أكبر وأكثر نضجاً وخبرة، بيد أن الأهداف التي وضعها لنفسه قبل ذلك بأربع سنوات، لم تتغير. إنه مصمم على إنهاء الدراسة ونيل شهادة معتمدة في غضون أقل من عامين، والعودة بعد ذلك، إلى الجيش الإسرائيلي.

وخلافاً لفترة دراسته في القدس، التي اعتاد خلالها التغيب عن المحاضرات، لم يضيع إيهود في جامعة ستانفورد محاضرة-تقريباً. وسرعان ما أنهى الدراسة وعاد إلى الجيش.

لم يخف إيهود خلال اتصالاته من الولايات المتحدة، رغبته في قيادة فرقة مدرعات نظامية- وهي مرحلة من الضروري أن يجتازها من يريد أن يصبح ضابطاً رفيع المستوى على المسار القيادي.

للمرة الأولى في حياته العسكرية، يصطدم براك بعقبة ليست سهلة. وسرعان ما اكتشف من اعتاد الدخول بحرية إلى مكاتب الألوية، حتى عندما كان ضابطاً صغيراً في الوحدة، أن الوصول إلى قيادة فرقة نظامية، ليس أمراً سهلاً.

وكما كانت الحال عليه في مواجهات سابقة، وجد إيهود أمامه هذه المرة خصماً قديماً. ففي نيسان ١٩٧٨، عين (رفائيل إيتان) رئيساً لهيئة الأركان خلفاً لموطي جور. كان رفائيل بانتظار هذه اللحظة ليصفي حساباته.

لم ينس رفائيل لإيهود مناورات التي قام بها في منافساته الخفية، على العمليات الخاصة. وقد كان لديه مرشحان قديمان من سلاح المدرعات لقيادة الفرقتين النظاميتين- يوسي بيلد للفرقة النظامية الجنوبية وعميرام متسناع للفرقة النظامية الشمالية. كان أيضاً لدى قائد القطاع الشمالي، اللواء أفيجدور 'يانوش' بن جال ما يقوله. فقد كان 'يانوش'، صديق رفائيل، يفضل تنصيب عميرام متسناع

قائداً للفرقة الشمالية. ولم يجد نفعا تدخل نائب رئيس هيئة الأركان، اللواء يكتونيل آرام، واللواء دان شومرون.

تعتبر قيادة الفرقة الشمالية النظامية، مطمح كل ضابط رفيع المستوى، يرنو للوصول إلى رتبة لواء. تسلم إيهود آنذاك فرقة احتياطية-كانت فرقة متميزة قادها أريك شارون في حرب ١٩٧٣، بيد أنها اليوم فرقة احتياطية. واجه إيهود التحدي الجديد بكل شجاعة وقوة وصمم على إكساب الفرقة، القدرة العملية التي تتمتع بها الفرقة النظامية.

تمكن إيهود من إثبات قدراته بعد بضعة أشهر. فقد بادر الجيش الإسرائيلي إلى إجراء مناورة ثنائية على مستوى الفرق، في منطقة سيناء. تجمع بين فرقة براك الاحتياطية وفرقة يوسي بيلد النظامية.

بذلت الفرقتان جهوداً كبيرة في إطار الاستعدادات، وأعد قائد القطاع، دان شومرون، هيئة تحكيم لتحديد الفرقة الفائزة. بيد أن الضباط الذين شاركوا في المناورة، لم ينسوا بعد ذلك الأشهر الطويلة التي لم يهدأ الجدل خلالها، حول الجهة الفائزة. سجل براك لنفسه على هامش هذه المناورة إنجازاً متميزاً. فقبل أن تبدأ، استدعى قدامى دورية هيئة الأركان وعلى رأسهم العقيد موكي بتسار لخدمات احتياطية خاصة. وقد عين بتسار قائداً لوحدة استطلاع خاصة، تابعة للفرقة، أقيمت على عاتقها مهمة سرية- تشويش "منظومة الخصم".

جرت المناورة كالمناورات السابقة في الجيش الإسرائيلي، غير أن أحداً في فرقة يوسي بيلد، لم يلاحظ وحدة الاستكشاف التي نجحت في اختراق غرفة قيادة الفرقة ليلاً، حيث تمكن موكي ومعاونوه من شل حركة منظومة الاتصال والسيطرة في قيادة الفرقة الخصم. كما نجحوا بواسطة جهاز خاص، في نزع قطعة مهمة جداً من غرفة الاتصال تعتبر ضرورية للاتصال مع الوحدات.

كانت الاضطرابات التي نشبت عقب المناورة، فريدة من نوعها. وقد أمر اللواء دان شومرون، الذي أشرف على المناورة بوقفها مؤقتاً إلى أن يتم العثور على القطعة المفقودة.

في نهاية عام ١٩٧٩، تسلم براك قيادة الفرقة النظامية في الجنوب، خلفاً لـيوسي بيلد. وقد وصل إلى هذا المنصب بعد أن أثبتت نفسه كضابط مدرعات بارع نشط، أجرى مناورات ناجحة، وسجل رقماً قياسياً كقائد ميداني يملك القدرة على تفعيل قوات كبيرة. وقد كان العقيد، داني يتوم، أحد قادة الألوية في الفرقة. كان دان شومرون قائد القطاع، وعلاقاته كانت جيدة بطبيعة الحال مع إيهود وبلغت ذروتها في عملية عنتيبي، حيث شارك براك شومرون في أفكاره بشأن تشكيل وحدة خاصة، وقد أبدى شومرون حماسه للفكرة، وكما يبدو، كانا يتقان بأنه لو كانت هناك وحدة مماثلة في حرب تشرين ١٩٧٣، لكانت صورة الحرب خلال الأيام الأولى مختلفة تماماً.

غير أن رفائيل، لم يكن يحب المفاجآت. وقطعاً تلك التي يشارك فيها دان شومرون وإيهود براك.

في الثالث والعشرين من نيسان ١٩٨٠، وفي ذروة مناورة الفرق في سيناء، وصل النبا المفجع: لقد مات إبراهيم أرنان الذي شكل دورية هيئة الأركان بعد صراع دام عشر سنوات مع مريض السرطان.

طار براك إلى تل أبيب، وقام بتأبين أرنان، منفذاً بذلك وصيته التي كتبها قبل وفاته بسنوات طويلة. وقد دفن أرنان في جبل هرتسل بالقدس بالقرب من 'دادو' ويوني ننتياهو.

في نهاية عام ١٩٨١، نفذت الفرقة النظامية مناورة كبيرة في سيناء، كانت آخر المناورات الكبيرة، قبل نقل سيناء إلى السيادة المصرية، وقد كان من بين الحضور، إريئيل شارون، الذي عين وزيراً للدفاع منذ تموز ١٩٨١، وقد تابع باهتمام مجريات المناورة، وأعجب بسرعة حركة الدبابات وسرعة بديهة قائد الفرقة وأثنى على براك وصافحه بحرارة.

بعد انتهاء المناورة ببضعة أسابيع، دعي العميد براك إلى مكتب رئيس هيئة الأركان، رفائيل إيتان. كان اللقاء قصيراً. ورفائيل كعادته، لم يكثر من الكلام. قال له: "قررت تعيينك رئيساً لشعبة التخطيط في هيئة الأركان. وسيدخل

التعيين حيز التنفيذ بتاريخ ١-١٢-١٩٨١، وسيتم ترقيتك إلى رتبة لواء بالنجاح والتوفيق".

صافح ايهود رئيس هيئة الأركان. وبعد أن أصبح خارج المكتب فقط، تمكن من إطلاق ابتسامة واسعة. لقد نجح في الصعود من رتبة مقدم إلى رتبة لواء. وقبل أن يصبح في الأربعينيات من عمره، كان أصغر لواء في هيئة الأركان العامة التي يترأسها رفائيل. وقد ولدت قبل ذلك بوقت قصير ابنته الثالثة عنات.

كانت شعبة التخطيط، الأقل أهمية في هيئة الأركان، بيد أن براك كان يثق بقدرته على تغيير هذا الانطباع، إذ أثبت أهمية أوراق العمل والتخطيط التي سيقدمها. وبالفعل، أصبحت شعبة التخطيط في عهد براك، نشطة ومهمة على صعيد وضع تقديرات استراتيجية للأيام العادية وللطوارئ. ولم يكن براك ينتظر المهام، بل يخلقها.

كانت المهمة الأولى، إعداد نظرية بناء القوة العسكرية الإسرائيلية، ولطرحها أمام وزير الدفاع. وقد أدهش وضوح أسلوب طرح الخطة ومضمونها أعضاء هيئة الأركان، بينهم رئيس شعبة الطاقة البشرية، رئيس شعبة الإمداد والتموين، ونائب رئيس هيئة الأركان، الذين وجدوا من الصعب التصديق بأن الخطة طرحت على يد لواء، وصل إلى الشعبة قبل ذلك بثمانية أيام فقط. أما رفائيل، فقد سعد بانشغال اللواء الصغير في أمور لم تبد، من وجهة نظره، على رأس سلم الأولويات، لكنها كانت مهمة لمستقبل الجيش الإسرائيلي على المدى البعيد.

وجد براك الفرصة أمامه، لتطبيق كل ما تعلمه أثناء إعداد رسالة الماجستير في مجال تحليل المنظومات. وقد قرر التخطيط لحاجات الجيش الإسرائيلي على خلفية تقليص مكثف لميزانية الدفاع. وبذلك، تكون شعبة التخطيط، قد أخذت على عاتقها مهمة التخطيط الاستراتيجي الإشراف على

منظومة الاتصال في ساعات الطوارئ، وفحص الاحتياطي في مخازن الطوارئ.

في تلك الأيام، بدأت شعبة التخطيط تطبيق نتائج لجنة "اغرنات" في كل ما يتعلق بوحدات مخازن الطوارئ، كي لا يتكرر ما حدث في تشرين أول ١٩٧٣.

غير أن المسألة الأهم التي رافقت براك في شعبة التخطيط، وعلى مدى سنوات خدمته، إلى أن أنهى مهامه كرئيس لهيئة الأركان هي: تحديد اتجاهات لتطوير المعدات الحربية ونظرية العمل في ساحة الحرب المستقبلية. في مقابلة أجريت معه في مطلع عام ١٩٨٢، طرح اللواء براك أفكاره حول مهمة شعبة التخطيط فقال: "أنه مجال تتنافس فيه وبشكل يومي، مع العدو دون أن تعرف ما يفعل، الحروب تُحسم فوزاً أو خسارة وفق مستوى نجاح الجيوش في تحديد اتجاهات العمل الصحيحة في الفترة الواقعة بين الحروب، والعمل وفقاً لها.

ويجدر بنا التنويه هنا، إلى أنهم ما زالوا يعززون لبراك حتى اليوم، الفضل في دفع مسيرة تطوير العاب الحرب المحوسبة، لا سيما وأنه درس بشكل نظري منظومات أسلحة حديثة، لمعرفة مدى تأثيرها على ساحة الحرب في نهاية القرن العشرين.

تسلم براك إلى جانب منصبه في شعبة التخطيط، مهمة أخرى لساحة الطوارئ: نائب قائد الجيش. فقد أصر وزير الدفاع، اريئيل شارون، على تعيين براك قائداً للجيش، بيد أنه استسلم أخيراً لرأي رفائيل، الذي احتفظ بالمنصب اللواء افيجدور (يانوش) بن جال، الذي كان آنذاك في فترة الدراسة في الولايات المتحدة، بعد أن أنهى مهامه كقائد للمنطقة الشمالية. وقد تم التوصل إلى تسوية يقود إيهود بمقتضاها الجيش، ويعدده للحرب. لكن في حال اندلاع الحرب، سيعود "يانوش" ليتسلم عملياً، قيادة الجيش، وسيكون إيهود نائبه.

لم يشهد الجيش الإسرائيلي سابقات كثيرة من هذا النوع، وحسب تقديرات هيئة الجيش، سيكون هذا الربط بين 'يانوش' و'براك' مثيراً للإشكالات. وبعد مرور فترة غير طويلة، اتضحت صحة هذه التقديرات، عندما وجد الجيش نفسه في مواجهة ألوية المدرعات السورية في لبنان. كان براك يدرك بأن هذا الامر سيثير الاشكالات، لكنه لم يشأ الاعتراض على قرار رئيس هيئة الأركان.

في عام ١٩٨٢، بدأت تهب رياح الحرب. فقد توالى الاستعدادات وحالات التاهب مرة تلو الأخرى، وعادت منظومات الحرب إلى وضعها الطبيعي مرة تلو مرة. بيد أن تقديرات الجيش، كانت واضحة، وتشير إلى اقتراب موعد المواجهة المباشرة بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية.

بدأت المواجهة. وبتاريخ ٣-٦-١٩٨٢، تم إطلاق النار على سفير إسرائيل في بريطانيا، شلومو ارغوب، كان وزير الدفاع آنذاك في زيارة رسمية لرومانيا، وقد عاد على وجه السرعة إلى إسرائيل. وعلى الرغم من غيابه، اتخذت حكومة بيغن قراراً لا رجعة فيه، يقضي بمحاربة (الإرهاب) القادم من لبنان. وقد كانت هذه الفرصة التي انتظرها زمناً طويلاً.

خرج إيهود باراك إلى قيادة الجيش. كان 'يانوش' ما يزال في الخارج ولما تم استدعاؤه، غادر جامعة هارفارد، واسرع على متن أول طائرة، إلى إسرائيل. بعد ذلك، بدأ اللواءان الاستعدادات الأخيرة للحرب.

كانت مهمة الجيش، كما وصفها قائد القطاع الشمالي، المسؤولة عن القطاع الشرقي لسهل البقاع، الذي كانت تتمركز فيه قوات سورية. وقد تقرر، أن لا تبادر إسرائيل إلى شن هجوم ضد السوريين، إذا ما التزموا جانب المحايدة. وفي حال تدخلهم لمساعدة المسلمين، سيجدون (أنفا) سهم في مواجهة جيش مستعد لخوض الحرب.

لم يلعب الجيش دوراً مركزياً في المعارك التي جرت خلال الأيام الثلاثة الأولى. فقد اقتحمت الفرق بقيادة (اسحق مردخاي)، (أفيجدور كهلاني)، (عمنوئيل سيكل)، (مناحيم عينان)، لبنان وتحركت شمالاً. وفي اليوم الثاني

للحرب. وبعد احتلال مدينة (حاصبيا)، تسلم الجيش المسؤولية عن القطاع الشرقي. توجهت الفرقة إلى الشمال باتجاه بحيرة "القرعون" وسهل البقاع. كانت الرسالة الموجهة للسوريين واضحة - إذا تدخلتم، نحن هنا.

استعرت الحرب في القطاع الشرقي، في يومها الخامس، حيث دفع الجيش الإسرائيلي قواته نحو الشمال، وتدخلت القوات السورية في سهل البقاع لصد القوات الإسرائيلية. عندئذ، أمر وزير الدفاع، اريئيل شارون بتغيير تكتيكي، يقضي بضرب السوريين في كل مكان يحاولون فيه التدخل في الحرب.

في ذلك المساء، تلقى الجيش الإسرائيلي الأوامر للتحرك شمالاً، واحتلال طريق بيروت-دمشق، كخطوة استراتيجية تهدف إلى قطع الجيش السوري عن بيروت.

بلور قائد الجيش، اللواء افيجدور بن جال خطة الحرب التي كانت تنص على السيطرة على "مثلث توبلانا" - مفترق طرق استراتيجي يتحكم بقرية السلطان يعقوب التي تبعد مسافة بضعة كيلومترات جنوب طريق بيروت - دمشق - تحت جناح الظلام، وشن الهجوم من هناك في الصباح. وفي وقت متأخر، وصلت الأوامر من قيادة القطاع بالاستعداد للدفاع، واتفق "يانوش" مع براك على أن يكون الدفاع على نفس الخط.

خرج "يانوش" ليلاً إلى المجموعة القيادية في القطاع الشمالي. وكان قبل ذلك، قد أمر نائبه براك، والعميد عميرام متسناح بالبدء في دفع قوات الجيش إلى مواقعها.

في الساعة الواحدة والنصف فجراً، عاد "يانوش" وفوجئ بأن القوات ما تزال بعيدة عن أهدافها، وقد أخبره براك ومتسناح بأن هناك مشكلة، حيث أرسلت قوة مدرعات متقدمة، تقريراً يتحدث عن صدامات مع السوريين، وأنه يخشى مع ذلك، أن يكون الحديث حول تبادل لإطلاق النار، بين القوات الإسرائيلية، بطريق الخطأ. ففي وقت مبكر من ذلك اليوم، هاجمت طائرة من سلاح الجو قافلة دبابات تابعة للجيش الإسرائيلي، وتسببت في حدوث خسائر

كبيرة. والخوف من حدوث أخطاء مصيرية أخرى، تعرقل تقدم الدبابات باتجاه مفترق "طرق توبلانا".

أمر ايهود براك جميع القوات بالتحرك في مواقعها وبدأ التأكيد من أماكن وجودها. في غضون ذلك، تشكل لديه انطباع بأن إحدى القوات، تتواجد في منطقة جنوبية تبعد كثيراً عما تم تحديده في التقارير الواردة حتى الآن. في تلك الأثناء ذكرت نفس القوة، أنها (شخصت) وجود صواريخ سورية على ظهر مدرعت.

كان "يانوش" قد وصل في تلك الساعة من القطاع الشمالي، ولم يدرك طبيعة ما يجري، فأمر بفتح النار على السوريين. غير أن متسناح، الذي راوده نفس الشعور الذي راود براك، وشك في وجود أمر غير طبيعي في التقارير، طلب من "يانوش" التريث للتأكد من أن الحديث لا يدور حول قوة تابعة لنا. وقد أخذ "يانوش" برأيه.

أمر براك قائد الكتيبة، بالنزول من الدبابات والتحرك بحذر باتجاه الصواريخ للتأكد من أن الحديث يدور حول وحدة سورية. وبعد وقت قصير، وصل التقرير عبر أجهزة الاتصال، وتبين أن تلك القوة، وحدة تابعة للجيش الإسرائيلي. لقد نجحوا بأعجوبة في الحيلولة دون حدوث كارثة.

معركة السلطان يعقوب

كانت الساعة الثانية فجراً، وتلقت القوات ثانية، الأمر بمواصلة التحرك باتجاه الهدف - مثلث توبلانا. ومع أول بصيص للنور، أعلن قائد كتيبة المدرعات التي تحركت منفردة، الاصطدام بكمين سوري، ووقوع عدد كبير من الجرحى. عند ذلك فقط، تأكد قائد الجيش من أن قسماً من القوات لا تعرف مواقعها بالتحديد. وتبين أن الكتيبة المنفردة، تتواجد على مسافة ثلاثة كيلومترات شمال (مثلث توبلانا)، وتخوض معركة مع قوة سورية في أطراف قرية السلطان يعقوب، وأن كتيبة جيورا ليف، التي أعلنت ظهر يوم الخميس أنها تتواجد على السلسلة الصحراوية فوق مثلث توبلانا، كانت تتواجد في حقيقة الأمر على مسافة

ثلاثة كيلومترات جنوب الموقع. ولقد تسببت هذه التقارير في تضليل قيادة الكتيبة وقيادة الجيش.

أمر "يانوش" أحد ألوية المدرعات بالتحرك باتجاه القوة الإسرائيلية التي وقعت في الكمين السوري لمساعدتها، وقد أرسل قائد الجيش قوات أخرى للمساعدة، كما انضم العميد عميرام متسناح إلى قوات كتيبة يوم طوف سامية، التي حاولت الاتصال مع القوة المنفردة، فيما تم إرسال إيهود براك ومعه العقيد، شموئيل اراد وقوة مظليين احتياطية، بقيادة دوبي هلمان، لاعداد قوة من سلاح المشاة.

كذلك، توجهت قوة أخرى مدرعة، بقيادة العقيد جيورا ليف، الذي أصبح فيما بعد رئيسا لبلدية (بيتح تكفا) - إلى القوة لانقاذها من الكمين. وقد أعلن قائد القوة، المقدم عيرا عفرون، أن الوضع صعب.

كان جيورا ليف، أول الواصلين إلى نهاية السلسلة الصخرية فوق" مثلث توبلانا" وفي اللحظة التي اشرف فيها على المنطقة، أوصى "يانوش" على الفور بإصدار الأوامر إلى كتيبة عيرا عفرون، بالتوجه جنوباً نحو قواتنا. وافق "يانوش" على ذلك. واعد العميد مزراحي قوة مدفعية مكثفة قامت بالتغطية لاتمام عملية الانسحاب، ثم توجهت القوة جنوباً.

خسائر إسرائيلية كبيرة

استمرت المعركة في قرية السلطات يعقوب حتى ساعات الظهيرة. كانت النتائج صعبة، حيث وقع عدد كبير من الجرحى، وأكلت النيران عدداً كبيراً من الدبابات، فيما فقد عدد من الجنود-كلهم مقاتلون في سلاح المدرعات،- احترقت دباباتهم ووجدوا انفسهم بين الجنود السوريين والمسلحين.

ومقابل التقارير السيئة الواردة من قرية السلطان يعقوب، وصلت إلى قيادة الجيش تقارير تحدثت عن وجود كتيبة دبابات سورية من طراز (T-72) تتحرك باتجاه القرية المذكورة. وقد طلب "يانوش" موافقة رئيس هيئة الأركان على ضربها. وافق "يانوش" وأعد العميد يوسي بيلد، أحد كبار قادة الجيش كمين مدرعات للدبابات السورية، ويمكن القول بأن نجاح العملية، وإضرار النار في

عشرات الدبابات السورية، دون وقوع أي إصابات في صفوف أفرادنا، قد أسهم في تحسين المزاج السائد في قيادة الجيش، عقب فشل عملية السلطان يعقوب. في صبيحة اليوم التالي، بدأ قائد الجيش التحقيق مع قادة الوحدات، الذين كان يفترض أن يصلوا إلى مشارف "توبلانا". وأن يتمكنوا من السيطرة على طريق بيروت- دمشق. وقد تبين أن بعض قادة الألوية، اخطأوا في تحديد الموقع الذي تواجدوا فيه في الليلة السابقة، مما أدى إلى تشويش صورة الوضع وفشل الخطة.

تجدر الإشارة إلى أن بعض ضباط الجيش، المقربين من "يانوش" القوا عبء المسؤولية عن الفشل على عاتق اللواء أيهود براك، بذريعة أن "يانوش" خرج إلى المجموعة القيادية في القطاع الشمالي، وكان نائبه هو المسؤول عن تحركات القوة.

غير أن الحقيقة كانت مختلفة فوقع القوة في الكمين السوري، كان قبل بزوغ الفجر، وبعد ساعات من عودة "يانوش" إلى قوة الجيش، وهذا يعني أنه أشرف في تلك الساعة على القوات. كذلك، دافع براك عن اللواء بن جال، في جميع التحقيقات التي جرت في فترة الحرب وما بعدها، وزعم أنه غير مسؤول عن الفشل في السلطان يعقوب.

الفصل الرابع عشر

ايهود ٠٠٠ رئيسا للاستخبارات العسكرية
عارض "الشريط الأمني" بجنوب لبنان وتنبأ بالخسائر الجسيمة

بتاريخ ٧-٢-١٩٨٣، نشرت لجنة كوهين نتائجها في قضية مذبحه مخيمات اللاجئين، (صبرا وشاتيلا) قبل ذلك بخمسة أشهر، وتحديدًا بتاريخ ١٨-٩-١٩٨٢، انتقم عدد من الجنود اللبنانيين لمقتل الرئيس اللبناني (بشير الجميل)، وقتلوا مئات الفلسطينيين، في مخيمات اللاجئين غربي بيروت.

أثارت الصور الفظيعة للمذبحة، هزة في إسرائيل والعالم، وقد وجهت انتقادات شديدة للجيش الإسرائيلي الذي لم يمنع حدوث المذبحة في المنطقة الواقعة ضمن حدود سيطرته ومسؤوليته القيادية.

أثارت نتائج اللجنة، ضجة جماهيرية وسياسية في إسرائيل. فقد اضطر وزير الدفاع، اريئيل شارون للاستقالة من منصبه.

وألقت اللجنة بالمسؤولية على أربعة ضباط في الجيش: رئيس هيئة الأركان، رفايل ايتان، الذي تم توجيه اللوم إليه، لكن لم تتم تنحيته، رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية، اللواء يهوئيل ساعي، الذي اضطر لاعتزال منصبه، قائد القطاع الشمالي، أمير دورون وقائد سلاح المشاة والمظليين، العميد عاموس يارون، اللذين حرما من شغل مناصب قيادية على امتداد ثلاث سنوات.

رأى براك بأن اللجنة كانت قاسية أكثر مما ينبغي على قيادة الجيش ووزير الدفاع، فقد كانت استقالة شارون ضربة قوية. كيف لا، وهو يكن له التقدير الشديد، وهو الذي قال أكثر من مرة، أن براك الضابط اللامع في الجيل الجديد، في هيئة الأركان مرشح لأن يصبح قائد قطاع.

لم يخف إيهود رغبته في الوصول إلى منصب قائد قطاع. كانت شعبة التخطيط في هيئة الأركان، من وجهة نظره، محطة مثيرة، تعلم فيها الكثير عن طابع ونشاطات هيئة الأركان العامة، لكنها تظل رغم ذلك، مجرد محطة على طريق السير نحو الأمام. كانت قيادة القطاع الشمالي على رأس أولوياته، تليها قيادة القطاع الجنوبي، وكان يرى بأن تقرير لجنة كوهين، سوف يتيح المجال لحملة تعيينات جديدة، ووجد نفسه مرشحاً لأحد تلك المناصب.

بعد نشر نتائج لجنة كوهين ببضعة أسابيع استدعي اللواء براك للقاء شخصي مع نائب رئيس هيئة الأركان، اللواء موشيه ليفي، الذي كان من المفترض، أن يعين في غضون وقت قصير، رئيساً لهيئة الأركان العامة، خلفاً لرفائيل.

كان رئيس هيئة الأركان الجديد موضوعياً. قال له: "لقد قررت تعيينك رئيساً لشعبة الاستخبارات. من وجهة نظري، أرى بأنك الأفضل لشغل هذا المنصب".

لم يستطع إيهود إخفاء دهشته. حاول إقناع ليفي وقال له: "أشكرك على هذا الاقتراح، لكنني أرى أن منصب قائد قطاع يناسبني أكثر. كان طابع كل مسار خدمتي، تنفيذياً. لذلك، أنا واثق من وجود من هم أفضل مني لشغل هذا المنصب".

لم يقتنع ليفي بذلك، وقد أوضح لبراك مدى الأهمية التي يعزوها لتعيين ضابط مثله في منصب رئيس شعبة الاستخبارات. لم ينجح إيهود في زحزحته عن موقفه.

وفي لقاء آخر، حاول موشيه ليفي، بالتعاون مع وزير الدفاع موشيه ارنس، وقائد سلاح الجو، اللواء دافيد عفري، الضغط مجدداً على براك لقبول المنصب، وقد استجاب هذه المرة لطلبهم. وفي ختام اللقاء، اتفق وزير الدفاع ارنس، ونائب رئيس هيئة الأركان على تسجيل إجمال للقاء، لدى السكرتير العسكري لموشيه ارنس، ينص على أن يكون التعيين محددًا بمدة عامين بالضبط، يعين براك بعد انقضائها قائداً لقطاع.

لم يدرك إيهود في ذلك الوقت، أن المسؤولية عن التعيين ملقاة في واقع الامر، على عاتق داني يتوم، السكرتير العسكري لوزير الدفاع، ارنس، الذي حضر لقاء ارنس وموشيه ليفي، والذي أوصى بتعيين إيهود براك، بدل أمنون ليفكين شاحك، الذي اقترح ليفي تعيينه في البداية.

أصاب اللقاء إيهود براك بخيبة أمل. إنها المرة الأولى التي تتعرقل فيها خطته.

بدأ براك الاضطلاع بمهامه الجديدة بتاريخ ٨-٣-١٩٨٣. دخل مكتب رئيس هيئة الأركان، حلق في صور جميع من سبقوه إلى هذا المنصب منذ عام ١٩٤٨. كانوا تسعة، استقال ستة منهم على خلفية اخفاقات استخبارية أو حوادث خارجية: ايسر باري، بنيامين جيبلي، حاييم هرتسوغ، يهوشفاط هركافي، ايلي زعيرا ويهوشع ساغي، فيما أنهى الثلاثة الآخرون،-مائير عاميت، اهارون ياريف وشلومو غازيت، مهام مناصبهم في الوقت المحدد. كان معظم رؤساء الاستخبارات ضباطا قياديين وليسوا ضباطا مقاتلين، يحظون بتقدير كبير في هيئة الأركان بيد أن أحدا منهم لم يصل إلى رئاسة هيئة الأركان.

أحسن براك في اجتماعات التعارف مع كبار المسؤولين في سلاح الاستخبارات، وخلال أيامه الأولى هناك، بأنه يتوق إلى زملائه في دورية هيئة الأركان والوحدات الميدانية التي تولى قيادتها. بدت له الأجواء الجديدة، غريبة بعض الشيء، بالنسبة لشخص أمضى أكثر أيام خدمته العسكرية في الميدان. غير أنه سرعان ما أعاد النظر في الوضع، وفي غضون بضعة أشهر بدأ يشعر بالرضى.

اكتشف ايهود عمق المسؤولية والطاقة الكامنة في هذا المنصب. كان يدرك أهمية شعبة الاستخبارات في الوسط الاستخباري، كما كان يدرك عمق الأذى الذي خلفه قرار لجنة(اغرنات) بشأن تنحية رئيس الشعبة، اللواء يهوشع ساغي. وكان أول قراراته، التعاون مع عناصر الاستخبارات الأخرى، وتحويل شعبة الاستخبارات إلى منظومة فاعلة نشطة-وخلاقة، تتفوق على استخبارات العدو والمنظومات الاستخبارية الأولى.

كان أول لقاءاته التي أجراها فور تسلمه زمام منصبه، مع اللواء (احتياط) شلومو غازيت، الذي عين رئيساً لشعبة الاستخبارات عقب حرب تشرين ١٩٧٣، ونجح في استكمال مهام منصبه.

وقد أشار عليه غازيت بقوله: "ك رئيس لشعبة الاستخبارات، أنت ملزم بالقراءة المتواصلة. أبدا في الصباح مع صحيفة "هآرتس" وأخبار إذاعة (بي. بي. سي) بعد ذلك استمع إلى أحداث الساعة في الراديو. وهنا، تكون قد عرفت ٦٠% مما يجب عليك تحصيله، وستستكمل ٤٠% من خلال قراءة المواد الاستخبارية.

شكر براك غازيت على نصائحه، لكنه قرر العمل أكثر من ذلك. واستجابة لنصائح إيتمار رابينوفيتش، الذي أصبح فيما بعد صديقه المقرب، بدأ يهود قراءة كتب التاريخ. وفي أحد الأيام، وقع بين يديه كتاب تحت عنوان: "ذكريات من لبنان" أعده دبلوماسي يدعى (أزيلي) عام ١٨٥٠.

كان أزيلي قنصلا فرنسيا في لبنان. بدأ براك بالقراءة وذهل مما قرأ، وكأنه لم يمض ١٣٠ عاما منذ ذلك الحين. المسيحيون نفس المسيحيين، الدروز هم الدروز والقضية نفس القضية. كانت العائلة الدرزية المسيطرة على جبال الشوف هي عائلة جنبلاط. في أحد الأيام هاجم الدروز قرية مسيحية واجلوا سكانها. استجد السكان بالفرنسيين، الذين اكتشفوا خلال وقت قصير مدى التعقيد القائم في لبنان.

أثار الكتاب حماس براك، وقد أخذه معه إلى إحدى جلسات الحكومة، حيث شرح للوزراء أوجه الشبه بين الماضي والحاضر في لبنان.

نجح براك أكثر من سابقه ومن خلال التنسيق مع رئيس هيئة الأركان في خلق قناة للحوار المباشر مع رئيس الحكومة ووزير الدفاع. وقد كانت التقارير السرية، التي قدمها اليهما، مختلفة عما اعتادا عليه فقد حلل المعطيات، واذاف نتائج مغللة، وبدت الصورة الاستخبارية التي وصلت إلى مسؤولي الأجهزة السياسية والأمنية، في مستوى آخر.

قبل أن يتسلم زمام منصبه الجديد، اعتاد رؤساء شعبة الاستخبارات، الظهور وبشكل مستمر أمام الهيئة السياسية والمجلس الوزاري لتقديم

التقديرات الاستخباراتية بيد أن مستوى الثقة بهم، تراجع إلى حد ما، عقب المغامرة في لبنان.

تسلم براك زمام منصب رئاسة شعبة الأركان في عهد حكومة مناحيم بيغن وبعد ظهوره مرات عديدة أمام الحكومة، توجه اسحق شامير، الذي خلف مناحيم بيغن، إلى رئيس هيئة الأركان، موشيه ليفي، وطلب منه استدعاء رئيس شعبة الاستخبارات في أوقات أكثر تقارباً وحسب أقوال اسحق شامير وموشيه ارنس، في وقت لاحق، فقد كانت قدرة براك على الصعيد الاستخباري مذهلة وقد نجح في كسر روتين جلسات الحكومة.

في تلك الفترة، بدأت تتبلور علاقات الصداقة بينه وبين سكرتير الحكومة، دان مريدور وقد خلق المستوى الثقافي المتقارب، وسرعة البديهة لغة مشتركة بينهما، أسهمت في توطيد عرى هذه الصداقة خارج جلسات الحكومة أيضاً.

دعي براك في إحدى جلسات الحكومة لتقديم تقدير استخباري في قضية محددة. كان رئيس الحكومة، اسحق شامير في الخارج، وقد ترأس جلسة الحكومة بدلا منه دافيد ليفي. وبينما هو يقرأ التقدير، تدخل ليفي بقوله: "لا ليس هكذا.....".

فوجئ براك وبدا له أن ليفي يعترض على تقديره الاستخباري، وبعد انتهاء الجلسة فقط، قال له ليفي، أنه اراد طرح تقدير من جانبه، وأنه كان يرى بأنه -أي براك- تجاوز الوقت المحدد له.

ويمكن القول، أنه باستثناء هذه الحادثة المخجلة، كانت العلاقات بين ليفي وبراك على مر السنين، علاقات تقدير ومودة، كان ليفي من وزراء الليكود القلة، الذين أيدوا الانسحاب من لبنان، وقد أوضح أن مباحثاته مع ابنه جاكى المظلي الذي خدم في لبنان، أسهمت وإلى حد كبير، في بلورة موقفه هذا.

وفي لجنة الخارجية والأمن في الكنيست، التي دعي إليها باستمرار، نجح براك في كسب صداقة جديدة مع يوسي سريد. وعندئذ بدأت الوشائيات من

وراء ظهره، وكان هناك من يقول أن رئيس شعبة الاستخبارات يهتم بتوطيد علاقاته السياسية، ويخصص لها وقتاً أكثر مما يخصصه العمل الاستخباري. وأن من يريد العثور على براك، فليبحث عنه في مبنى الكنيست، ومكتب رئيس الحكومة، وليس في شعبة الاستخبارات.

يقول العميد عاموس جلعاد، رئيس قسم الأبحاث في شعبة الاستخبارات: "بعد تسلم براك مهام منصبه، استدعاني لمقابلته. كنت قد أعددت ملفاً تضمن إجمال مشروع استخباري عكفت عليه، وقد كنت على قناعة بأنهم سيطلبون مني طرح القضية".

رأى براك أنني أبداً بفتح الملف، فأشار إلي بحركة يد كي أتوقف وقال: "ليس لهذا استدعيتك. أريدك أن تصبح رئيساً لمكتبتي".

قلت له على الفور: "نعم أقبل". ولم اشعر بالندم على ذلك ولو للحظة. كانت تلك الفترة من أجمل مراحل حياتي. كان براك مختلفاً عما سبقوه في شعبة الاستخبارات. بدا أكثر انفتاحاً وتشجيعاً للإبداع. كان يسمح بحرية الحوار بل ويشجعها. كان يبدو في بعض الأحيان كما لو أنه يفقد السيطرة، بيد أنه كان دائماً يدرك اللحظة التي ينبغي التوقف عندها. بعد ذلك، أدركت أن هذا أسلوب تبناه من أجل منح ضباط شعبة الاستخبارات حرية الإبداع، وتشجيعهم على التفكير بشكل مختلف. أقصد النظر إلى الجيش الإسرائيلي بعين العدو.

لقد لمست آثار هذا التغيير في شعبة الاستخبارات. بدا الجهاز أكثر حيوية ونشاطاً، واتخذت أساليب التفكير طابعاً جديداً ولقد اكتشفت في براك ميزة، انفرد بها عن كل من سبقه أعني القدرة على رؤية ما وراء الأفق والقدرة التحليلية".

كان تقدير الوضع الاستخباري الذي قدم مطلع عام ١٩٨٣ يتحدث عن إمكانية كبيرة لخوض حرب مع سوريا في الشمال. وبناء على هذا التقدير، الذي أعد في عهد يهوشع ساغي، بنى الجيش الإسرائيلي خطته للعمل. وكانت تلك

التقديرات، تشير إلى أن الرئيس السوري، ينوي حقاً، خوض حرب، قد يقحم فيها الأردن أيضاً، وقد تتسبب في وقف مسيرة السلام مع مصر.

تقدير استخباري جديد ومغاير

غير أن براك بدأ وبعد تسلمه زمام منصبه ببضعة أشهر، وبعد أن درس تشكيلات الجيش السوري ونوايا قاداته، بإعداد تقدير جديد للوضع يختلف تماماً عن تقدير ساغي وقد توصل براك إلى نتيجة تقول بأن احتمال خوض حرب مع سوريا ليس كبيراً، وكشف للمرة الأولى، خطراً يهدد الأمن القومي الإسرائيلي، حتى لو كان على المدى البعيد، من جانب العراق وزعيمها صدام حسين.

لقد أتاح تقدير الوضع الجديد، الفرصة أمام براك، لتقدير كفاءته الاستخبارية. صحيح أن سوريا استأنفت جهودها سعياً للوصول إلى توازن استراتيجي ضد إسرائيل، وتمكن السوريون بعد حرب لبنان، من ترميم جيشهم، بما في ذلك سلاح الجو ومنظومة الصواريخ التي أصيبت بأضرار بالغة، بيد أن كل تلك المعطيات - المقلقة في حد ذاتها - لم تخلق صورة حرب وشيكة.

فاجأ براك الجميع ولأكثر من مرة، بإجراء مباحثات طويلة مع ضباط (ثانويين) - برتبة ملازم أول وملازم ثان - وقد استمع، وفي أوقات متقاربة، إلى آراء وتقديرات بدت مختلفة عن تلك التي طرحها كبار الضباط في الاستخبارات مثل هذه المناقشات أذهلته وأثارت اهتمامه غير مرة كان يدون المعلومات التي يجمعها في مذكرة صغيرة يحتفظ بها وقد ساعدته تلك المعلومات، إلى حد كبير، في بلورة تقدير الوضع الاستخباري.

اعتاد براك قبيل أن يطرح تقديراته الاستخبارية أمام رئيس الحكومة ووزير الدفاع، قراءة آلاف الوثائق وإجراء عشرات اللقاءات والنقاشات. كان يطرحها بداية أمام هيئة الأركان. ومن ثم أمام الهيئة السياسية.

ولقد أثار التحول الكبير في تقديرات الاستخبارات - إمكانية كبيرة لخوض الحرب عام ١٩٨٤، مقابل تقدير يشير إلى عدم وجود فرص لحرب

وشبكة- دهشة هيئة الأركان، ورئيس الحكومة والوزراء بعد ذلك. بيد أن براك قال: "هذا تقدير شعبية الاستخبارات، وأنا مسؤول عنه".

أعجب ضباط شعبة الاستخبارات بالأسلوب الذي تبناه إيهود براك في بلورة تقدير الوضع، لا سيما المساواة في التعامل مع جميع الضباط على اختلاف رتبهم. وكان الشعور السائد بأن الأخطاء التي ارتكبت في حرب تشرين ١٩٧٣، والتي كان أساسها تجاهل تقديرات الضباط ذوي الرتب المتدنية، لن تعود في عهد براك.

كان براك يرى أن من الضروري إجراء زيارات مفاجئة، والحرص على المتابعة الدائمة، لمعرفة حقيقة ما يجري، في الوحدة أو القاعدة. ذات مرة، أعلن نيته زيارة القاعدة الاستخبارية في شمال إسرائيل. بدأت الاستعدادات والتحضيرات لهذه الزيارة في القاعدة، واستغرقت أسبوعين.

هبط براك في مروحية رئيس هيئة الأركان في القاعدة، تبادل بضع كلمات مع القائد، استعرض سريعا حرس الشرف، وبدل الدخول إلى مكتب قائد القاعدة، طلب التوجه إلى سكن الجنود. وهناك كانت الصورة مختلفة، حيث القذارة والإهمال. بعد ذلك فقط، عاد إلى مكتب القائد ووبخه بشدة.

بعد وقت قصير من تسلمه زمام منصبه الجديد، وصلت معلومات استخبارية مهمة بشأن جنود (الناحل) الثمانية، الذين اختطفهم المسلحون من موقع مراقبة في شرق بيروت في أيلول ١٩٨٢. وتبين أن ستة منهم وقعوا في قبضة منظمة التحرير الفلسطينية واثنين وقعا في قبضة منظمة أحمد جبريل.

وقد أوضحت المعلومات الاستخبارية أن المسلمين يعتزمون نقل المخطوفين إلى طرابلس، شمال لبنان. فقرر رئيس الاستخبارات استغلال عملية نقلهم، وبدأت دورية هيئة الأركان استعداداتها، غير أن العملية ألغيت عقب إلغاء نقل المخطوفين.

كانت هذه الفترة، فترة عمل قاسية بالنسبة لبراك، استغرقت كل ساعات الليل والنهار-تقريبا. وقد وصف براك- في احتفال أجري له قبل اعتزاله الخدمة

في الجيش - أيامه في شعبة الاستخبارات فقال: "كانت أياماً طويلة وصعبة ومتعبة، سواء أكان ذلك من الناحية الجسمانية، أو من حيث نقل المسؤوليات. لقد شعرت في شعبة الاستخبارات تحديداً، وأكثر ممن أي منصب آخر، ضرورة تقاسم المسؤوليات، ورفع مستوى الصلاحيات. لتتجاوز مجموعة الأشخاص الذين كانوا إلى جانبي، كنت سأغرق في بحيرة طبريا، ولم أكن لأتمكن من مهام القيادة.

يرادوني، دائماً، شعور بقصر الوقت. وكى يتسنى لك الوصول إلى النتائج المطلوبة، ينبغي العمل على أكثر من مسار، في نفس الوقت. لدي عشر أصابع ورأس واحد. وهذا لا يكفي لكل ما اعتقد انه ينبغي التفكير فيه، والتخطيط له، وتنفيذه. اليوم ٢٤ ساعة وقد تعلمت أن عدم إراحة الجسد لساعات في النوم، تؤثر على مستوى الأداء. المجموعة النشطة فقط، هي التي تستطيع خلق نموذج يكون العمل، وفقاً له، مجدداً."

لقد رافقت مأساة حرب تشرين ١٩٧٣، براك، منذ اليوم الأول له في شعبة الاستخبارات، وكلما تعمق في معرفة الجهاز وأفراده - في ذلك الحين - كان يصعب عليه، أكثر فأكثر، استيعاب ما حدث.

وللوقوف على أسباب ما حدث، بدأ براك قراءة قصص تاريخية وأبحاث تناولت مشاكل ومفاجآت استخبارية، مثل عملية "بربروسا" التي فاجأ فيها الجيش الألماني روسيا، في ٢١-٦-١٩٤١، والهجوم الياباني على ميناء (بيرل هاربر) في ٧-١٢-١٩٤١.

وجد براك تماثلاً عجيباً بين العثرات التي وقع فيها كبار ضباط الاستخبارات في تشرين أول ١٩٧٣، وبين نهج عناصر الاستخبارات في روسيا والولايات المتحدة عام ١٩٤١. لقد كان سبب الفشل الذريع للعمليات الثلاث، بلورة الفهم الخاطئ.

جند براك جميع العقول في شعبة الاستخبارات للعمل على تقليص إمكانية تكرار ما حدث إلى الحد الأدنى، بهدف عدم إفشال الجيش الإسرائيلي،

وربما لأنه كان حريصا على عدم إنهاء مهامه بعثرة. فكرر في الإنذار المبكر وكان هذا، من وجهة نظره، الإنجاز الأكثر أهمية خلال سنوات خدمته الثلاث كرئيس لشعبة الاستخبارات.

لم يكتف براك بالجانب النظري لمسألة الإنذار. وقد عمد إلى إدخال عنصر جديد إلى سلاح الاستخبارات، تمثل في وحدة رقابة، تضم أفضل العقول في السلاح، تتابع تقديرات الأبحاث. لم يكن مطلوباً من أفراد هذه الوحدة، المشاركة في المهام الشاملة للأبحاث ولا تحديد نوايا العدو، بل محاولة الكشف عن الخيارات المتاحة أمامه للهجوم. وقد رأى براك في هذه الوحدة، جزءاً مهماً في المنظومة الاستخبارية.

في مطلع عام ١٩٨٥، حسمت أجهزة الأمن إحدى المسائل التي تعتبر حساسة بالنسبة للأمن الشامل، وهي انسحاب الجيش الإسرائيلي من لبنان وإقامة الشريط الأمني في جنوب لبنان.

كانت المواقف والآراء في هيئة الأركان، متضاربة إزاء هذه القضية. كانت الأغلبية، بمن فيها قائد القطاع الشمالي، أوري أور، تثق بأن إقامة شريط أمني وربطه مع جيش جنوب لبنان، أفضل الطرق لحماية المستوطنات في الشمال.

غير أن براك عارض إقامة منطقة أمنية، تقوم على أساس إقامة عدد من المواقع، وقال في جلسة عقدت للحكومة وهيئة الأركان، أن مثل هذا الخط، سيبدأ كخط ثكنات على محاور طرق مهيمنة، وسيينتهي كخط تحصينات يشبه خط بارليف. وكى تتسنى حماية الجنود، سنضطر إلى حماية المواقع. بعد ذلك، سنضيف إليها جدراناً من الإسمنت. ثم سنقوم بشق طرق إليها وسننشئ ثكنات للدفاع عن محاور الحركة.

ومن أجل تعزيز المواقع، سنرسل إليها قوافل إمدادات، ستحتاج إلى من يرافقها ويقوم على حمايتها. ودون أن نشعر، سنجد أنفسنا بقوات كبيرة، في لبنان، وفي وضع الدفاع عن النفس. وسنصبح أسطورة خيالية.

في المقابل، اقترح رئيس شعبة الاستخبارات، تشكيل ثلاثة ميليشيات في لبنان: ميليشيا درزية في الشرق، مسيحية في الوسط، وشيعية في الغرب، بحيث تكون كل ميليشيا مرتبطة بطائفتها في لبنان.

تسرب الجدل الدائر إلى خارج هيئة الأركان. وقد كشف الصحفي الأمريكي توم فريدمان، مراسل صحيفة "النيويورك تايمز"، الذي خدم لسنوات في لبنان، النقاب عن حقيقة ترؤس رئيس الاستخبارات، مجموعة من ضباط هيئة الأركان والاستخبارات الإسرائيلية، تتبنى مواقف معارضة لمواقف وزير الدفاع، اسحق رابين ورئيس هيئة الأركان موشيه ليفي.

وحسب أقوال النيويورك تايمز، فقد أيد رئيس الحكومة، شمعون بيرس رئيس شعبة الاستخبارات، غير أنه قرر التنازل تجنباً لحدوث المواجهة مع وزير الدفاع اسحق رابين. وفي مطلع عام ١٩٨٥ تم حسم القضية، وقررت هيئة الأركان، تعزيز التواجد الأمني الإسرائيلي في الشريط الأمني.

لم تقتصر أهمية الإنذار المبكر - المسألة التي شغلت فكر براك إلى حد بعيد - على المستوى الاستراتيجي فقط، بل لعبت دورها على صعيد إحراز انتصارات تكتيكية غير قليلة، والحيلولة دون حدوث كوارث كبيرة، كان أبرزها على الإطلاق، ربما، تلك التي وقعت قبالة شواطئ أسدود.

ففي تاريخ ٢٠-٤-١٩٨٥، أي عشية الاحتفال بذكرى الاستقلال، كانت سفينة الصواريخ (موليدت) تقوم بأعمال الدورية، قرب حدود المياه الإقليمية الإسرائيلية.

على مسافة من هناك، في تل أبيب، تتبع رئيس شعبة الاستخبارات وعدد من ضباط الاستخبارات تحركاتها. قبل ذلك ببضعة أشهر كانت قد سرت شائعات حول إمكانية قيام الجناح البحري لحركة فتح بتنفيذ عملية مساومة، لإطلاق سراح عدد من المعتقلين الفلسطينيين، ومحاولة مهاجمة مبنى هيئة الأركان.

كان ياسر عرفات في تلك الأثناء، قد عهد إلى نائبه، أبو جهاد بمهمة التخطيط للعملية. وتمت الاستعدادات في الجزائر.

اختار أبو جهاد عناصر العملية وكان معظمهم من قادة "فتح" المتميزين في المناطق. وقد عين محمود العالول، أحد كبار شخصيات فتح في الضفة الغربية والذي نجح في العبور من الضفة إلى الأردن ومن ثم إلى الجزائر، قائداً للعملية.

استغرقت التدريبات أسابيع طويلة، وقد شملت السباحة لأكثر من عشرة كيلومترات يومياً والتدريب على مختلف أنواع الأسلحة. كانت قلة منهم تلك التي عرفت الهدف النهائي للعملية: الهبوط في شاطئ بيت-يام فجر يوم الاستقلال، السيطرة على حافلة (دان) واقتياد الرهائن إلى تل أبيب، وبدء عملية مساومة، تأثير الرأي العام العالمي.

في أعقاب الشكوك التي ثارت آنذاك، أمر رئيس الأركان موشيه ليفي باتخاذ استعدادات خاصة، فقام سلاح البحرية بتعزيز دورياته خارج المياه الإقليمية الإسرائيلية.

قام المسلحون بإعداد سفينتي شحن كبيرتين توطئة لتنفيذ العملية، وقاموا يومياً بإجراء مناورات لتحميل وإنزال الزوارق المطاطية من السفينتين.

وقبل أسبوعين من الانطلاق تم تفجير إحدى السفينتين، فقام أبو جهاد بإعلام ياسر عرفات فوراً، ولم يكن لدى الاثنين أدنى شك في أن عملاء الموساد هم الذين أغرقوها، في حين تجاهلت إسرائيل الحادث تماماً. وتم اتخاذ قرار بمواصلة الإعداد للعملية، مع توخي الحذر البالغ.

وقبل يوم الاستقلال الإسرائيلي بأسبوع، أبحرت من الجزائر تحت جناح الظلام سفينة الشحن التي تحمل اسم "انافيروس"، وبعد أربعة أيام وصلت إلى ميناء بور سعيد المصرية، والتحقّت بقافلة سفن كانت تبحر في القناة، باتجاه البحر الأحمر.

وفي أقصى الطرف الجنوبي من القناة، استدارت السفينة، والتحقّت بقافلة سفن أخرى كانت تبحر في قناة السويس في طريقها إلى البحر المتوسط ولا شك أن هذه المناورات البحرية كانت ترمي للتخلص من المراقبة المحتملة، وقد أطلق ربان السفينة في جهاز الإرسال كلمتي السر اللتين تم اختيارهما "الطريق نظيف".

وبعد خروجه من قناة السويس، عقد الربان اجتماعاً لرجاله، وأعلمهم بالمهمة الموكلة إليهم، وبمدى أهميتها، فقال: "هذه أهم عملية تنفذها حركة فتح حتى اليوم، بل هي أهم من قتل الرياضيين الإسرائيليين في ميونيخ ١٩٧٢"، على بعد قليل من (أنافيروس) كان قائد زورق الصواريخ الإسرائيلي "موليدت" -الوطن- على وشك إنهاء حراسته، والتحرك عائداً إلى ميناء اسدود، وكان الزورق الذي سيحل بدلاً منه في الحراسة في طريقه إلى الموقع، حينما ظهرت على شاشة الرادار ظلال سفينة تتجه شرقاً.

أعلم قائد الزورق (موليدت) قائد السلاح بوجود سفينة مشبوهة، فأمره قائد السلاح، اللواء أبراهام بن شوشان، بأن يطلب من السفينة أن تعلن عن هويتها، وبدلاً من أن ترد السفينة على الزورق، تلقى الزورق صليحة من رشاش. أمر قائد (موليدت) بفتح النار على السفينة، إذ أصابتها مدافع (فولكان) الرابضة على متنه إصابة قاتلة، مما أدى إلى اشتعال النار فيها. وقد واصل الزورق الاقتراب من السفينة وهو يواصل إطلاق النار عليها. وقد أدى هذا الوضع إلى إصابة بعض المسلحين على ظهر السفينة، وقام قسم آخر بالغاء الزوارق المطاطية في الماء، في محاولة للفرار من السفينة المصابة، بيد أنهم استسلموا في نهاية المطاف للزورق الحربي. وبعد دقائق معدودة، غرقت انفيروس.

اتصل قائد سلاح البحرية برئيس هيئة الأركان، موشيه ليفي، وبرئيس شعبة الاستخبارات العسكرية إيهود باراك وأعلمهم بأن ملف السفينة (أنافيروس) قد أغلق.

وفي أيلول ١٩٨٥ سيطر المسلحون على يخت إسرائيلي في ميناء لارنكا القبرصي وقتلوا ثلاثة إسرائيليين وقد قادت التحقيقات إلى تونس، حيث قيادة منظمة التحرير.

عرض براك أمام هيئة الأركان ثم أمام وزير الدفاع، اسحق رابين، والمجلس الوزاري المصغر، ملف تونس الأخذ في التضخم، وقال: لا يجب، بأي حال من الأحوال، أن نسمح بمنح حصانة "للإرهاب" في أي مكان يتواجد فيه، وإذا كان راس الإرهاب موجوداً في تونس، فيجب تحطيمه مما سيؤدي إلى قطع ذيل الإرهاب فوراً.

لقد اعتقد رؤساء المنظمات الفلسطينية، إن مكانتهم في تونس خارج متناول يد إسرائيل، بيد أنهم سرعان ما أدركوا أن الامر ليس على هذا النحو. أوصى براك بالقيام بعملية مشتركة بين سلاح الجو والكوماندو، وشرعت دورية هيئة الأركان بالتدرب على نماذج، بيد أن الحكومة أرادت عملاً سريعاً. أما الخيار الثاني فكان يتمثل في الهجوم الجوي.

ضم رئيس الأركان ليفي، صوته إلى صوت رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية براك، وطرح الخيار أمام وزير الدفاع ورئيس الحكومة شمعون بيرس، فأوصى بيرس أمام المجلس الوزاري بالقيام بعمل جوي ضد قواعد المنظمات في تونس.

وفي الأول من تشرين الأول ١٩٨٥، تم تنفيذ أطول هجوم جوي سبق لسلاح الجو الإسرائيلي أن نفذه. وقامت خلاله طائرات (أف-١٥) بمهاجمة مراكز منظمة التحرير على الساحل التونسي. وقد جاءت النتائج مذهلة: فقد قتل عشرات الأشخاص، وعلى رأسهم قائد القوة-١٧ والحارس الشخصي لعرفات. كان رئيس شعبة الاستخبارات أثناء الهجوم في غرفة العمليات المتقدمة، وأصغى إلى تقارير الطيارين. وقد أفاد المقدم طيار يوال بلوشو أنه بدأ الهجوم، ثم أعلن أن هناك عطلاً ما حيث لم تتحرر القنابل الموجودة أسفل الطائرة، ولم ينجح في التغلب على هذا العائق، فقال باختصار: سأتجه نحو البحر.

ومضت عدة دقائق شديدة التوتر، قبل أن يأتي صوته مرة أخرى كل شيء على ما يرام لقد انضمت إلى السرب من جديد.

لم يستطع الهجوم على تونس تصفية الإرهاب فلم يمس سوى أربع حتى سيطر أربعة مسلحين على السفينة (أكيلا لاورو)، وهي سفينة إيطالية، كانت تبحر على طول سواحل البحر الأبيض. وقد عمد الاستخبارات العسكرية إلى تشكيل غرفة عمليات أمامية استعداداً لقيء بالعمل ضد السفينة، بيد أن هذا الاستعداد انتهى عندما قام الأربعة بتسليم إلى السلطات المصرية في بور سعيد.

نجحت وحدة التتبع في شعبة الاستخبارات أثناء الخطف من محادثة هاتفية بين الخاطفين وقائد جبهة تحرير فلسطين (أبو العباس أسمى نفسه خلال الاتصال باسم شيفري هو أبو خالد، وقد جاء الاتصال النحو التالي:

أبو خالد: كيف حالك يا ماجد؟

ماجد: على ما يرام، الحمد لله.

أبو خالد: اسمعني. أولاً يجب أن تتعامل مع الرهائن بصورة جيدة د تعذر لهم ولطاقم السفينة، والربان وقولوا لهم: أنكم لم تكونوا تقصدون ا على السفينة، قولوا لهم هدفكم الأساسي هل تسمعني؟

ماجد: لقد تحدثنا معهم، وقلنا لهم أن هدفنا لم يكن السيطرة على السفينة.

ومن الجدير بالذكر، أن مصر أطلقت سراح خاطفي السفينة في تسليمهم لأنفسهم، وخرجوا من مصر في طائرة إلى ليبيا. وفي الطائرة ك العباس، وثلاثة من مختفي السفينة. وعندما خرجت الطائرة من المجال المصري، قامت طائرات أميركية باعتراضها، وإرغامها على الهبوط في تابعة لحلف الناتو في جزر سيشل، وتم اعتقال أبو العباس، بيد أنه تمك الخروج من المعتقل والتوجه إلى ليبيا. وتفيد مصادر أجنبية أن الآ

تمكنوا من اعتراض الطائرة بفضل معلومات وصلتهم من شعبة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية.

وفي نهاية عام ١٩٨٥ انتهت ثلاثة سنوات من الخدمة لايهود براك في رئاسة شعبة الاستخبارات، وغادرها تاركاً خلفه جهازاً واتقاً من نفسه. وانتقل من الشعبة إلى قيادة المنطقة الوسطى، وحل محله اللواء امنون شاحك.



الفصل الخامس عشر

ايهود براك ٠٠٠٠ قائدًا للقطاع الأوسط
تعليم الدرس الأول في السياسة بين المستوطنين

انتهت فترة عمل ايهود في شعبة الاستخبارات في كانون الثاني ١٩٨٦، والتي طالت مدتها ثلاث سنوات. واتضح له من خلال المحادثات التي أجراها مع رئيس الأركان، (موشيه ليفي)، أن وظيفته القادمة، ستكون قائد القطاع الأوسط.

لقد أسهمت فترة عمله في شعبة الاستخبارات في تحسين مكانته داخل الجيش الإسرائيلي وعلى المستويات السياسية والأمنية الرفيعة. فقد أتاحت هذه الكوارث الفرصة للتعرف عليه أكثر من التعرف على أي ضابط آخر رفيع، باستثناء رئيس الأركان.

كان براك يحب التقارير الاستخبارية التي تتيح له فرصة المشاركة في جلسات الحكومة. والمجلس الوزاري، كما أن رؤساء الحكومات الثلاثة الذين عمل معهم: (مناحم بيغن) و(اسحق شامير) و(شمعون بيرس)، لم يخفوا ارتياحهم وتقديرهم لتقديراته العسكرية، وعلى وجه الخصوص (اسحق شامير)، بوصفه كان قائدا لحركة "ليحي" إبان حرب ١٩٤٨، وعضوا تنفيذياً في الموساد. هذا إضافة إلى وجود اسحق رابين كوزير للدفاع، والذي كان يعرف براك، ويكن له الكثير من المودة.

وفي طريقه إلى الخارج في يومه الأخير في الشعبة، مر براك أمام صور رؤساء الشعبة، وعرف أن صورته ستضم إليهم منذ الغد. لقد أصبح أحد ثلاثة رؤساء لشعبة الاستخبارات، الذين انهموا مهام عملهم مثلما خططوا منذ البداية، دون إقالة أو توبيخ أو وصمة ما، إضافة إلى تاريخه العسكري الكبير.

وفي تعقيبه على هذه الفترة من عمله، قال ايهود: "يدمن الإنسان العمل الاستخباري، مثلما يدمن (الأفيون)، يدمن السعادة الكامنة في العمليات التنفيذية، والتكنولوجية، والسياسية والاستخبارية. ويدمن صراع العقول الذكي واللائهائي في مواجهة خصوم يبذلون كل ما بوسعهم لإفشاله".

لم يكن تعيينه قائدا للقطاع الأوسط ترفيعا كبيرا، فقد كان براك يفضل مهمة أخرى، قائد القطاع الشمالي مثلا، أو نائب رئيس الأركان. بيد أن هاتين

الوظيفتين لم تكونا شاغرتين، حيث وعد وزير الدفاع، اللواء (يوسي بيلد)، بتسليم القطاع الشمالي، في حين كانت الوظيفة الثانية رهناً برئيس الأركان موشيه ليفي، الذي لم يكن من المعجبين بإيهود براك. وربما كان عدم محبة ليفي له عائدة إلى عدم شعوره بالارتياح بالعمل مع براك، وربما يكون قد ورث من (رفائيل ايتان)، و(افيجدور بن جال) شكوكيتهم تجاه إيهود، فقد حذراه من أن إيهود طموح ولا يرى سوى منصب واحد، وهو منصب رئيس الأركان. لم يكن ليفي معادياً لبراك، مثلما بدا في بعض الأحيان، بيد أنه كان متحفظاً من السباق الذي يخوضه نحو القمة.

كان براك يدرك أن تعيين ليفي رئيساً للأركان لم يأت على أرضية كونه الأفضل من البقية، بل لكونه أقدمهم وأكبرهم سناً، ونظراً لأن عدد الذين كانوا يكرهونه أقل من الآخرين. لقد كان ليفي أقل الضباط الذين تنافسوا على منصب رئيس الأركان تأثيراً.

ورغم كونه قد قضى غالبية خدمته العسكرية في المظلات، إلا أنه لم يترأس كتية مظليين نظامية أو لواء مظليين نظامياً، وهما الشرطان اللذان يعتبران ضروريين جداً لبلوغ القمة والضباط الثلاثة الآخرون الذين نافسوه على المنصب. (افيجدور بن غال)، و(دان شومرون)، و(أمير دروري) كانوا أكثر نضجاً منه لتسلم المنصب، أضف إلى ذلك أن تاريخهم العسكري كان أغنى منه بكثير على صعيد تولي قيادة أطر عسكرية.

راقب إيهود الصراع الدائر بين الضباط الأربعة، ورغم أنه كان لا يزال، آنذاك، ضابطاً شاباً برتبة لواء، إلا أنه كان يدرك أنه سيخوض هذه المنافسة إن عاجلاً أو آجلاً، وأراد أن يتعلم كيف يجب أن يخوضها، والمواطن التي يجب أن يركز عليها آنذاك.

واتضح له أن الكفاءة ليست كافية، فقد كان يعلم أن الأولوية الثلاثة بن غال وشومرون وأمير دروري لا يتحدث أحدهم مع الآخر، وبالتالي فلن يوافق على أن يكون نائباً لأي رئيس أركان منهم قد يحظى بالمنصب، وربما إن كان

أحد الأسباب التي جعلت موشيه ليفي يحظى في نهاية المطاف بالمنصب، هو رغبة القيادة العليا في تهدئة الأوضاع داخل هيئة الأركان.

ناضل رفائيل ايتان نضالاً شديداً من أجل نقل المنصب إلى بن غال، بيد أن الائتلاف الذي ضم أرئيل شارون واللواء إسراييل طل، ونائب وزير الدفاع مردخاي تسيبوري، نجح في إحباط مساعيه.

ولم يخف براك رغبته آنذاك، في رؤية صديقه دان شومرون في المنصب، وربما خشي من محاولة جماعة موشيه ليفي - وكلها من سلاح المظلات - الوقوف أمام ترقيته. أضف إلى ذلك، أنه خشي من تأثير (رفائيل ايتان) على رئيس الأركان الجديد، وكان يدرك أن (رفائيل) ليس من المعجبين به.

ورغم كل ذلك، فاجأ (موشيه ليفي) الجميع، ففي كل ما يتعلق به، كان رئيس أركان معقولا جداً، ومحترفاً وموضوعياً. ورغم أن إيهود لم ينضم إلى الجوقة التي أحاطت بليفى من المظليين، إلا أنه كان يعتقد أن آراء (ليفى) مقبولة ومعقولة.

تسلم براك قيادة (كفير) - القطاع الأوسط، وخلفه صف طويل من المعجبين والكارهين. وكان المعجبون يعتقدون أن لديهم قائداً فذاً لا يشق له غبار، ومفكر ورابط الجأش وجريء وموسيقي موهوب، حساس، وقادر على تأبين زميله (يوني نتنياهو) - الذي سقط في عنيتي بكلمة تقطع نياط القلب، أما الكارهون، فقد رأوا فيه إنساناً يصعب التعامل معه، متعجرفاً، مفاخراً بنفسه، ونافذ الصبر ويحتقر الذين يقلون عنه ثقافة.

ويقول أحد الضباط رفيعي المستوى: من الصعب التجادل مع (براك)، فكل نقاش معه يتحول إلى نقاش مثقفين، يصعب مجاراته فيه نظراً لسرعة بديهته، وقدرته على التحليل. إن الذين يتجادلون معه دون أن يتمتعوا بالثقافة العالية، سرعان ما يجدون أنفسهم عاجزين عن مجاراة ألفاظه وحججه التي تتدفق كالسيل العرم. وهو يشكل خطراً على رؤسائه، فهم يشعرون أنه يدفع بهم

إلى الزاوية، وقدراته تتفوق عليهم. إنه قادر على الجلوس مع سائق سيارة ليوضح له ببساطة الطريق إلى هدف ما، أما حينما يجلس مع الضباط الكبار، فهو ليس على استعداد لإعادة ما يقول مرتين، بل يطلب منهم أن يفهموا حتى الماحاته.

ويقول خصومه: أنه يعتبر جميع المهام والوظائف مجرد محطة على طريق منصب رئاسة الأركان، وربما كان هذا السبب خلق انطباعاً حول براك يفيد بأنه لا ينظر إلا إلى جسام الأمور، ويخصص وقتاً هامشياً للمسائل الصغيرة.

ولم يستطع حتى خصومه أن يتجاهلوا العمليات المسجلة باسمه: سابينا، اختطاف الضباط السوريين، ربيع الشباب، وغيرها من عشرات العمليات. بيد أن البعض أشار أيضاً إلى معركة (السلطان يعقوب)، والتي تعتبر النقطة السوداء الوحيدة في تاريخ (براك) العسكري، ولم يكفوا عن توجيه أصابع الاتهام، حينما اتضح أنه نائب قائد سلاح المدرعات، وأن المسؤولية تقع على عاتق قائد السلاح افيجدور بن جال.

* * *

لم يحظ إيهود براك بالهدوء فترة طويلة في أعقاب توليته منصب قائد القطاع الأوسط واشتعلت النيران على الحدود الأردنية. ففي التاسع والعشرين من كانون الثاني ١٩٨٦ هاجم المسلحون دورية تابعة للجيش الإسرائيلي كانت تتحرك على طريق الدوريات على بعد قليل من مستوطنة محولة في غور الأردن، مما أسفر عن مقتل جنديين.

وصل إيهود براك إلى المنطقة، بعد فترة قصيرة من الحادث، وبعد أن أجرى تحقيقاً قصيراً، تنبه إلى أن ضباطاً وجنوداً أردنيين يقومون بتمشيط المنطقة. وبعد عدة ساعات بعث الأردن إلى إسرائيل رسالة جاء فيها: "لن نسمح للمسلحين بالتمسك بالجنود الإسرائيلي".

عندما كان ايهود في شعبة الاستخبارات تلقى الكثير من المعلومات حول اللقاءات التي تجري مع الملك الحسين وكبار رجال مملكته. وكان يدرك إلى أي حد يعنى الملك بالسلام، لذا أمل في أن تتغلب الرغبة الجامحة على أحداث من هذا القبيل.

أولى براك أهمية كبيرة لمسألة إعداد الجبهة في قطاعه للحرب. لقد تلقى ايهود في القطاع الأوسط أول درس سياسي فقد كان هناك مائة ألف مستوطنا، في مواجهة مليون فلسطيني، وقائد لواء واحد كان عليه المناورة بينهما بصورة دائمة. وقد نجح في غضون عدة أشهر في خلق اتصال مع كبار زعماء المستوطنين إسرائيل هرتيل، أوري ارييل، وشيله جيل، وبنحاس فلرشتاين، يوال بن نون، بني كتسوفر وغيرهم. كان براك يصغي إلى المستوطنين خاصة حينما يتحدثون عن الأمن، وعن المشاكل التي يواجهونها على الطرقات، وتعلم التمييز بين النواة المستقرة للمستوطنين، وبين الزعامة المشاغبة من أمثال الحاخام ليفنغر، وباروخ ورجال كهانا.

لقد تمكن قبل اثنتي عشرة سنة، من اكتشاف زخم الخطر الكامن في المجموعة المتطرفة التي سكن معظم أعضائها في تل الرميذة في الخليل وفي عدد صغير من المستوطنات في قلب منطقة عربية وفي منطقة صحراء القدس. وكان هذه البؤرة الهائلة من التوتر لم تكن كافية، فقد وجد نفسه، في الكثير من الأحيان، مضطرا لإطفاء بؤر نار صغيرة هنا أو هناك.

ف ذات مرة قدم زعماء اليسار، وبينهم نشطاء حركة "السلام الآن" وشخصيات يسارية من إسرائيل للتضامن مع الفلسطينيين، وكان من الواضح دائما أن مثل هذه الزيارات التضامنية تنتهي دائما بمواجهات. وقد انتهت هذه الزيارة أيضا بمواجهة شديدة.

وكان ضمن أعضاء اليسار عضو الكنيسة شولاميت لوني، وأوري أفنيري. وقد كان نشطاء حركة كاخ بانتظارهم قرب الخليل. وسرعان ما تحول

السباب والشتائم، إلى مواجهات عنيفة، لم يكن الجيش مستعداً لها، ووجد الجنود أنفسهم واقعين بين فكي كمائن بين محرضي اليمين، ونشطاء اليسار. مما اضطر القائد لطلب النجدة، فتوجه براك في طائرة هليكوبتر من قيادته إلى المنطقة لتهدئة الأوضاع. وفي ساعات المساء، بدأ على شاشات التلفزيون (زعران) اليمين وهم يضربون أعضاء اليسار، وقائد القطاع وحفنة من الجنود يحاولون حماية أوري أفيري بأجسادهم.

أجرى براك مقابلة مع الإذاعة الإسرائيلية واتهم المستوطنين بانتهاك التفاهم، والتصرف بصورة غير مناسبة تجاه الجنود.

سرعان ما خمدت هذه المواجهة بين براك والمستوطنين وقد اعترف إسرائيل هرنيل وأوري أريئيل، فيما بعد أن براك كان منطقياً ويتميز بالصبر، ويفكر في مشاكل المستوطنين.

الحقت الحرب اليهودية الداخلية أضراراً جسيمة بعمليات محاربة الإرهاب- رغم أن تلك الأيام كانت أيام هدوء نسبية في قيادة القطاع الأوسط، بيد أنه ورغم ذلك الهدوء، كان هناك إحساس بأن شيئاً ما على وشك أن يقع، وأنه الهدوء الذي يسبق العاصفة.

نشأت علاقة متينة بين إيهود براك وأحد كبار رجال جهاز الأمن العام، (يعقوب بيرى). وكان بيرى يدرك أن شيئاً ما سيحدث، ويعمل على افتراض أن انتفاضة ستندلع بين الفينة والأخرى. وأفادت تقارير جهاز الأمن العام، أن هناك طاقة وقوة هائلة كامنتين في منظمة صغيرة، أخذت تطفو على سطح الأحداث في غزة، وأن هذه المنظمة تدعى (حماس).

وفي إطار الاستعداد لقادم الأمور، بادر براك، إلى طرح فكرة تشكيل وحدة جديدة (دوفدافان)، قال: أريد وحدة يبدو رجالها وكأنهم عرب، ويتحدثون اللغة العربية بصورة جيدة، ويمتطون الدراجات في شوارع البلدة القديمة في نابلس، أريد أشخاصاً يعملون بغطاء جزئي، كي يصلوا إلى مرحلة التنفيذ العملي، دون الحاجة إلى قوات كبيرة، أو الكشف عن أنفسهم مسبقاً.

كان براك يدرك طبيعة ردود فعل هيئة الأركان على تشكيل وحدة جديدة فإذا ما عمل بالطرق الرسمية لتشكيلها، ستتم المصادقة عليها بعد سنتين، في أحسن الأحوال، لذا قرر تقصير الإجراءات، واتباع الأساليب التي سبق له أن انتهجها.

ومثلما فعل، (أبراهام أرنان)، قبل ثلاثين عاماً، استدعى إيهود ضابطين من قيادة القطاع الأوسط هما (تساي ف)، و(أوري بارليف)، وكلفهما بتجنيد جنود للوحدة الجديدة، على أن يكونوا من وحدات قيادة القطاع الأوسط. وأعلم براك رئيس الأركان موشيه ليفي، واللواء (أيهو بن نون)، رئيس شعبة التخطيط، فوافق على ما فعل.

قال إيهود للضابطين: "فتشوا عن ضباط ممن يبحثون عن مهمة مثيرة، وجنود ذوي حوافز عالية، أعلنوا في الوحدات المقاتلة، أننا نريد متطوعين لوحدة خاصة: ولا شك أن الأمور ستسير على ما يرام". واقترح على (أوري بارليف) الذي عين رئيساً لها اسم (دوفدنان).

وعندما جاء قائد الوحدة الجديدة ليقتراح عليه أي نوع من السلاح يحمله جنود الوحدة، بدا واضحاً لبراك أن البنادق العادية لا تصلح للمستعربين، لذا اقترح أن يحملوا مسدسات من طراز (اف،ان). عندما قال له أنه لا يوجد في مخازن القطاع عدد كافٍ من المسدسات لتسليح الوحدة، أمر إيهود جميع ضباط القطاع بإعادة مسدساتهم، التي أخذوها من القطاع. لقد كانت وحدة (دوفدنان)، في تلك الآونة أحد الأسرار الخفية جداً في الجيش الإسرائيلي.

حرص إيهود على ربط وحدة (دوفدنان) بجهاز الأمن العام، وهو الأمر الذي جعل (بيري) يتحمس للغاية، ويقدم جميع المساعدات الممكنة.

كان الاثنان يعتقدان أن الهدوء السائد في الضفة والقطاع هو هدوء خادع، وبالتالي قدرا أنه إذا ما اندلعت انتفاضة، فإن الوحدة الجديدة ستلعب دوراً حاسماً في مقاومتها. إلى جانب جهاز الأمن العام. وجنودها هم الذين سيتسللون

إلى مراكز التجمعات السكانية الفلسطينية بالتعاون مع مسئولى جهاز الأمن العام والعملاء.

تبنى أيهود الوحدة الجديدة، وراقبها، وحضر تدريباتها، ودراسة أعضائها للغة العربية. وشاهد الجنود وهم يتخفون في صورة عربي كهل، أو شاب نشط، أو امرأة، وعندما كان يتجول في الأسواق، كان يجد من الصعوبة بمكان، تشخيص أولئك الجنود المنخرطين وسط الجماهير الفلسطينية. ثم شرع أعضاء الوحدة في دراسة المعلومات المتوفرة حول قادة المنظمات المختلفة. بدأت الصدامات خلال الصيف، ثم اتسعت، وبدأ أن بور التوتر الأساسية في جامعة النجاح، وجامعة بير زيت في رام الله، وقد قتل عدد من الفلسطينيين خلال الصدامات هناك.

أخذ القطاع يستعد لمواجهة الأحداث المتفاقمة، وكانت التقارير الاستخبارية المتراكمة على مكتب براك تشير القلق، فقد كانت المنطقة ناجحة تماما، لبدء عمليات خطف جنود والقيام بعمليات عسكرية ضد إسرائيل. وتعززت قوة حركة حماس، وأدرك براك وبيري أن ثورة التحريض الرئيسية تكمن في أوساط حماس.

أشارت وسائل الإعلام إلى النجاحات الأولى التي أحرزتها وحدة (دوفدافان) على صعيد اعتقال (المخربين) على أنها نزاعات بين العشائر، فشعر براك أن الوحدة تسير في الطريق الصحيح.

وقع أخطر حادث عسكري في الحادي عشر من آب ١٩٨٧، كان (ايبي موزس) من مستوطنة ألفي منشه القريبة من قلقيلية، يسافر في ساعات المساء مع أبناء عائلته على الطريق المؤدي إلى منزله، وكانت معه زوجته وأطفاله الثلاثة.

وفي أحد منحنيات الطريق ألقى زجاجة حارقة على السيارة، مما أدى إلى إحراق المرأة وإحدى بناتها، وإصابة البقية بحروق شديدة.

وفي نفس الليلة هاجم المئات من المستوطنين قلقيلية، ودمروا الأشجار،
وحطموا نوافذ المنازل، وحطموا السيارات وأضرموا فيها النيران. وبدأ لسبراك
أن يخافه على وشك التحقق وأن الهدوء شارف على الانتهاء.
وفي يوميات القطاع سجلت أحداث ذلك اليوم كمفترق طرق على طريق
العنف، والذي قدر له أن يجر المنطقة إلى دائرة عنف لعدة أشهر.

الفصل السادس عشر

ايهود نائبا لرئيس الأركان
خطط لاغتيال أبو جهاد في تونس

بدأت المعارك حول منصب رئيس الأركان في آب ١٩٨٦، وفي لقاء غير مخطط مع وزير الدفاع، (اسحق رابين)، قال لرئيس الأركان (موشيه ليفي)، أن ولايته في هيئة الأركان، ستنتهي في نيسان ١٩٨٧، وهو الأمر الذي أثار خيبة لفين الذي كان يأمل أن يمدد له فترة ولايته سنة أخرى، وبالتالي، يكون ثاني رئيس أركان في الجيش الإسرائيلي بعد (رفائيل ايتان) يتم تمديد فترة ولايته.

كان المرشح الرئيسي للمنصب هو نائب رئيس الأركان (دان شومرون). وقد بذل (موشيه ليفي) كل ما في وسعه للحيلولة دون تعيين شومرون، حيث كانت الخصومة بين الاثنين، على أشدها، وخصوصاً خلال العامين الأخيرين. لقد بدأت الخلافات بين الاثنين، منذ سنوات الستينات، حيث تنافس شومرون مع ليفي، حول كل منصب في المظلات وسبقه إليه. وعندما كان شومرون قائداً لكتيبة المظليين، اكتفى ليفي بتروؤس مدرسة المظليين.

أضف إلى ذلك، أن شومرون - بطل عملية عنتيبي - كان حبيب وسائل الإعلام، في الوقت الذي لم يكن فيه موشيه ليفي ضابطاً متميزاً، ولم يقد في أي حرب قوة كبيرة، ولم يُسجل في ملفه الشخصي أي أحداث بارزة، بل لقد كان تعيينه رئيساً للأركان مفاجأة مدهشة للكثير من الضباط.

وقبل فترة وجيزة من إعلام اسحق رابين لليفي باعتزازه إنهاء ولايته، أجرى تعييناً مفاجئاً، حيث عين اللواء (أمير دروري) نائباً لرئيس الأركان بدلاً من (دان شومرون). ورغم أن شومرون كان صاحب أكبر فرصة في تولي رئاسة هيئة الأركان، إلا أن ثلاثة ضباط آخرين انضموا إلى المنافسة، وهم: ايهود براك، أوري اور، وأمير دروري. ومن الجدير بالذكر، أن ايهود براك قرر حال تعيينه قائداً للقطاع الأوسط، مطلع ١٩٨٦ أن يخوض المنافسة على رئاسة الأركان لقد كان أحد تلاميذ وزير الدفاع اسحق رابين، وحبيباً لرئيس الحكومة اسحق شامير، وأصغر ضابط برتبة لواء في الجيش، وكانت لديه العديد

من الإلماحات التي تشير إلى أن وزير الدفاع، يعتزم ترقيته فوق جميع الضباط الأقدم منه، ويعينه رئيساً للأركان.

تحولت الصداقة الطويلة بينه وبين دان شومرون إلى توتر، تصاعد كلما اقترب موعد الاختيار. وتشكل في الجيش (لوبي) يسعى لتعيين براك في المنصب وعلى رأس هذا اللوبي، العميد شاول موفاز، الذي أنهى لتوه منصب قائد لواء المظليين. هذا إضافة إلى تأييد أرئيل شارون له.

وفي كانون الثاني ١٩٨٧، قرر اسحق رابين تجديد وعده لدان شومرون، وتعيينه رئيساً للأركان. استدعى براك، وبالتعاون مع شومرون، عرضاً عليه منصب شعبة الأركان ونائب رئيس الأركان.

كان ذلك اليوم خيبة أمل عميقة للواءين الأول قديم: نائب رئيس الأركان أمير دروري، والثاني إيهود براك. وقد أدرك دروري أن طريقه العسكري شارف على نهايته، فعقد مؤتمراً صحفياً هاجم فيه قرار تفضيل شومرون عليه.

وفي نفس المساء، أعلن اسحق رابين عن تعيين إيهود براك نائباً لرئيس الأركان، ونشرت الصحف صورته وهو بالملابس البيضاء على جناح طائرة سابينا المخطوفة.

وقال رابين لبراك: من الضروري أن تجتمع أنت وشومرون، وتتفقا. وقد جلس الاثنان معاً في لقاء قصير، بيد أنه كان مجدياً وقد أثنى شومرون على تصرف براك أثناء فترة التنافس، جراء عدم لجوئه إلى التشويه، ومن الجدير بالذكر أن شومرون لم يكن يعلم أن براك أنقذه قبل عدة سنوات، من مؤامرة كانت تحاك ضده لاستبعاده من المنافسة على المناصب الرفيعة.

علم براك بوصفه آنذاك، رئيساً لشعبة الاستخبارات العسكرية، أن شعبة الأمن الميداني تجري تحقيقات ضد ضابطين رفيعي المستوى، أحدهما دان شومرون، فقد وصلت إلى شعبة الأمن الميداني، رسالة من مجهول، ضد الضابطين، وتتعلق بمسائل شخصية لا علاقة لها بأدائهما العسكري بصورة

مباشرة، ولم يكن يحق لرئيس شعبة الاستخبارات التدخل في التحقيق. بيد أنه سرعان ما اكتشف، أن الأمر يتعلق بعملية تشويه تتعلق بحياة شومرون الخاصة وانحرافه الجنسي، أي أنه لوطي- وأن هدف هذه العملية، هو وضع حد لمهنته العسكرية.

استدعى براك رئيس شعبة الأمن الميداني، وحاول أن يوضح له أهداف الرسالة التي وصلته، ومن الذي يقف خلفها، بيد أن رئيس الشعبة أصر على موقفه، وقال لبراك: أنا حقاً خاضع لك، بيد أنك تدرك أن علي أن أقدم تقريراً مباشراً في قضايا التحقيق الحساسة إلى رئيس الأركان مباشرة.

التقى براك برئيس الأركان موشيه ليفي واحتج على التحقيق، بيد أن ليفي فوجئ بموقف براك، وقال له: أنه أمر بمواصلة التحقيق. فقال براك أنهم يحاولون تدمير ضابط متميز. وحينما أدرك أن ليفي لا ينوي الاستجابة له، طلب منه السماح له بقاء وزير الدفاع موشيه آرنس وقد تمكن براك من إقناعه، فأمر بوقف التحقيق وحفظ الملف.

لم يكن شومرون يعلم بما حدث، لقد تناهت إليه شائعات، بيد أنه لم يكن يعلم بأن رئيس الأركان على علاقة بالأمر، ولم يكشف له براك الأمر إلا عندما عين رئيساً للأركان، فأعلمه بأن هناك جهات رفيعة في الجيش، تعمل على التحقيق معه.

كانت العلاقات بين شومرون وبراك، حتى التنافس على رئاسة الأركان، وطيدة جداً، وكانت لهما لقاءات في مجال العمل العسكري. أولها في أيار ١٩٦٥ في العملية التي أسميت (ليلة الأبار) في قلقيلية فقد عمل الجيش الإسرائيلي ضد عدة أهداف بالقرب من قلقيلية، وكان يهود قائداً لقوة من دورية هيئة الأركان، في حين كان شومرون قائداً لوحدة مظلات. وقد قام كل منهما بتدمير عدة أبار في الأراضي الأردنية.

أما اللقاء الثاني فجري خلال حرب الاستنزاف على قناة السويس، في حين قاد شومرون كتيبة مظليين، تولى براك منصب نائب قائد دورية الأركان.

وفي تموز ١٩٧٦، خططاً معاً، لعملية "كرة الرعد" والتي تم خلالها تخليص الرهائن في عنتيبي. كان شومرون، آنذاك، قائد سلاح المظلات والمشاة، في حين تولى براك منصب مساعد رئيس قسم العمليات في شعبة الاستخبارات العسكرية.

كان اللقاء بين رئيس الأركان المنتظر ونائبه في مكانه، وتلاشت الخلافات. ويذكر التاريخ العسكري الإسرائيلي التزاوج في العمل بين براك وشومرون كأنجح تزاوج بين رئيس أركان ونائبه.

لقد منح شومرون نائبه، مجال مناورة وعمل واسعين جداً، بما فيها المجال التنفيذي، وفي نفس الوقت قلص براك لقاءاته وتصريحاته للصحفيين، إلى أدنى حد ممكن. وفي التاسع عشر من نيسان ١٩٨٧، تسلم شومرون رئاسة هيئة الأركان، وبعد ثلاثة أسابيع، سلم براك رئاسة القطاع الأوسط لميرام متسناح، وانتقل إلى مكتب نائب رئيس الأركان.

وكان تقسيم العمل بينهما واضحاً، وإن لم يكن رسمياً، ففي الوقت الذي عكف فيه شومرون، على معالجة قضايا الأمن الشامل، تولى براك مهام التخطيط العملي، والمخططات المستقبلية وإعداد الجيش للحرب.

لقد تنبّه براك للأخطار المستقبلية على إسرائيل أخطار الأسلحة الكيميائية والبيولوجية في العراق وإيران. ورغم أن الدولتين كانتا غارقتين في حرب دموية، إلا أن براك ارتأى ضرورة إعداد الرد الشافي على إمكانية الحرب البيولوجية والكيميائية.

كانت الاستعدادات تتطلب مبالغ باهظة، بيد أن براك لم يكن يعلم الحقيقة إلا عندما تسلم منصبه كنائب لرئيس الأركان، وهي أن خزانة الوزارة خاوية تقريباً. ووجد أنه لا يوجد هناك حتى شيكل واحد من المبالغ الهائلة، التي يحتاجها لموازنة نيران الرعب الاستراتيجي في الشرق الأوسط.

كانت غالبية الأموال مخصصة للأمن الشامل، أما أموال المساعدات العسكرية الأميركية، فقد خصصت في غالبيتها لتمويل صفقات الشراء، وعلى

وجه الخصوص شراء الطائرات الحديثة لسلح الجو الإسرائيلي. وباقي ما بقي، فكان يصب في ميزانية طائرة (هليفي).

كان مشروع طائرة هليفي قد بدأ يتبلور في شباط ١٩٨٠، بيد أنه لم يدخل حيز التنفيذ الفعلي إلا في أوج الحرب اللبنانية. وكان بيغن، قال في إحدى الجلسات الحكومية، التي ناقشت العلاقات الإسرائيلية مع الولايات المتحدة: أنه يتوجب الاستعداد لإنتاج منظومات حربية إسرائيلية كي لا تظل إسرائيل رهنا بالمساعدات العسكرية الأميركية، وأعطى الضوء الأخضر للصناعات الجوية الإسرائيلية للشروع بمشروع طائرة هليفي.

وفي شباط ١٩٨٣، وفي أعقاب نشر لجنة كوهين لاستنتاجاتها بشأن مذبحه صبرا وشاتيلا، في لبنان، غادر أرئيل شارون منصب وزير الدفاع. وفي آذار تم تعيين موشيه أرنس خلفا له.

كان أرنس يفتقر إلى المعرفة الأمنية، بيد أنه كان خبيراً في هندسة الطائرات. لذا تم تدقيق أموال بكميات لم يسبق لها مثيل، إلى المشروع هليفي. ووجدت إسرائيل نفسها عبدا لهذا المشروع الذي وعد أرنس بأن يكون أحدث طائرات المستقبل.

كانت طائرة هليفي في نموذجها الأول طائرة عادية نسخة عن طائرة (ميراج وكفير)، بيد أن أرنس، الذي كان شريكا في التخطيط لبناء طائرة (هوابا)- آمن بأن الصناعات الجوية الإسرائيلية، قادرة على تطوير طائرة مقاتلة تبرز جميع الطائرات الأخرى.

وقد خطط أرنس لمشاركة الولايات المتحدة في تمويل المشروع، بيد أن الأميركيين لم يكونوا متحمسين للمشروع، فهم لم يفهموا لماذا يتوجب على إسرائيل - التي تتمتع بأموال المساعدات العسكرية الأميركية - أن تخوض هذه المغامرة الكبيرة. أضف إلى ذلك، أنه كان من مصلحة الولايات المتحدة، بيع طائرات حربية إلى إسرائيل.

تقبل شومرون وبراك مشروع الطائرة كحقيقة قائمة، لكن حينما اتضح لهما أنه سيأكل غالبية ميزانية الدفاع قررا الدفع باتجاه إعادة النظر فيه. وقد وجد الاثنان إلى جوارهما وزير الدفاع الجديد اسحق رابين، الذي حل بدلا من أرنس عام ١٩٨٤. وقد اكتشف رابين، حقائق مثيرة للاهتمام فسلح الجو الإسرائيلي، الذي يعتبر الزبون الأول لطائرة هليفي، لم يكن متحمسا للطائرة، لقد خشي الطيارون من أن تحول طائرة هليفي دون شراء السلاح لطائرات (اف١٥) و(اف١٦) التي كانوا يعرفونها جيدا، أضف إلى ذلك، أنه لم تكن لديهم أي ضمانات تؤكد بأن (هليفي) ستكون متميزة مثلما وعد(أرنس). لم يكن إيهود براك بحاجة إلى وقت طويل كي يدرك أن هناك ضرورة لوقف المشروع في مهده.

لقد تحولت قضية(هليفي) من قضية أمنية إلى قضية سياسية، بين حزبي العمل والليكود. وكان من الواضح، من هي الجهة التي يؤيدها براك. وفي الثلاثين من آب ١٩٨٧ عقدت الحكومة اجتماعا لحسم هذه القضية، وقد صوت اثنا عشر وزيرا، وعلى رأسهم وزير الدفاع اسحق رابين ووزير الخارجية شمعون بيرس، ضد مشروع هليفي في حين صوت رئيس الحكومة واحد عشر وزيرا آخر - غالبيتهم من الليكود- لصالح المشروع. وفي نهاية الجلسة أعلن الوزير موشيه أرنس، عن استقالته من الحكومة وتظاهر الآلاف من عمال الصناعات الجوية وأغلقوا الطرق، بيد أن الولايات المتحدة سارعت للإعلان عن اعتزامها تزويد إسرائيل فورا بمائة وخمسين طائرة مقاتلة من طراز (اف-١٦).

الطائرة الشراعية

في الخامس والعشرين من تشرين الثاني ١٩٨٧ هبت عاصفة في إسرائيل فقد تمكن (مخرب) شيعي من التسلل إلى إسرائيل باستخدام طائرة شراعية، وهبط بها بالقرب من "كريات شمونة" وتسلل إلى إحدى قواعد(الناحل) العسكرية القريبة، ونجح في قتل ستة جنود قبل أن يقتلوه.

وقد قرر براك وشومرون، التعامل مع هذا الحادث بخطورة بالغة، جراء السهولة التي تمكن خلالها (المسلح) من الدخول إلى القاعدة وقتل ستة جنود، وقرروا إقالة قائد لواء الناحل. بيد أن الجانب الخطير الذي كان يخشاه براك، هو أن تفسر المنظمات الفلسطينية الحادث بأنه دلالة على ضعف الجيش الإسرائيلي. ولم يدر براك، إلى أي حد كان هذا الوصف ملائماً للواقع. لقد تحول (المسلح) المذكور، إلى بطل قومي في الضفة والقطاع.

وعندما اندلعت الانتفاضة بعد أسبوعين من ذلك التاريخ تم الإعلان عنه كبطل من أبطالها. فقد قامت الانتفاضة على مبدأ تحطيم أسطورة المقاتل الإسرائيلي، الذي بدا بكامل ضعفه خلال عملية معسكر الناحل.

اندلعت الانتفاضة في التاسع من كانون الأول ١٩٨٧، حينما قامت شاحنة إسرائيلية بصدم سيارة فلسطينية وقتل أربعة أشخاص من ركابها، وهم من مخيم جباليا. وقد أدت هذه الحادثة، إلى إضرام النيران في قطاع غزة، خصوصاً على أرضية الشائعات القائلة، أن السائق نفذ عملياته للانتقام لمقتل جندي إسرائيلي في قطاع غزة قبل يومين. وخرج عشرات الآلاف من الجماهير الغزيرة، وهاجمت الجنود والمواقع، وقد ذهل الجنود، وهم يرون لأول مرة، الجماهير الغاضبة لا تتراجع أمام إطلاق النار عليها.

عقد رئيس الأركان اجتماعاً عاجلاً لتدارس الأمر، وكلف إيهود براك بالعمل على إيجاد الحلول لهذه الحرب التي لم يسبق للجيش الإسرائيلي أن خاض مثلها.

وفي أول جلسة حكومية ناقشت الانتفاضة، قال براك: "الأمر يتعلق بحرب طويلة، فالقضية ليست قضية أيام وأسابيع، بل قد تستغرق سنوات لذا، يجب علينا أن نتخذ الاستعدادات اللازمة لمواجهة الوضع الجديد، وبلورة حلول خلاقة.

لم يكن الجيش مستعداً لمواجهة مثل هذا الوضع، مما أحدث ارتباكاً شديداً، وكان رد الجيش على غضب الجماهير ومظاهراتها، إطلاق النار عليها.

مما أسفر عن مقتل عشرات الفلسطينيين في الأسابيع الأولى، ووجدت إسرائيل نفسها معزولة، وموضع هجوم في شتى أنحاء العالم.

عمل الطاقم الذي شكله براك بكل طاقته للعثور على حلول عملية، فتم استبدال العيارات النارية بعيارات بلاستيكية، ثم بالعيارات المطاطية، وعندما اتضح أن هذه العيارات قاتلة، إذا ما أطلقت عن أبعاد قصيرة، جرى استبدالها بالعيارات الملونة وكلمما استعر اوار الانتفاضة، كلما ارتفعت وتيرة التجارة الإسرائيلية في محاولة لوقفها: مدافع حجارة، سيارات مدرعة تم تزويدها بجهاز خاص لرشق المتظاهرين بالحجارة، بلاستيك خاص لإطفاء الإطارات المشتعلة، غازات مسيلة للدموع ٠٠٠٠ الخ.

كان نائب رئيس الأركان، براك، مسئولاً عن الوحدات الخاصة: دوفدافان في الضفة الغربية، وشمشون في غزة. وقد مارس براك ضغطاً من أجل إرسال الوحدات الخاصة: دورية المظليين، وجولاني وجبعاني لمواجهة الانتفاضة، والتخفيف عن المستعربين. وقد أدى هذا القرار إلى إثارة مواجهات شديدة مع قادة الوحدات الخاصة الذين اضطروا لتغيير بعض التدريبات أضف إلى ذلك، أنهم قالوا: أن مواجهة المظاهرات ليست من مهام عملهم.

اقترح براك إقامة سجن كبير قادر على استيعاب معتقلي الانتفاضة، وأشار إلى معتقل (كتسيعوت) في النقب، بيد أن قائد القطاع الجنوبي اسحق مردخاي، عارض إقامة المعتقل في قطاعه، إلا أن براك أصر على ذلك، وأقام المعتقل.

وفي أوج اندلاع الانتفاضة، وجد براك نفسه، مرة أخرى، في قلب عاصفة الفعل - حسب ما نشرته وسائل الإعلام الأجنبية - كانت تلك إحدى عمليات دورية هيئة الأركان المتميزة، على بعد آلاف الكيلومترات، من سواحل إسرائيل.

اغتيال أبو جهاد

في أعقاب اضطرار المنظمات الفلسطينية لإخلاء بيروت في آب ١٩٨٢، حطوا الرحال في تونس. على بعد آلاف الكيلو مترات من إسرائيل، ومن هناك أخذ ياسر عرفات يشغل ويفعل جناح العمليات العسكرية. الذي يترأسه، ومن هناك صدرت الأوامر إلى النشاط الميداني، والنشاط الانتفاضة. وفي حوالي الساعة الثانية من ليلة السادس عشر من نيسان ١٩٨٨- وحسب ما نشرته وسائل الإعلام الأجنبية- سمع صوت نسائي خارج الفيلا التي يقطنها أبو جهاد- نائب الرئيس الفلسطيني للشؤون العسكرية ورئيس شعبة العمليات في حركة فتح.

نادت المرأة باسم أبو سليمان- الحارس الشخصي لأبو جهاد، فسارع الحارس إلى الباب، وفتحه جزئياً ونظر إلى الخارج، وكان آخر شيء شاهده هو لمعة نيرانية، وآلام حادة، ثم سقط أرضاً، بعد أن أصيب في رأسه. كان أبو جهاد في غرفة مكتبه في الطابق الثاني في فيلته الفخمة، والواقعة في حي سيدي بوسعيد التونسي. وقد ألقاه الصوت الذي انبعث من الطابق الأرضي، فأخذ مسدسه وتوجه نحو السلم، في الوقت الذي كان هناك أشخاص يرتدون بزات زيتية اللون يتسلقون الدرج بسرعة باتجاهه، ولم يتمكن أبو جهاد من إطلاق النار، حيث عاجلته صلية نيرانية فالقته أرضاً.

خرجت أم جهاد على صوت إطلاق النار، وشاهدت زوجها وهو ينهار أرضاً، وأدركت أنها التالية في الدور، وبدلاً من أن تتلقى العيارات النارية، امتدت يد قوية باتجاهها، ودفعها إلى غرفة النوم مجدداً، وقال لها صاحب تلك اليد "لسنا مهتمين بك، ادخلي غرفة نومك وابقى هادئة" استجابت أم جهاد للأمر، وأخذت ابنها الذي يناهز الثالثة عشرة، وأغلقت على نفسها غرفة النوم وهي تبكي مصير زوجها. في حين قامت القوة المهاجمة بتمشيط المنزل بسرعة. ومن شق صغير في غرفة النوم شاهدت المهاجمين وهم يغادرون الفيلا حاملين معهم صناديق ومظاريف كانوا قد أخذوها من الفيلا.

حاولت أم جهاد الاستغاثة بالهاتف، بيد أن الخط كان مقطوعاً فخرجت إلى الشرفة وأخذت تصرخ قائلة "قتلوا أبو جهاد، قتلوا أبو جهاد". وبعد دقائق، قدم حراس عرافات الذي كان يسكن في فيلا مجاورة، وحال بزوغ الفجر اكتشفت قوات الأمن التونسية، ثلاث سيارات: حافلتين صغيرتين، وسيارة بيجو ٣٠٥، على ساحل البحر، على بعد عشرين كيلومترا من منزل أبو جهاد.

وبعد عدة أيام نشر (جل فرانكل) مراسل جريدة واشنطن بوست مقالة، قال فيها أن اغتيال أبو جهاد تم على أيدي عملاء الموساد ودورية هيئة الأركان والكوماندو البحري.

وافادت الجريدة، أن قرار التصفية اتخذ في جلسة حكومية خاصة في السادس من نيسان ١٩٨٨، وقد شارك في هذه الجلسة رئيس الموساد ناحوم أدموني.

كان مسلحون قد هاجموا قبل هذا التاريخ بشهر عمالاً يعملون في المفاعل النووي في ديمونة، بعد أن تسللوا من سيناء وقد قتل ثلاثة من الرهائن قبل أن تنجح وحدة مكافحة الإرهاب في السيطرة على الحافلة. وقبل أن يتم تصفيته، قال أحد المسلحين: لقد أرسلنا أبو جهاد.

طرح رئيس حكومة الوحدة الوطنية، اسحق شامير، في مطلع نيسان، لأول مرة، إمكانية اغتيال أبو جهاد، بيد أن ثلاثة وزراء من حزب العمل هم: وزير الخارجية شمعون بيرس، ووزير المعارف اسحق نافون، والوزير بلا وزارة عيذر وايزمن، عارضوا العملية، في حين أيدها وزير الدفاع اسحق رابين، ووزير التجارة والصناعة حاييم بارليف ووزراء آخرون. ولم يجر في نهاية الجلسة تصويت على الاقتراح، فقد حسم القرار اسحق شامير بالقول: لقد تم نقل القرار إلى الموساد والجيش الإسرائيلي.

وافادت وسائل الإعلام الأجنبية انه تم استدعاء رئيس الموساد ناحوم أدموني لحضور جلسة الحكومة التالية، وأعلن شامير انه سيتم تصفية أبو جهاد قريباً، "فهذه هي اللغة الوحيدة التي يفهمونها".

لقد سبق العملية عملية إعداد دقيقة، ففي أعقاب اتخاذ القرار استدعي إلى مكتب وزير الدفاع ثلاثة ضباط: دان شومرون رئيس الأركان، وإيهود براك نائبه، ورئيس شعبة الاستخبارات العسكرية أمنون ليفكين شاحك. وفي نهاية الاجتماع، اتخذ قرار بأن يت رأس إيهود براك الطاقم التخطيطي، يساعده في ذلك رئيس شعبة الاستخبارات شاحك، ورئيس الموساد وضباط آخرون.

كان براك مسروراً لتحديد هدف العملية فقد كان أبو جهاد مسئولاً عن العديد من العمليات العسكرية ضد إسرائيل، والتي أسفرت عن مقتل عدد كبير من الإسرائيليين واليهود.

وخلال ذلك اللقاء، وضع براك الإطار الأول للعملية: شعبة الاستخبارات العسكرية مسئولة عن ملف المعلومات، والموساد مسئول عن الإعداد التنفيذي على أرض الواقع، وسلاح الجو مسئول عن الرقابة والتغطية الجوية، وسلاح البحرية سينقل القوة إلى الهدف، وجنود الكوماندو البحري هم المسئولون عن إنزال القوة على الساحل التونسي، أما عملية التصفية نفسها، فسيقوم بها جنود دورية هيئة الأركان.

كانت لدى شعبة الاستخبارات ملفات ضخمة حول أبو جهاد: بيد أنها لم تكن تفي بالغرض. ومنذ اللحظة التي تم فيها اتخاذ قرار التصفية، قام براك بتفعيل عدد كبير من العملاء لجلب المزيد من المعلومات.

ووفقاً لما نشرته وسائل الإعلام الأجنبية تم إرسال عملاء الموساد إلى تونس، فعادوا من هناك وهم يحملون معلومات كاملة عن المنزل، وصوراً له من الداخل والخارج، بما فيها أنظمة الحراسة، ونظام الحياة اليومية لأبو جهاد. كما بادر براك، إلى تنفيذ تحليل جوي فوق المنزل وتصويره، وتصوير الطرق المؤدية إليه.

ورغم أن أبو جهاد لم يشعر بشيء، إلا أنه كان تحت المراقبة طيلة أسبوع، كما كان عملاء الموساد يتصنتون على جهازه الهاتفي، وعرفوا كل ما يعتزم عمله. وقد تمكنت الأجهزة الحديثة التي تم زرعها في منزله من كشف

النقاب عن عادات لم تكن معروفة عنه. فقد اتضح مثلاً، أنه اعتاد العمل حتى منتصف الليل في صالون المنزل في الطابق الأول، ثم الصعود إلى الطابق الثاني إلى غرفة العمل، أو إلى غرفة النوم الملاصقة لها.

حدد براك اسم الضابط الذي سيقود العملية: المقدم موشيه يعلون قائد دورية هيئة الأركان، في الوقت الذي كان فيه الطاقم المنتخب للتنفيذ يتدرب على نموذج مشابه على أحد سواحل جنوب إسرائيل، على الهبوط والحركة والسيطرة والانسحاب.

في الثالث عشر من نيسان ١٩٨٨ انطلقت عدة زوارق حربية إسرائيلية من ميناء حيفا باتجاه الغرب. كانت الزوارق محملة بكم كبير من المعدات الحربية، بما فيها مستشفى ميداني، وأجهزة إلكترونية، وطائرة هليكوبتر لإنقاذ الجنود من المنطقة عند الضرورة. وكان نائب رئيس الأركان إيهود براك، على متن أحد الزوارق.

وإبان إبحار السفينة، تلقت رسالة تقول: أبو جهاد في منزله، ويواصل العمل حسب العادة. وأفاد عملاء الموساد في تونس: أن شخصيات رفيعة من المنظمة، بمن فيهم ياسر عرفات، موجودون في تونس. كان الإغواء كبيراً جداً لتصفية جميع القادة الموجودين، بيد أن إيهود براك وبالتشاور مع رئيس الأركان دان شومرون، قرر التمسك بهدف العملية الأصلي.

لقد كان الإغواء للمشاركة في عملية التصفية لدى براك كبيراً. وتذكر أنه أبحر قبل خمس عشرة سنة بالضبط- في نيسان ١٩٧٣- على متن زورق حربي إسرائيلي إلى ساحل بيروت لتنفيذ عملية (ربيع الشباب)، كان آنذاك برتبة مقدم، وقائد لدورية هيئة الأركان، أما الآن فهو ضابط رفيع برتبة لواء، ونائب رئيس الأركان.

اقتربت الزوارق الحربية في الخامس عشر من نيسان في ساعات منتصف الليل من الساحل التونسي. وأفادت قوة طلائعية من الكوماندو البحري

أن الشاطئ هادئ. وقام براك بمعاينة موشيه يعلون بشدة، قبل هبوطه هو والجنود إلى الزوارق.

في ذلك الوقت كان عملاء الموساد يسيطرون على خطوط الهاتف، وباستخدام أجهزة تكنولوجية حديثة كانوا يتحكمون في المحادثات، وفيما إذا كان يجب السماح لأبو جهاد بسماعها أم لا.

كانت التوجيهات المعطاة لقائد الدورية واضحة: اقتل أبو جهاد وحراسه، لكن لا تمس بزوجته وأولاده. كانت العملية خاطفة جداً، حيث لم تستغرق منذ وصول الجنود إلى المنزل، وحتى مغادرة آخرهم، وركوبه السيارة دقائق معدودة.

وكان النجاح بنسبة ١٠٠%، فقد غادر الجنود المكان تاركين خلفهم جثمان (أبو جهاد) وقد مزقه الرصاص، دون أن يلحظ أي شخص من أصحاب المنازل المجاورة حدوث شيء غريب.

سارعت القوة بالسيارات إلى الشاطئ، وهناك امتطت الزوارق المطاطية إلى الزوارق الحربية، التي كانت ترسو بالانتظار على بعد عدة مئات من الأمتار.

استقبل إيهود المقاتلين على متن السفينة، وتم إجراء الاستجواب الأولي، وبعد أربع وعشرين ساعة، كانت الزوارق في إسرائيل.

ومن الجدير بالذكر، أن إسرائيل لم تعترف أبداً بتنفيذها للعملية وعندما سئل رئيس الحكومة شامير عن العملية، قال: "لقد سمعت عن ذلك في الراديو".

شعر براك، مطلع ١٩٨٩، أن نبوءته قبل ثلاث سنوات بدأت تتحقق، فقد بدأت منظمة جديدة تحتل مكانة واسعة في الضفة والقطاع، منظمة حماس، وهي منظمة إسلامية متطرفة، ترفع لواء محاربة إسرائيل بلا هوادة. وقد وجد الجيش الإسرائيلي في تلك الآونة نفسه أمام موجة عمل عسكري جديدة، قامت خلالها حركة حماس باختطاف وقتل جنود بعد أن تخفى مقاتلو حماس في صورة يهود متدينين ونقلوا الجنود معهم مجاناً. وفي السادس عشر من شباط، تم اختطاف

المظلي آفي سسبورتس، وتم قتله حال ركوبه السيارة، وتم العثور على جثته بعد عدة أشهر .

عقدت هيئة الأركان اجتماعا، أصدرت في نهايته تعليمات مشددة للجند فيما يتعلق بالركوب المجاني. بيد أن الأوامر لم تجد نفعاً في الحيلولة دون عملية القتل التالية. ففي الثالث من أيار اختطف وقتل الجندي (إيلان سعدون) والذي كان بانتظار الركوب المجاني، قرب عسقلان وقد اكتشف جهاز الأمن العام، أن حركة حماس تتف خلف هذه العملية أيضاً، فتم اتخاذ قرار يقضي باعتقال الشيخ أحمد ياسين رئيسها.

اعتقال الشيخ ياسين

وحادث الحافلة ٤٠٥

لم يضع اعتقال الشيخ ياسين حداً للعمليات التي كان الطاقم التنفيذي لحركة حماس يقوم بها. ففي السادس من تموز، نجح أحد أعضاء حماس في السيطرة على عجلة قيادة حافلة على الخط (٤٠٥)، كانت في طريقها من تل أبيب إلى القدس، ودهور السيارة في وادٍ عميق قرب قرية أبو غوش مما أسفر عن مقتل ستة عشر شخصاً، وإصابة سبعة وعشرين آخرين بجراح. وقد هزت هذه العملية التي كانت من أخطر العمليات التي شهدتها إسرائيل في تلك الأيام - ثقة الإسرائيليين بقدرة الدولة.

اختطاف الشيخ عبيد

من جنوب لبنان

وقعت عملية الحافلة (٤٠٥) في الوقت الذي كان فيه رئيس الأركان يعد لعملية جريئة: خطف الشيخ عبيد، زعيم حزب الله من جنوب لبنان. وكان هناك سببان لاختيار هذا الهدف:

- للتأكيد على أن عملية الاختطاف لن تبقى حكرًا على طرف واحد.

• للضغط على حزب الله لإطلاق سراح الجنديين رحيم الشيخ، ويوسف فينك، اللذين تم اختطافهما إبان قيامهما بدورية في منطقة الحزام الأمني في جنوب لبنان.

كان براك يؤمن بأن اختطاف الشيخ عبيد سيكشف معلومات مهمة حول مصير الملاح الإسرائيلي المفقود رون اراد. لقد فتش براك-منذ إسقاط طائرة اراد في جنوب لبنان، في تشرين الأول ١٩٨٦، جميع الطرق الممكنة على الصعيدين السياسي والاستخباري، للحصول على معلومات عمّا آل إليه مصيره. وعندما بدأ ملف عبيد في التبلور، بات براك واثقاً من أن بمقدوره تقديم معلومات حول مكان وجود اراد، مما قد يتيح الفرصة للقيام بعملية كوماندو جريئة لتخليصه.

وفي السابع والعشرين من تموز، تم إنزال قوة مختارة من دورية هيئة الأركان بالقرب من بلدة جيشيت باستخدام طائرات الهيلوكبتر، حيث وصل جنود هذه القوة إلى منزل الشيخ المحاط بالآلاف من الشيعة واختطفوه من سريره. وقبل الفجر عادت القوة إلى إسرائيل، بيد أن حجم النجاح كان بحجم الأمل، فقد رفض حزب الله حتى مجرد التفاوض حول إطلاق سراح الشيخ. وبعد خمس سنوات من ذلك التاريخ، وبوصفه رئيساً للأركان، كان براك الرأس المخطط لعملية خطف أخرى من حركة أمل وهو (مصطفى ديراني)، وهي المنظمة التي كانت تحتفظ (برون اراد) اثر وقوعه في الأسر، تم (باعته) لحزب الله.

ولا شك، أن عمليتي الاختطاف أشارتا بوضوح إلى طبيعة الرجل الذي وقف وراءهما: جريء عملي، ومفاجئ في المكان الذي لا يتوقعه إنسان. لقد عززت الانتفاضة، واشتداد ساعدها، مكانة وحدتي المستعربين اللتين تم تشكيلهما: دوفدان في الضفة الغربية، وشمشون في قطاع غزة. كان التعاون بين يهود ويعقوب بيرى وطيداً جداً، فقد أعرب بيرى عن تدمره من توفر المعلومات الاستخبارية، وفي نفس الوقت عدم توفر القوة

المنفذة، فتعهد براك بتوفير هذه القوة، وقام بمطالبة رؤساء الوحدات العسكرية بإعداد قوائم بأسماء الضباط المتميزين، واستدعاهم إلى مكتبه لإقناعهم بالخدمة لمدة سنة في إطار وحدتي شمشون ودودفان.

لقد أذهل براك جهاز الأمن العام بسرعة التنفيذ، ففي الكثير من الأحيان لم تمض ساعات معدودة، على وصول المعلومة، حتى يكون الشخص المطلوب معتقلاً.

وفي الكثير من الأحيان، كان رئيس الأركان ونائبه يصطدمان مع الوزراء، على أرضية إجراءات فتح النار في عهد الانتفاضة. وقد قاد هذه الحملة الوزارية، (رفائيل ايتان) و(رحبعام زئيفي) و(يوفال نئمان)، وأحياناً ارئيل شارون.

رفائيل: يجب أن تطلقوا عليهم النار، مثلما تطلقون النار على الكلاب.

زئيفي: يجب فتح النار على كل من يرشق حجراً.

براك: هناك قوانين، هناك إجراءات متشددة لإطلاق النار، ونحن سنعمل وفقاً لها.

رفائيل: في الحروب لا توجد قواعد، ما هذا الكلام الذي أسمعته عن إجراءات وقواعد فتح النار؟

براك: نحن لا نفتش عن إغراق مدن الضفة وغزة بالقتلى، بل نفتش عن أساليب للردع والقتل، لكن وبوضوح، ليس القتل دون ضرورة.

زئيفي: يجب استخدام النيران الحية، هذا هو الأسلوب الوحيد الذي يفهمونه.

ايتان: يجب محو قرى كاملة من قرى المتظاهرين والمحرضين.

رحبعام زئيفي: يجب طرد كل المحرضين، لا يوجد حل الفضل من الترانسفير.

براك: مرة أخرى، الجيش لن يفعل أي شيء يخالف القانون.

الفصل السابع عشر

حرب رئاسة الأركان

تولى مهام الاستعدادات لمواجهة الصواريخ العراقية

بدأت التحركات في هيئة الأركان في الأول من نيسان ١٩٩٠ توطئة لخوض الصراع حول تعيين رئيس هيئة الأركان، حيث لم يبق لدان شومرون سوى سنة واحدة في هذا المنصب. وقد اعتبر ثلاثة ضباط أنفسهم، مرشحين لهذا المنصب: نائب رئيس الأركان إيهود براك، ورئيس شعبة الاستخبارات امنون شاحك، وقائد القطاع الشمالي: يوسي بيلد، والذي كان يحظى بتأييد رفائيل ايتان، ونشطاء من الليكود.

كان إيهود براك مقتنعا بأن هذا المنصب من نصيبه، بيد أن زلزالاً وقع في الحكومة قبل أسبوعين من عملية التعيين. فقد عمل وزير المالية والقائم بأعمال رئيس الحكومة شمعون بيرس على (تفجير) حكومة الليكود الوطنية، حيث عمد إلى تجنيد أعضاء الكنيسة من حزبي (شاس) و"أجودات إسرائيل"، في محاولة للإطاحة بأسحق شامير. واستقال جميع وزراء حزب العمل من الحكومة واستقال معهم وزير الدفاع اسحق رابين، رغم تحفظه على خطوات بيرس.

كانت الضربة شديدة الوطء على إيهود براك، فرابين لم يكن يخفي محبته لنائب رئيس الأركان، لقد استمرت علاقتهما زمناً طويلاً. وكذلك لقاءاتهما التي كان قسم منها يجري في منزل وزير الدفاع، لقد كانت العلاقة القائمة أكبر بكثير من العلاقة التي تنشأ بين وزير دفاع، ونائب رئيس أركان. لقد التزم رابين قبل ثلاث سنوات، أمام براك، بأن يتم تعيينه الرئيس القادم للأركان، أما الآن فقد أصبح براك يخشى من عدم تحقق هذا الوعد.

لقد كان يعلم تماماً بالوضع السياسي، وتنبأ حدسه بأن خطوة بيرس ستكون وبالاً، وهذا ما حدث ففي حزيران ١٩٩٠، نجح شامير في تشكيل الحكومة دون حزب العمل، وكان أسوأ بشرى بالنسبة لبراك، تعيين موشيه أرنس وزيرا للدفاع. لقد كان لارنس حساب طويل مع إيهود، فهو لم ينس أنه كان أكبر شخصية أسهمت في حفظ وإحباط مشروع طائفة (هليفي).

قائد القطاع الشمالي (يوسي بيلد) - الذي لم يكن في عهد رابين مرشحا حقيقيا لمنصب رئيس الأركان، أخذ الآن يزاحمه على المنصب. وشكل

بيلد(لوبي) ترأسه رفائيل إيتان، الذي أوضح لآرنس، أن براك اندفع أكثر مما ينبغي، وأنه يتمتع بتجربة ضحلة، على صعيد المنصب.

لقد فاجأ آرنس، براك فهو لم يتطرق خلال أول حديث بينهما، إلى طائفة(هليفي)، بل طلب منه أن يقدم إليه تقريراً للوضع، كي يكون ملماً حال تسلمه لمنصبه كوزير للدفاع.

وفي تشرين الثاني، اتصلت إحدى موظفات مكتب (عزرائيل بنو) السكرتير العسكري لرئيس الحكومة، بمكتب إيهود، بيد أنها لم تجده هناك، فتركت له رسالة مفادها: "رئيس الحكومة يرغب في رؤية نائب رئيس الأركان، الساعة الخامسة مساءً، بيد أن الموظفة في مكتب براك سجلت أن اللقاء سيكون في الساعة السابعة بدلا من الخامسة، أي بتأخير ساعتين.

وفي حوالي الساعة الرابعة والنصف اتصل(عزرائيل بنو) برئيس مكتب براك(يوني كيرن) وقال له: ماذا تفعلون في تل أبيب، بعد نصف ساعة يجب أن يجتمع رئيس الحكومة ببراك. وبعد دقيقتين، كان براك ينهب الأرض بسيارته في طريقه على القدس.

استقبله شامير بود-وقال: "إيهود، كيف حالك؟ تعال واجلس، هل تود شرب شيء ما؟؟ أدرك شامير أن إيهود متوتر، وقرر إفراغ ذلك التوتر مرة واحدة فقال: "لقد قررنا أن تكون أنت رئيس الأركان القادم، الحكومة ستصادق على ذلك خلال الأسبوع القادم، تهنئتي، وبالنجاح".

وحال خروجه من مكتب رئيس الحكومة، قال ليونسي كيرن: أخرج ورقة واكتب: "يسمح لكل شخص أن يرتكب خطأ واحداً فقط". وكان يقصد بذلك الموظفة في مكتبه التي كادت تخرب الزيارة لرئيس الحكومة.

بدأ إيهود يفتش عن زوجته بالهاتف، كي تكون أول من يعرف بالتعيين، ثم توجه الاثنان إلى أبو غوش لتناول وجبة حمص ومعهما اللواء (دانني يتوم).

طلب ايهود من كيرن أن يحتفظ بالسر، بيد أنه لم تمض ساعة، حتى أذاع التلفزيون النبا، لقد تسرب السر من رئيس الأركان دان شومرون، الذي توجه إلى مكتب ايهود، وهنا الموظفين هناك.

وقد علم براك، فيما بعد، أن أرنس عينه رئيسا للأركان بتوصية من اسحق رابين الذي كان آنذاك في المعارضة، وقد تجاهل أرنس جميع ضغوط اليمين الإسرائيلي، الذي قال أن ايهود يؤيد حزب العمل، وأن تعيينه سيكون بمثابة إحراز هدف ذاتي من قبل الليكود.

وقد صافحه جميع الوزراء في أعقاب المصادقة على القرار، في حين أرسل إليه رفائيل ايتان بطاقة كتب فيها: "يهود ٠٠٠ مباشرة أقول لك أنني كنت أعارض تعيينك لأنني اعتقد أنك لم تشغل وظائف عسكرية بما فيه الكفاية، وأنتك تفتقر إلى المعرفة في مجال الانضباط والإدارة وأتمنى أن أكون مخطئا".

حرب الخليج الثانية

فاجأ الجيش العراقي العالم كله في الثاني من آب ١٩٩٠، باحتلاله الكويت في ساعات معدودة، وفي خطاب الانتصار قال (صدام حسين): "أنه إذا ما حاولت الولايات المتحدة التدخل في النزاع (العائلي) في الخليج، فإنه سيقوم بإحراق (تل أبيب) بصواريخ سكاد التي يملكها".

لم تكن المفاجأة في الجيش الإسرائيلي كبيرة، فقبل عدة أيام من الاجتياح العراقي، قدمت شعبة الاستخبارات العسكرية تقديرا للوضع، للحكومة، جاء فيه "أن هناك احتمالا كبيرا لأن يجتاح الجيش العراقي الكويت".

قرر شامير عدم إجراء التعديلات الجديدة في الجيش حاليا إزاء أحداث العراق.

ومن الجدير بالذكر، أن براك بذل جهودا كبيرة إبان توليه منصب رئيس شعبة الأركان، لحل المعضلة العراقية، وحينما تولى (أمنون شاحك) رئاسة الشعبة تابع نفس الاتجاه.

بدأت الاتصالات بين الولايات المتحدة وإسرائيل في أعقاب الاجتياح. وتناسى الطرفان الأزمة التي نشبت بينهما، على أرضية رفض إسرائيل مبادرة وزير الخارجية الأميركي. كانت الاتصالات بين الدولتين ناجعة جداً، وقد قام بتنسيق هذه الاتصالات (ديفيد عفري) مدير عام وزارة الدفاع، وتم الإعلان عن حالة الاستعداد القصوى في هيئة الأركان، وأخذت شعبة العراق في الاستخبارات تعمل بمعدل أربع وعشرين ساعة يومياً، والأقمار الصناعية الأميركية، توفر المعلومات اللازمة، وكلف رئيس الأركان (دان شومرون)، إيهود باراك، بالإشراف على حالة الاستعداد القصوى.

وفي أعقاب الاجتياح العراقي للكويت، قدمت شعبة الاستخبارات تقديم وضع أفادت فيه أن من المحتمل أن يطلق صدام حسين الصواريخ على إسرائيل. وقال نائب رئيس الأركان أن العراق قد يطلق صواريخ سكاد من منطقة (إتش-٣)، غربي العراق. وأن كل صاروخ عراقي تقليدي، قد يسفر عن سقوط حوالي عشرة إسرائيليين، إضافة إلى الأضرار المادية الجسيمة، ومن المتوقع إطلاق عشرات الصواريخ على إسرائيل.

كانت الصواريخ العراقية تغلق براك بصورة لا تقل عما كان يقلقه سلاح الجو العراقي. وفي إحدى جلسات هيئة الأركان تساءل: ما الذي كان سيصبح عليه الوضع لو أن صدام حسين اجتاح بدباباته الأردن، بدلاً من الكويت؟ وكانت التقديرات الأميركية تفيد بأن لدى العراق ما لا يقل عن ستين فرقة مدرعة، قسم منها مجهز بدبابات تي-٧٢ الروسية.

وكلما اقترب موعد انتهاء الإنذار الذي وجهته الولايات المتحدة للعراق، كلما أفادت الأنباء الاستخبارية بأن العراق يدفع بالمزيد من المنصات الصاروخية والصواريخ إلى الصحراء العراقية الغربية. بيد أن السؤال الذي كان يحتاج إلى إجابة هو: هل يعتزم صدام حسين إطلاق صواريخ تقليدية على إسرائيل أم صواريخ ذات رؤوس كيميائية وبيولوجية؟

شكلت هيئة الأركان طاقما برئاسة ايهود براك وعضوية رئيس شعبة الأركان اللواء (ايهود يتوم) واللواء (دورون روبين)، وضباط رفيعي المستوى في شعبة الاستخبارات، ورئيس شعبة الساحة العراقية العقيد (عموس جلعاد)، وضباط رفيعي المستوى في سلاح الجو وقيادة الجبهة الخلفية.

كانت تقديرات الطاقم، أن لدى العراق أسلحة ورؤوسا صاروخية كيميائية، وقدرة على تطوير أسلحة بيولوجية. ووفقا لهذه التقديرات شرعت وزارة الدفاع في شراء أقنعة واقية من الغازات وتجهيزات أخرى، وأخذت الطائرات الأميركية تفرغ حمولتها من التجهيزات في القواعد الإسرائيلية.

في الثالث عشر من كانون الأول، وفي أوج الاستعدادات توطئة لهجوم أميركي على العراق، وقعت كارثة في قاعدة سلاح الجو (عوفده) القريب من إيلات. فقد تحطمت طائرة خفيفة من طراز (سسنه) بعد إقلاعها مما أسفر عن مقتل أربعة من طياري الهليكوبتر، أباشي- وضابط عمليات المرب.

لقد اتضح بعد سبع سنوات من اندلاع حرب الخليج، أن ايهود براك أعد خطة تقوم خلالها دورية هيئة الأركان بمهاجمة المنصات الصاروخية العراقية وأهداف أخرى غربي العراق.

كما تم تعيين العميد (أمير نحومي) للإعداد لهجوم جوي في غربي العراق. بدأت الولايات المتحدة هجومها في السادس عشر من كانون الثاني ١٩٩١، وحينها دخلت إسرائيل في مرحلة الاستعداد لامتنصاص الضربات التي قد توجه إليها. ودعا اسحق شامير إلى جلسة طارئة في مكتبه، دعا إليها وزير الدفاع (موشيه آرنس) ورئيس الأركان (دان شومرون)، ونائب رئيس الأركان ايهود براك، ورئيس شعبة الاستخبارات العسكرية أمنون شاحك، وقائد سلاح الجو (أيهو بن نون)، وضباطا كبارا آخرين وقد أعلم شامير الحاضرين، بالموقف الإسرائيلي: "لأن نكون المبادرين إلى الهجوم، وإذا ما هوجمنا بالصواريخ سنرد". لم يكن براك في حاجة إلى أي تحليلات، فقد كانت التقديرات العسكرية

تؤكد أن العراق سيقصف إسرائيل بالصواريخ، وأن هجومه الصاروخي سيكون أقرب بكثير مما يتوقعون.

وفي الساعة الرابعة ودقيقة، أعلن المراقبون في برج المجمع الحكومي، أنهم شاهدوا صاروخا يمر فوق تل أبيب ويسقط في البحر. لقد كان ذلك الصاروخ في حقيقة الأمر هو صاروخ عراقي لضبط النار. وقد كشفت إحدى الصحف العربية الصادرة في لندن النقاب، عن أن العراق جند فلسطينيا كان على ساحل البحر، وأعلم العراقيين بمكان سقوط الصاروخ كي يضبطوا نيرانهم بصورة أفضل.

سقطت أول مجموعة صواريخ سكاد عراقية على إسرائيل في نفس الليلة، ستة منها في جوش دان، واثنان وجها إلى حيفا، مما أسفر عن إصابة حوالي سبعين شخصا بجراح. لقد حلت لحظة الاختبار الحقيقية، وكان على الحكومة اتخاذ قرار بهذا الصدد، وبدأ أن رئيس الأركان ونائبه والطائرات في مدارجها بانتظار هذا القرار.

كانت جلسة الحكومة الطارئة في صبيحة ذلك اليوم صعبة للغاية. وقد أفاد رئيس الأركان بأن الصواريخ التي سقطت كانت تحمل رؤوسا عادية، ولا يوجد أي دليل على إطلاق صواريخ غير تقليدية، كيميائية أو بيولوجية.

دفع الوزيران شارون ورفائيل ايتان باتجاه المبادرة بالرد على القصف، بيد أن الوزير ديفيد ليفي، كان أكثر اعتدالا وحذرا. وقد أيد وزير الدفاع القيام بالرد العسكري، شريطة أن يتم بالتنسيق مع الأميركيين.

لاحظ إيهود باراك، أن السكرتير العسكري لشامير أعطاه ورقة صغيرة، وبعد أن قرأها شامير، غادر قاعة الجلسة دون أن يقول شيئا. لقد كان الرئيس الأميركي (جورج بوش) على الطرف الآخر من سماعة الهاتف. وقد أعرب بوش عن أسفه العميق على المصابين الإسرائيليين، وكاد أن يتوسل لشامير قائلا: لا تردوا، اضبطوا أنفسكم، لأن أي رد إسرائيلي، سيؤدي إلى حل الانتكلاف

العسكري الأميركي، أتبحوا لنا الفرصة للعمل، وسوف نعالج نحن قضية الصواريخ".

عاد شامير إلى الجلسة، ولم يعلم الوزراء بما دار بينه وبين بوش، بيد أنه أنهى الجلسة قائلاً: إذا كانت هناك ضرورة، سن عقد جلسة أخرى اليوم. تواصل سقوط الصواريخ على إسرائيل رغم الوعود التي قدمها الرئيس الأميركي. ورغم التقارير التي قدمها الطيارون الأميركيون والبريطانيون حول دقة الإصابات التي أوقعوها بالمنصات الصاروخية العراقية.

سافر نائب رئيس الأركان إيهود براك في الحادي والعشرين من كانون الثاني إلى واشنطن سرا، للاجتماع بوزير الدفاع ورئيس الأركان الأميركي، وقد نقل إليهما رسالة واضحة تقول أن إسرائيل لا تستطيع ضبط نفسها أكثر من ذلك. توجه براك إلى الولايات المتحدة متخفياً في صورة رجل أعمال، وقد كان التكرار دقيقاً إلى الدرجة التي صعب على مدير مكتبه التعرف عليه في البداية، وعرض براك على القيادة العسكرية الأميركية خطة أعدتها هيئة الأركان الإسرائيلية لمهاجمة المنصات الصاروخية العراقية، وقال: "إننا نقدر الجهد الذي يبذله الطيارون الأميركيون والبريطانيون بيد أن لدى طيارينا اعتقاداً بأنهم قادرون على عمل ذلك بصورة أفضل.

وعد وزير الدفاع الأميركي، بنقل الطلب إلى الرئيس الأميركي، وطلب من إسرائيل ضبط نفسها حتى يأتي رد الرئيس. عاد براك في نفس اليوم إلى إسرائيل، حاملاً معه الرد الأميركي القائل بأن الولايات المتحدة تعد بتعزيز جهودها ضد الصواريخ العراقية، وإرسال بطاريات أخرى من صاروخ (باتريوت) إلى إسرائيل، بيد أن الأميركيين لم يفهموا الاحتياجات الأمنية الإسرائيلية، مما أبقى المطلب الإسرائيلي قائماً على جدول الأعمال.

وبعد عدة أيام، توجه رئيس الحكومة ونائب رئيس الأركان، لإجراء لقاء مع (الملك الحسين) في لندن، وقد جرى اللقاء في فيلا الملك في حي كينسينجتون،

لقد تم الكشف عن هذا اللقاء، لأول مرة، في المذكرات التي كتبها رئيس الحكومة اسحق شامير. وقد استقبلهما الملك بحرارة بالغة، ولم يخف قلقه من النتائج التي قد تتمخض عنها حرب الخليج. وقد عرض شامير أمامه، أهداف اللقاء قائلا: "نحن على وشك مهاجمة العراق، ونريد من الأردن ألا يتدخل". وعرض شامير على الملك خرائط تنفيذية، وقد وضعت عليها اسمهم تشير إلى غربي العراق، وكانت الأسهم تمر فوق المجال الجوي الأردني. وبوصفه طيارا قديما، أدرك الملك الحسين ما الذي يقصده شامير.

حافظ شامير وبراك على لهجة هادئة وهما يوضحان له إلى أي حد يحترمانه ويقدرانه: هناك خياران للهجوم أمام إسرائيل، الأولى عبر المجال الجوي السعودي، والثاني-المفضل- عبر المجال الجوي الأردني، كانت أيدي الملك الحسين تتجول على الخارطة، وعقله يدرك تماما إلى أين تتجه.

*براك: "أرجو أن تأمر طياريك ألا يتدخلوا، فنحن لسنا معنيين باعتراض الطائرات الأردنية".

لم يعط الملك الحسين ردا واضحا، بيد أن اللقاء انتهى بإحساس، أن الملك يدرك أن لا خيار لديه، لقد نقلت إسرائيل إليه الرسالة التي أرادت نقلها.

وفي السابع والعشرين من كانون الثاني، أُلغى براك مرة أخرى إلى الولايات المتحدة. وكانت إسرائيل قد تلقت في الليلة الماضية، أثقل هجمة صاروخية عراقية، وقد سقط أحد صواريخ سكاك في وسط (رمات جان) مما أدى إلى إصابة العشرات بجراح، وتدمير حوالي ألف شقة تدميرا شاملا، وقد صاحبه وزير الدفاع موشيه أرنس ومدير عام وزارة الدفاع، ديفيد عفري، ورئيس مكتب الوزير (يرمي اولمرط).

كان وزير الدفاع الأميركي، ورئيس هيئة الأركان المشتركة (باول) بانتظارهم في المطار، وهم على علم تام بالمزاج السائد في أوساط الجهاز الأمني

الإسرائيلي، وكانوا يدركون أن إسرائيل اتخذت قرارا بشن هجوم على العراق، لذا استدعوا على عجل كبار مسؤولي وزارة الدفاع الأميركية للتشاور.

كانت الحكومة الإسرائيلية، قد عقدت اجتماعا طارئا قبل توجه أرنس وبراك وحاشيتهما إلى الولايات المتحدة، وقد غير وزير الدفاع موشيه أرنس رأيه في ضرورة ضبط النفس، وعدم الهجوم على العراق. كما طرحت خطة الهجوم التي أعدها اللواء (دورون روبين).

لم يبد أيهود براك مرتاحا من العملية، فقد كان يدرك أن العملية جيدة، بيد أن تنفيذها يرتبط بسقوط عدد كبير جدا من الضحايا. وقد أدى طرح الخطة إلى توفير الأجواء بين روبين وبراك، الذي كان آنذاك، قد بدأ بتركيب هيئة الأركان مما حدا ببراك، لاتخاذ قرار باستبعاد روبين من تركيبته.

بدا براك مقطب الوجه، خلال اللقاء مع وزير الدفاع الأميركي ورئيس هيئة أركانه، وقال: "لقد تحملنا بصمت، وضبطنا أعصابنا، ولا نستطيع مواصلة هذا الوضع، بعد الآن، لن نستطيعوا وقفنا".

دخل يرمي أولمرط، خلال الحوار، وسلم أرنس ورقة، لقد تلقت إسرائيل أثناء الحديث موجة صواريخ أخرى، وقد سقطت على بعد قليل من سكن وزير الدفاع.

استأذن أرنس، وتحدث هاتفيا مع زوجته، التي قالت له أن المنزل أصيب، بيد أنها والأولاد بخير، وتحافظ على معنوياتها.

طلب رئيس الأركان الأميركي التحدث مع براك على أفراد جندي مقابل جندي، وأوضح له وجهة النظر الأميركية.

كان الاثنان يعرفان، أحدهما الآخر، فعندما كان براك رئيسا لشعبة الاستخبارات العسكرية كان (باول) سكرتيرا عسكريا لوزير الدفاع (كاسبر واينبيرجر).

وفي الكتاب الذي ألفه (كولني باول) حول حرب الخليج وصف بإسهاب اللقاء آنف الذكر فقال: "فتح أيهود خارطة العراق على الطاولة أمامنا وأشار إلى

غربي العراق، وهي المنطقة التي كانت تنطلق منها الصواريخ على إسرائيل- وعرض أمامي خطة الجيش الإسرائيلي، والتي تتضمن الدمج بين الهجوم الجوي والبري على المنطقة وفي عمق الصحراء العراقية 'كانت الخطة جريئة جداً، بيد أنها كانت مدمرة تماماً للائتلاف العسكري الأميركي في المنطقة'. 'طلبت التحادث مع ايهود على انفراد كجندي إلى جندي، وتوجهنا أنا وهو إلى مكتبي'.

براك: 'الهجمات الصاروخية تدمر معنويات الإسرائيليين، ونحن لا نستطيع ضبط أنفسنا أكثر من ذلك. يجب عليكم تفهمنا، وعدم الحيلولة دون قيامنا بالعملية'.
 باول: أنت تعرف أن تدمير الصواريخ هو أحد أهدافنا، ونحن نعمل بهذا الاتجاه، وقد بعثنا اليكم ببطاريات صواريخ باتريوت لاعتراض صواريخ سكاك'.

براك: 'نحن نقدر ذلك جيداً، بيد أن صواريخ باتريوت غير مجدية، وليس أدل على ذلك من أن صواريخ سكاك لا زالت تسقط على إسرائيل. ومن الصعب أن نتفهم إسرائيل أن تقوم أي جهة بالدفاع عن أمنها، والجمهير الإسرائيلية تتوقع من الجيش الإسرائيلي أن يقدم الحلول لذلك، ونحن لا نرغب في أن يتم إسقاط طيارين أميركيين وبريطانيين في المهمة التي يتوجب علينا نحن تنفيذها'.

باول: 'جنرال براك، يجب عليكم أن تتفهمونا إذا ما قمتم أنتم بالعمل، فإن الائتلاف العسكري الهش الذي أقمناه، سيتحلل'.

براك: 'إذا لم نبدأ العمل، وتدمر الصواريخ، فإن من المحتمل أن يستخدمها صدام حسين لإطلاق رؤوس كيميائية وبيولوجية على إسرائيل عندما يبدأ الهجوم البري الأميركي، وإذا ما حدث ذلك، فإنك تعرف ما الذي يتوجب علينا عمله'.

باول: لا شك أنني أعرف ما تقصده'.

ومن الجدير بالذكر، أن باول قال في كتابه: 'كنت على علم بأن هناك طواقم صواريخ إسرائيلية موجودة في حالة تأهب تنفيذي، ومن يعرف ما هيّة الرؤوس التي كانت هذه الصواريخ تحملها'.

براك: "هناك قوة تنفيذية جوية وبرية إسرائيلية على أهبة الاستعداد للعمل ضد الصواريخ العراقية، وستجتاز طائراتنا وهي في طريقها إلى العراق المجالين الجويين الأردني والسعودي، والملك الحسين يعلم بذلك".

باول: "أعلمني الجنرال (شوار تسكوف) - قائد القوات في الخليج - أن السعودية تعارض بشدة، عبور الطائرات الإسرائيلية المجال الجوي السعودي".

براك: "لقد نجحت إسرائيل، حتى الآن، في البقاء نظرا لأننا نعرف كيف نرد، ونشن الحرب كلما تعرضت إسرائيل لخطر على وجودها. ولا شك أن رئيس الحكومة ووزير الدفاع، سيقولان لك نفس الكلام، نحن سنبادر إلى العمل إذا ما تواصل سقوط الصواريخ علينا".

حاول باول تهدئة روع براك، وكشف له النقاب عن أن القوات الأميركية الخاصة (قوات دلتا) وقوة خاصة بريطانية (اس إيه اس) انضمتا إلى الجهد الخاص بتدمير الصواريخ، وتحدث عن الالتزام الأميركي العميق تجاه الأمن الإسرائيلي، وأهاب براك قائلا: "دعونا نكمل المهمة".

وعد براك بنقل أقواله إلى وزير الدفاع ورئيس الحكومة، بيد أنه رفض الالتزام بعدم رد إسرائيل على الهجمات الصاروخية العراقية.

وفيما كان الطاقم الإسرائيلي يستعد للعودة إلى إسرائيل، طلب وزير الدفاع الأميركي أن يرافقه إلى لقاء لم يجر الإعداد له مع الرئيس الأميركي، الذي طلب التحدث إليهم.

كان الرئيس الأميركي يعلم بسقوط صاروخ عراقي قرب منزل أرنس، وقد استهل الحديث قائلا: "يجب أن تعرفوا أن قلبي وقلب الشعب الأميركي معكم، أنا لم أشعر طيلة حياتي بالالتزام بأمن إسرائيل، مثلما أشعر بذلك الآن".

استعرض الرئيس الأميركي الجهود التنفيذية التي تقوم بها القوات المتحالفة في الخليج، وقال: لقد بات الهجوم البري وشيكا. وقال: أنه أمر قائد القوات في الخليج أن يعطي الأولوية لتدمير الصواريخ العراقية غربي العراق.

نقل (موشيه أرنس) أقوال الرئيس لاسحق شامير، الذي قرر الاستجابة لطلب بوش، وهكذا واصلت إسرائيل ضبط نفسها.

وقبل انتهاء المعارك توجه براك مرة أخرى بيد أن وجهته هذه المرة كانت بروكسل، وبصحبه رئيس شعبة الأركان داني يتوم، ورئيس مكتبه (يوني كيرن)، فقد أراد المستشار الألماني هلموت كول أن يشكر إسرائيل على ضبط النفس الذي أبدته.

وقد تم نقل الثلاثة من مطار بروكسل في سيارة تابعة للسفارة الأميركية حتى الحدود الألمانية، ومن هناك نقلتهم إحدى السيارات الألمانية إلى العاصمة بون.

بدأ المستشار الألماني ودودا جدا، وقد قدم إليه براك تقريرا قصيرا عن الوضع، وكاد كول أن يخرج عن طوره وهو يعرض إمكانية ألمانيا لتقديم المساعدات لإسرائيل، وقد عرض عليه براك احتياجات إسرائيل، وبعد التشاور مع رؤساء الجيش، أعلن كول: "أن ألمانيا سترسل إلى إسرائيل بطارية باتريوت.



الفصل الثامن عشر

ايهود يتسلم القيادة
سعى إلى ترميم الجيش وتشكيل هيئة أركان نمطية

في الأول من نيسان ١٩٩١ ودع الجيش الإسرائيلي رئيس هيئة الأركان السابق دان شومرون، واستقبل الرئيس الجديد إيهود باراك.

كان الجيش الإسرائيلي في تلك الآونة، يعاني من مشاكل خطيرة للغاية، خصوصاً على صعيد صورته ومعنوياته. فالانتفاضة التي كانت لا تزال متواصلة، منذ ثلاث سنوات ونصف السنة دمرت صورته كجيش قادر على فعل كل شيء. لقد كشفت المواجهات المستمرة للجيش مع راشقي الحجارة، والمثلمين، النقاب عن الارتباك الذي يعيشه الجيش الإسرائيلي والصعوبات التي يواجهها في هذه الحرب الجديدة التي فرضت عليه.

ولم تتوقف وسائل الإعلام العالمية-التي لم تكف عن كيل المديح له، في الستينات والسبعينات-عن مهاجمته، ومهاجمة جنوده الذين، أصبح شغلهم الشاغل مطاردة الصبية في الأزقة والحارات في نابلس والخليل وغزة، وصورته في صورة (دواد) العبري الحديث الذي يواجه (جوليات).

أضف إلى ذلك، أن عدم مبادرته إلى الرد إبان حرب الخليج، رغم عشرات الصواريخ، التي أطلقها العراق على إسرائيل، دمرت قدرة الردع الإسرائيلية. وإزاء توقع الضباط الإسرائيليين ضرورة الرد الإسرائيلي على الهجمات العراقية، فقد حدث شرخ في صورة الجيش الإسرائيلي على الصعيدين الداخلي والخارجي.

أدى تسلم إيهود باراك لرئاسة هيئة الأركان وقيادة الجيش، إلى حدوث توقعات واسعة لإحداث تغيير درامي في صفوفه. لقد كان الجيش في أمس الحاجة إلى قفزة نوعية، على صعيد وسائل القتال، والتي أخذت تصبح أغلى رويداً رويداً، فالدبابة الحديثة أصبحت في الآونة الحالية تساوي ثمن طائرة قبل عشرين سنة، فالطائرة الحديثة تساوي في الآونة الحالية مبلغاً يتراوح بين ٤٠-٨٠ مليون دولار.

وهكذا، كان على إيهود باراك، أن يكرس جهده وعمله لجانبين هامين يسيران جنباً إلى جنب، أولاً أن يبني خطة تقليصات مؤلمة ومصيرية على صعيد

النفقات، ومن الناحية الأخرى، كان عليه أن يعمل على تجهيز الجيش بأسلحة حديثة، وتحسين كفاءته القتالية. ورغم أن وسائل الإعلام أكترت، في تلك الآونة، من الحديث عن مقولة تنسب لبراك: "جيش صغير وذكي"، إلا أنه لم يطلق أي تصريح بهذا الصدد أبداً.

لقد أراد براك جيشاً كبيراً وقوياً وذكياً، بيد أن الموارد الإسرائيلية لم تكن تسمح له بالاحتفاظ بجيش كبير، مما ألزم براك بقصر، مهمته على المهمة الصعبة والمؤلمة.

اختار براك أن يستهل الوضع بصورة غير طبيعية، فعقد اجتماعاً لجميع ضباط الجيش الإسرائيلي من رتبة مقدم فما فوق، وليعرض أمامهم المخطط الذي يعتزم تنفيذه. وفي السابع من نيسان ١٩٩١، كان مبنى الثقافة في تل أبيب يخصص بهم.

صعد إيهود إلى المنبر، وبدأ يتحدث عن الأهداف، والاختبارات، والانتصارات وحوادث العمل، وحوادث الطرق. وعن الواجب الذي يتحمله القادة في جميع المستويات، والمتمثل في ألا يعود الأبناء الذين ربتهم أمهاتهم حتى سن الثامنة عشرة من الجيش في توابيت، وأعلن في نهاية الاجتماع، عن شن حرب لا هوادة فيها، ضد حوادث العمل والطرق.

وصل إيهود إلى قيادة الجيش على أهبة الاستعداد والجاهزية، كانت الأخيرة التي يحملها في جعبته تفص بالأفكار، كان يرغب أولاً، في إعادة الشعور بالفخر والثقة الذاتية إلى الجيش ومعالجة القضايا ذات العلاقة بالحوافز، وكسر ظاهرة الحراس التي تمت في عهد الانتفاضة.

وكانت أولى المهام التي وضعها نصب عينيه هي موقف التساقط من الخدمة الدائمة. لقد كانت هذه الظاهرة خطيرة بصورة خاصة في أوساط قادة الكتائب. فالضباط المتميزون، والذين يعتبرون العمود الفقري للجيش، لم يعودوا يرون أن مستقبلهم يكمن في الخدمة العسكرية.

كان براك يعتقد جازماً أنه ودون هؤلاء القادة، فإن قدرة القيادة والتفكير المستقبلية في الجيش ستتضرر. توجه براك إلى هؤلاء الضباط وجلس معهم، وتساءل عن سبب عدم رغبتهم في إكمال الخدمة؟ لماذا لم يعد الجيش يجذبهم مثلما كان عندما كانوا ضباطاً صغاراً؟

واستمع براك إلى شكواهم حول الأجور، وحول شروط الخدمة، وعدم توفر السيارات للعودة إلى المنزل أيام الإجازات، كما أن سيارات (التندر) التي يستخدمها الضباط تشبه السيارات التي تستخدمها شركة الهواتف، وهو الأمر الذي يشعروهم بالمهانة إلى حد ما. وتحدث معظمهم عن الدراسة، وعن المستقبل المشرق في الحياة المدنية التي يتوفر فيها قدر أكبر من المال، والشروط الأفضل والكماليات.

وقد أدت المحادثات التي أجراها براك إلى بلورة خطة "أفق" والتي تسمح للضباط بالتوجه إلى الدراسة الأكاديمية، في أي وقت يشاء، في إطار الخدمة الدائمة، وقد جاءت الردود على هذه الخطة ممتازة.

أدت الاتصالات المباشرة والودية جداً، بين رئيس الأركان والضباط الميدانيين، أكثر من مرة إلى توتر مع قادة هيئة الأركان العامة. ولم يجبوا بشكل خاص، التقارير التي كان يقدمها خلال جلسات هيئة الأركان حول الاتصالات التي يجريها مع قادة الكتائب.

وفي إحدى جلسات هيئة الأركان، سمع ضابطين برتبة لواء يقول أحدهما للآخر: لماذا يريد ضباطاً برتبة لواء في هيئة الأركان ما دام يصغي طيلة الوقت لقادة الكتائب؟ فأوقف الحديث وقال لهما: من لا يصغي للكادر الميداني لن يكون بأي حال قائداً للواء أو لفرقة في الجيش الإسرائيلي ولا لدي.

وفي أول مقابلة مع وسائل الإعلام، أعلن براك عن تقليصات حاسمة، بسبب مشاكل الميزانية. ونسبت إليه إحدى الصحف قوله: "كل ما لا يطلق النار سيقلص"، بيد أنه اضطر في بعض الحالات إلى أحداث تقليص أيضاً في الوحدات التي تطلق النار، فقد أمر بإيقاف أحد الأسراب الجوية العاملة وتقليص ساعات

الطلعات الجوية في سلاح الجو، مما أثار جدلا حاميا بينه وبين قائد سلاح الجو، اللواء ابيهو بن نون، كما أثار جدل بينه وبين قائد المدرعات أيضا، حول حل لواء مدرعات نظامي.

وكانت أمام ناظرية في مجال التقليلات أيضا، إذاعة الجيش الإسرائيلي، حيث قال: أنه لا ضرورة لتفعيل إذاعة عسكرية، لا تعمل في الشؤون العسكرية، فهو لم يحب منظر الجنود والضباط العاملين في الإذاعة، وهم يجرون مقابلات بزياتهم الرسمية مع الوزراء. وقال لمنتقديه: "لا أستطيع إجراء تقليلات في الوحدات العسكرية العاملة، وعدم المساس بالإذاعة".

لقد مني براك في عملية التقليل الآخر للإذاعة العسكرية، بخسارة كبيرة، فقد هب مراسلوها لمواجهته، ووصفت محاولته بأنها مساس بحرية التعبير، وأثاروا الدنيا، ولجأوا إلى الوزراء والسياسيين، الذين هاجموا بغالبيتهم براك، وعندما أخذ وزير الدفاع موشيه أرنس يبيدي ترددا، أدرك براك أن فرصته أصبحت ضئيلة.

لقد كان هذا أول درس له في السياسة الإسرائيلية، وليس الأخير. قامت عاصفة أخرى ضد براك حينما حاول إنهاء خدمة اللواء (دورون رابين)، فقد قال له: حسب تقديراته، لن يتم تعيينه قائدا لأحد القطاعات، وأنه يترك له قرار إنهاء خدمته في الوقت الذي يراه مناسباً. ويقال، أن أيهود لم يكن راضيا عن تصرف دورون، إبان عملية (النعيمة) الفاشلة عام ١٩٨٨، وكذلك عن الخطأ التي وضعها للهجوم على العراق.

ورغم أن تقديرات براك، بهذا الصدد، كانت مهيبة بحتة، إلا أن كبار الضباط فهموها على أنها محاولة لبناء هيئة أركان تقوم على خرجي دورية هيئة الأركان أمثال: داني يتوم، عوزي ديان، وعميرام لافين، ونحاميا تماري، وشاؤول موفاز، ويعلون وغيرهم.

لقد أكدت قضية دورون لكبار الضباط في هيئة الأركان، أن هناك عهدا جديدا منذ تولي براك رئاسة الأركان، يختلف عن عهد دان شومرون. وكان الضباط قد اعتادوا أن يؤموا جلسات هيئات الأركان وبأيديهم أوراق أعدوها وسجلوا عليها الأمور والقضايا التي يودون مناقشتها. بيد أنهم فوجئوا، حينما جاءوا لحضور الجلسة بعد تولي براك، بسكرتيره العسكري، يطلب منهم إبقاء الأوراق في الخارج. وعلى الطاولة، وجد كل منهم قلما وورقة للكتابة وجدولا محددا للنقاشات التي ستدور، وكان براك يدير الجلسات بشدة. وعندما يسهب أي ضابط فيما يجب عليه أن يوجز، لم يكن براك يتورع عن لفت نظره لذلك، ومقاطعته قائلا: فهمت، التزم بالقضية الرئيسية. وفي الكثير من الأحيان، عندما كان يرى أن ضباطا يتبادلون فيما بينهم أوراقا تحمل ملاحظات، كان يمسك بها ويمزقها ويلقي بها إلى سلة القمامة وسط دهشة الضباط.

ويقول أحد الضباط من أصدقاء براك القدامى: "لقد طلب منا ذات مرة، أن نستأذن منه إذا أردنا الذهاب إلى دورة المياه أثناء الجلسات ! وذات مرة انتظر صديقه الحميم داني يتوم حتى انتهت الجلسة، وقال له: "لقد بالغت جدا".

وبوصفه، سكرتيرا عسكريا لوزير الدفاع أرنس ورايين، حضر يتوم جميع جلسات هيئة الأركان العامة، ورأى إيهود براك في خطواته الأولى والتي لم تكن دائما مفهومة لكبار الضباط في هيئة الأركان العامة، ولاحظ كيف بدأ الجيش يتحول من الليبرالية التي شهدناها في عهد دان شومرون إلى عهد إيهود براك المبرمج، والذي بدا في الكثير من الأحيان يحلق إلى ما خلف الأفق، ويجد صعوبة في فهم كيف لا يستطيع أعضاء هيئة الأركان تفهمه فورا.

وشهد يتوم أيضا، أول مواجهة بين وزير الدفاع موشيه أرنس، ورئيس الأركان إيهود براك. فبعد إحدى العمليات ضد إسرائيل قدم أرنس إلى المنطقة، ونشب بينه وبين إيهود نزاع حول عدم سماح إيهود للمستوطنين بإقامة مستوطنة جديدة محل العملية.

ولم يتمكن براك من تشكيل هيئة أركان الأحلام التي كان يتمناها إلا في السنة الثالثة لتوليهِ رئاسة الأركان والتي ضمت: مظليين، ودورية هيئة أركان، وسلاح الجو ولواء جولاني.

أما خريجو دورية هيئة الأركان فكانوا (عوزي ديان)، (عميرام لافين)، (نحاميا تماري)، (داني يتوم). وممثلو المظليين كانوا (أمنون ليفكين شاحك)، (متان فلنائي)، و(يورام يائير)، و(شاؤول موفاز)، و(شموئيل أراد). وكان هناك ثلاثة ألوية من سلاح الجو: (هرتسل بودينجر)، و(ران جوران)، و(جورا رام). أما لواء جولاني فأرسل إلى هيئة الأركان (أوري ساغي) رئيسا لشعبة الاستخبارات العسكرية، و(إيلان بيران) قائدا للقطاع الأوسط، و(جابي أوفير) قائدا لمنطقة الضفة الغربية. وانضم إلى هيئة الأركان فيما بعد موشيه يعلون من المظليين.

كانت العلاقات بين براك ونائبه أمنون شاحك جيدة، بصورة عامة، رغم محاولات البعض دق أسفين بينهما، فقد منحه براك تأييده طيلة فترة عملهما معا. أضف إلى ذلك، كان براك على عكس طبيعته يولي الكثير من الاهتمام لما يقوله نائبه خلال الجلسات.

وبوصفه رئيسا للأركان أدار براك خطة التسليح المستقبلية للجيش الإسرائيلي، وفي بعض الأحيان قادت هذه الخطة إلى مواجهات مع أعضاء هيئة الأركان. وقد وقعت أشد هذه الخلافات مع قائد سلاح البحرية، اللواء ميخارام. فقد قال براك أن على الجيش الإسرائيلي أن يتجهز بزوارق حربية، بيد أن رام عارض ذلك قائلا: يجب أولا أن نتجهز بزوارق حربية، أما الغواصات فتحتل المكانة الثانية. فعمد براك إلى تشكيل لجنة لدراسة الوضع، فأوصت بالتجهز بزوارق صواريخ. وقد قبل براك القرار وهو يتميز من الغيظ، بيد أنه واصل البحث عن مصادر تمويل للغواصات.

وفي إطار سياسة الذراع الطويلة، قاد براك النقاشات حول خطة تجهز سلاح الجو، وكان السلاح لا زال حائرا بين طائرتي (اف-١٨) المحسنة، وطائرة

(اف-١٥ إي) الحديثة والتي كانت تعتبر أفضل طائرات في العالم. وبالتعاون مع قائد السلاح وجه براك الأمور باتجاه شراء طائرة (اف-١٥ إي) وقد اتضح في مرحلة معينة أن الولايات المتحدة ترفض بيع الطائرات نظرا لاشتمالها على تجهيزات جوية حديثة خاصة بسلاح الجو الأميركي بسبب معارضة الكونغرس للبيع.

بيد أن براك لم يتخل عن الفكرة، وفتش عن فكرة خلاقة، فأرسل إلى الولايات المتحدة بودينجر لتجربة الطائرات المختلفة في مصانعها، كما سافر هو إلى الولايات المتحدة، وطار في طائرة (اف-١٨) حديثة في إحدى قواعد سلاح الجو الأميركية السرية. وفي نهاية المطاف تم الاتفاق على شراء الطائرات دون أجهزة الرادار، على أن تقوم إسرائيل بتركيب جهاز رادار من إنتاج شركة البيط الإسرائيلية.

الفصل التاسع عشر

براك وحادثة "تسليم"
أعد خطة لاغتيال الرئيس العراقي
لكن حادثة التدريب لطخت سمعته

بعد فترة وجيزة من تولي (اسحق رابين) منصب وزير الدفاع، وجد
اليهود براك نفسه غارقاً في خضم كارثة تدريب، ترفض انعكاساتها وأثارها
الزوال من أمام ناظريه وناظري الآخرين حتى الآن.

وقع الحادث في الخامس من تشرين الثاني ١٩٩٢ في معسكر
التدريب (تساليم). ففي حوالي الساعة السادسة صباحاً، هبطت في المعسكر
طائرتا هيلوكبتر وترجل من الطائرة الأولى - وهي من طراز سيفن، المخصصة
لنقل الشخصيات الرفيعة - رئيس هيئة الأركان يهود براك، ونائبه أمنون شاحك،
ورئيس مكتبه بني ليفي، ورئيس شعبة الاستخبارات العسكرية أوري ساغي
ورئيس مكتب رئيس الأركان حاييم مندل شيكد. وترجل من الطائرة الثانية اللواء
عميرام لافين، شموئيل أراد رئيس شعبة العمليات في هيئة الأركان، والعقيد (أ)
من شعبة العمليات، وقائد دورية هيئة الأركان.

اتجهت الجماعة بسرعة سيرا على الأقدام، باتجاه تلة الرقابة الواقعة
على بعد حوالي خمسمائة متر من مكان هبوط الطائرتين. وقد قاد المجموعة
عميرام لافين. وهناك وجدوا الرائد (ك) وهو نائب قائد الدورية بانتظارهم. وقد
شرح لهم طبيعة المناورة التي سيتم إجراؤها، وقال أن المناورة ستتم، بادئ ذي
بدء دون نيران، ثم بعد ذلك باستخدام النيران.

تحدث (ك) مع قائد القوات بجهاز الإرسال، وقال: بدأت المناورة. كانت
هناك قوة من مقاتلي الدورية على بعد خمسمائة متر منهم، والتي كان يفترض
أن تلعب دور العدو في المناورة.

وفي حوالي الساعة ٦،١٣ سمع صفير ضعيف، ثم صفير آخر، ثم
صوت انفجارين الواحد تلو الآخر، وتصاعد سحب دخان صغيرة. لم يستوعب
أي من الموجودين طبيعة ما يحدث، وكان (ك) هو أول من استوعب ذلك، فأخذ
يصرخ في جهاز الإرسال: "أوقف النار، أوقف النار".

قفز (ك) إلى سيارة جيب وانطلق بها بأقصى سرعة إلى مكان الانفجارين، ومعه بعض الضباط في حين انطلق البقية ركضاً باتجاه مكان الانفجار.

كان (ك) أول من وصل إلى مكان الانفجار، فشهد خمسة جنود غارقين في دمائهم والى جوارهم عدد آخر من الجرحى، ولاحظ (ك) أن أربعة من الخمسة ميتون، وهم: ملازم أول (العاد شيله)، والقيب (شيمري شيفرن)، والقيب أول (أرييه كوهين)، والقيب (شارون تميز). وبالقرب منهم كان الرقيب أول (عران فيكسلباوم) في طور النزاع.

طلب رئيس الأركان من رئيس مكتبه. التأكد من أنه تم استدعاء طبيب وطاقم طبي فتأكد من أن طبيب الدورية في طريقه إلى القاعدة، وأن طاقماً طبيًا من قاعدة "تسليم" المجاورة في طريقه هو الآخر للقاعدة.

شرع الطبيب الذي وصل بعد عدة دقائق مع عدد من الجنود، في محاولة لإنقاذ حياة (فيكسلباوم) دون جدوى، كانت الإصابة الصاروخية مدمرة تماماً. لم يكن الجريح في وضع يسمح بنقله إلى طائرة الهيلوكبتر أو إلى المستشفى. أضف إلى ذلك أن الطاقم الطبي كان مجهزاً كما يجب، وبذل كل ما في وسعه.

توجه العميد (شموئيل أراذ) إلى رئيس الأركان وقال له: أن هناك خمسة قتلى، وخمسة جرحى، وأن جراح بعضهم خطيرة، وطلب أن يعرف فيما إذا كان قد تم إعلام سلاح الجو وشعبة العمليات بذلك، وفيما إذا كانت الطائرات في الطريق إلى المعسكر؟؟ فقال براك: نعم الأمر كما تقول.

في هذه الآونة، وصل إلى المنطقة الطاقم الطبي الذي تم استدعاؤه، وكان يضم طبيباً آخر وممرضين، وتمت معالجة الجرحى بصورة أولية، وإعدادهم للنقل في الطائرة.

براك: أين الطائرات؟؟

مندل: هي في الطريق، ثلاث طائرات، اثنتان من طراز (أنفا) وواحدة من طراز (يسعور).

وفي الساعة ٦:٤٥ وصلت طائرة (أنفا)، بيد أن الطائرة لم تلاحظ الدخان الذي أطلق كعلامة على مكان الهبوط، وممرت من فوق الجنود، الذين اعتقدوا خطأ أن الطائرة هي طائرة رئيس الأركان، يغادر المكان. وقد هبطت الطائرة في المنطقة الجنوبية، ثم جرى توجيهها بجهاز الاتصالات إلى مكان الحادث. وفي الساعة ٦:٥٥، هبطت الطائرة في مكان الحادث، وهبطت بعدها طائرة أخرى تحمل طاقما طبييا. فتم وضع الجرحى فيهما.

حاول ايهود براك، أن يستوضح كيف وقع الحادث؟؟ فقال له ضباط في دورية هيئة الأركان، أن الضابط النقيب (أ) المسئول عن إطلاق الصواريخ مصاب بصدمة، وهو يجد صعوبة في الكلام، ويقول المرة تلو الأخرى أن عليه أن يطلق الصواريخ، ونسي أن المناورة الأولى دون نيران، وكل ما كان عليه عمله هو أن يتصل ويقول أنه أطلق الصاروخين، وقام بإطلاق الصاروخين فعلا.

أشرفت الشمس على (تسليم)، وأراد براك الاتصال بوزير الدفاع لإعلامه، بيد أنه لم يتمكن من الاتصال به من مكانه، فابتعد هو ورئيس مكتبه عدة عشرات الأمتار، بيد أنه لم يستطع الاتصال.

بدأ توتر براك يزداد، وتساءل: لماذا لم تفلح طائرتا الجرحى؟ فقليل له أن الأطباء طلبوا ذلك، وأن جميع الجرحى في الطائرتين. ثم أفلعت الطائرة الأولى.

وبعد لحظات تمكن براك من الاتصال برايين: "وقعت كارثة، مما يضطرنا إلى إرجاء تنفيذ الأهداف الآن، بعد قليل سأقلع إلى تل أبيب، ومن هناك إلى مكتبك، لدينا خمسة قتلى وجرحى".

استدعى براك (عميرام لافين)، و(أوري ساخي) وقال لهم: "ابقوا في المنطقة، حتى الانتهاء من معالجة القضية. وقبل مغادرتكم أجريا تحقيقا لمعرفة

ملابساته. ثم تعالا إلى مكتبي. أفلعت طائرة ايهود براك حوالي الساعة ٧:١٥ أي تقريبا في نفس الوقت الذي أفلعت فيه طائرة (اليسعور) حاملة الجرحى.

ويقول العميد (شموئيل اراد)، الذي كان طيلة الوقت مع براك، وملازما له: براك لم يهرب أبدا، وخصوصا في (تسالييم) وحسب اعتقادي أنه عمل كل ما يتوجب عليه عمله لمعالجة القضية.

كلف براك (أمنون شاحك) بالعمل على تشكيل لجنة للتحقيق في الحادث. واقتراح عليه أن يعين رئيسا لها اللواء احتياط (مناحم عينان)، وعضوية المحامي (أمنون جولد نبيرج) من النيابة العسكرية، والعميد (شاؤول موفاز) والعقيد (احتياط ايشلوم حورن)، والعقيد احتياط (رائي ايزنبرج). وهكذا بدأت لجنة عينان التحقيق.

في تلك الآونة، كانت الرقابة العسكرية الإسرائيلية قد فرضت تعتيما تماما على وجود رئيس الأركان ونائبه أثناء الحادث، بيد أنها اضطرت للإعلان عن ذلك إثر قيام جريدة (نيويورك تايمز) بنشر نبأ مفاده أن رئيس الأركان ونائبه، واللواءين ساغي ولافين، كانوا في (تسالييم) وقت الحادث، والمحت إلى أن الأمر يتعلق بعملية كبيرة كانت دورية هيئة الأركان ستقوم بها، بيد أنها أرجأتها الان بسبب الحادث، وقد جمع براك المراسلين الصحفيين وتحدث معهم حول الحادث ولم يخف تواجده، وقال أن إخفاء تواجده في البداية كان لأسباب تتعلق بالأمن الميداني.

وبعد عدة أيام، نشرت مجلة (الصندي تايمز) البريطانية نبأ جاء فيه: "أن العملية التي كانت دورية هيئة الأركان تجري مناورتها، هي إحدى أكبر وأجراً العمليات التي ستنفذها دورية هيئة الأركان، وهي تتعلق باغتيال الرئيس العراقي صدام حسين. وأن الصاروخين اللذين أصابا الجنود، كان من المفروض أن يصيبا صدام حسين إبان قيامه بجولة.

لقد كانت هذه الكارثة، أصعب ضربة تصيب إيهود براك طيلة حياته،
فرغم أنه لم يكن المسئول المباشر عن وقوعها، إلا أنه كان يتحمل المسؤولية
العامة عنها.

وفي الوقت الذي واصلت فيه لجنة عينان تحقيقاتها، واصلت مجلة
(الصندي تايمز) شرح ما وصفته بالخطأ السرية لتصفية صدام حسين.

وتفيد المجلة بأن الإعداد للعملية بدأ بعد عدة أسابيع من انتهاء الحرب،
فقد شعر رئيس الحكومة اسحق شامير ووزير الدفاع موشيه أرنس أن الرئيس
الأميركي جورج بوش أضاع فرصة كبيرة ولن تتكرر لتصفية صدام حسين، لذا
قررت إسرائيل استكمال المهمة، التي فشلت فيها الولايات المتحدة.

وفي شتاء ١٩٩١، بدأ الإعداد للعملية، فعين براك اللواء عميرام لافين
مسؤولاً عن مشروع العملية. وقد طلب منه أن يدرس ما إذا كان هذا المشروع
قابلاً للتنفيذ وكيف؟؟

جاءت نتائج الدراسة الأولى إيجابية، واعتقد لافين، أن بالإمكان تنفيذ
العملية. فطلب منه براك الحفاظ على السرية التامة. ولم يتم إعلام سوى نائب
رئيس الأركان امنون شاحك، ورئيس شعبة الاستخبارات أوري ساغي، وعدد من
كبار الضباط والذين كانت لهم صلة بعملية الإعداد للعملية. وقد اتخذ براك قراراً،
بأن تقوم دورية هيئة الأركان بالتنفيذ.

كلف رئيس الأركان، لافين، بربط جميع الخيوط وكان لافين يدرك، أن
بمقدوره الاستعانة ببراك وشاحك وهما ضالعان في هذا المجال في أي وقت
يشاء، بيد أنه اختار العمل وحده.

أدى تعيين لافين إلى خلق نوع من التوتر بينه وبين رئيس شعبة
الاستخبارات العامة أوري ساغي، الذي قال أن هذا النوع من العمليات
هو من اختصاص شعبته كما أعرب عن احتجاجه لإشراك دورية هيئة
الأركان في العملية.

أدت الاحتكاكات بين الاثنين، إلى وضع عراقيل على صعيد الإعداد للعملية. فأوري ساغي ضابط كفاء وذكي، وقادر على التفكير الصائب، بيد أنه يصبح، في بعض الأحيان، غير مريح، وقد أخذ يشكك في مدى نجاح العملية، ويقول أن العمليات الأخرى التي يعكف هو على الإعداد لها، أكثر أهمية من هذه العملية.

عرضت الخطة على وزير الدفاع موشيه أرنس، فوافق عليها، وأمر بمواصلة الإعداد. وفي حزيران ١٩٩٢، تسلم اسحق رابين منصب رئيس الحكومة ووزير الدفاع. وفي إحدى جلسات العمل، شرح براك لرابين العملية، فأبدى اهتماما كبيرا وأمر بمواصلة الإعداد بكامل السرعة والطاقة. وفي أعقاب قرار رابين، قدم رئيس الأركان ونائبه والحاشية آتفة الذكر إلى (تسليم) لمشاهدة مناورة حول تنفيذ العملية.

لم يكن براك يشك للحظة، في أن المناورة مثل جميع المناورات الأخرى-ستجري وفقا للأسس التي وضعها، عندما تسلم رئاسة الأركان، وعلى رأسها السلامة، وأن هناك ضابط أمن للعملية. ولم يكن يعلم أن قضية السلامة، التي أمر بها، لم تطبق بما فيه الكفاية، في هذه العملية لدى جميع القائمين على العملية بدءا من قائد العملية عميرام لافين وحتى آخر جندي من الجنود المشاركين. ولم يكن يعلم أن الرائد (ك) نائب قائد الدورية وقائد المناورة لم يعين ضابط أمان، وهو الأمر الذي كان بمثابة خطأ مصيري.

وكانت الخطة تنص على أن يقوم طاقم الجنود الذي يمثل العدو بإخلاء المنطقة فور إجراء الجزء الأول من المناورة وهو الجزء الذي سينفذ دون ذخيرة- وبعدها يتم تنفيذ العملية بالذخيرة، وبعد أن يتم التأكد من أن المنطقة خالية من الجنود.

لقد كان على النقيب (أ) المسئول عن القصف والذي شارك في عشرات العمليات قبل ذلك، أن يدرك أن الجيش الإسرائيلي لا ينفذ أبدا مناورة بالذخيرة الحية، قبل تنفيذ مناورة مماثلة دون استخدام الذخيرة.

وفي صبيحة يوم التنفيذ بدا النقيب (أ) شديد الإرهاق، فهو لم ينام ليلة
الأمس، ويقول في الشهادة التي أدلى بها أمام لجنة التحقيق، أنه أعلم الرائد (ك)
بأنه شديد الإرهاق، فقام (ك) بإعلام لافين، ألا أن لافين أمر بمواصلة المناورة.
وبعد خمسة أيام، قدمت لجنة عينان نتائج التحقيق إلى وزير الدفاع
ورئيس الأركان.

لم يكن براك قد نام ليلة واحدة طيلة الأسبوع الماضي، فمنذ بداية
الأسبوع وقعت سلسلة من العمليات الشديدة، وقام المسلحون في جنوب لبنان
بإطلاق مائة وأربعين صاروخ كاتيوشا على الشمال الإسرائيلي، مما جعله يصل
إلى مقر لجنة التحقيق بصعوبة بالغة.

توصلت اللجنة إلى نتيجة مفادها، أن المسؤولية المباشرة تقع على عاتق
الرائد (ك) قائد المناورة، والنقيب (أ) المسئول عن إطلاق الصواريخ، كانت هذه
المسؤولية في إطار المسؤولية الأولى، أما على صعيد المسؤولية الثانية، فيأتي دور
عميرام لافين، بوصفه المسئول الأول عن العملية كلها.

وفي الشهادة التي أدلى بها لافين، أمام اللجنة، قال: قررت الاستقالة من
جميع المناصب التي أتولاها. لأنني أعلى رتبة مسئولة عن العملية، وقد وافق
رئيس الأركان على ذلك. ولا أستطيع أن أتهرب من مسئوليتي، لذا قررت أن
أقول لكم ذلك منذ البداية، وأن لا أنتظر أي قرار".

وإضافة إلى تحقيقات لجنة عينان، أخذت شرطة التحقيقات العسكرية
تحقق في الحادث، بدءاً من رئيس الأركان وحتى آخر الجنود، ولم تترك زاوية
من زوايا الأمن، دون أن تتطرق إليها وتعالجها. وقد قام الرائد (ك) واللواء
عميرام لافين وأوري ساغي باستخدام محام خشية أن تقدم النيابة العسكرية
ضدهما لوائح اتهام. بدأ لافين يشن حرباً شديدة دفاعاً عن سمعته، وتصرف فعلاً،
مثلما يفعلون في الحرب، فأنكر ما سبق أن قاله حول مسئوليته عن الحادث، وبدأ
يدفع بالمسؤولية باتجاه اللواء أوري ساغي.

لقد تبنى ايهود براك، جميع ضباط دورية هيئة الأركان، وكان أول من يبشرهم بترقياتهم، بمن فيهم اللواء عميرام لافين. وذات مرة سمع براك أن قائد القطاع الشمالي رفائيل ايتان، فرض فيتو على ترفيع لافين، إلى رتبة قائد كتيبة مدرعات وبرر ذلك بالقول أنه سمع صوت لافين في جهاز الإرسال، إبان حرب ١٩٧٣، وخلال عملية تخلص الجنود الإسرائيليين، من جبل الشيخ، وهو يرتعد أثناء توزيعه الأوامر. وقال ايتان: إن الضابط الذي لا يثق بنفسه، لا يمكن أن يقود كتيبة مدرعات.

هب براك لمساعدة لافين، وتوجه إلى رئيس الأركان مردخاي جور، بيد أن جور كان يميل إلى عدم التدخل، وقال لبراك: لقد اتخذ رفائيل قراره، وأنت تعرفه حينما يتخذ قرارا يصعب إثناؤه عنه.

براك: مردخاي، ما هذا الهراء. يمكنك أن تقول لي أنه لا يتسم بالجرأة، لقد رأينا كيف يعمل تحت القصف والنيران إنه ضابط شجاع بصورة نادرة، وقائد متميز، ولا يمكن القول بعدم ترقيته، فقط لأن صوته بدا في جهاز الإرسال ليس جيدا، لقد وقع الحادث إبان عملية فظيعة في جبل الشيخ، والتي يمكنها أن تؤثر على صوت أي إنسان.

وبعد عدة محاولات إقناع، وعد مردخاي بالتحدث مع ايتان، وبعد فترة قصيرة عين لافين قائدا لكتيبة، ثم قام ايتان نفسه بتعيينه، بمبادرة منه، قائدا للواء دبابات.

وخلال شهادته أمام اللجنة، حاول لافين أن يسدّد الحسابات القديمة بينه وبين ساغي، فقال: أنه حاول إخفاء معلومات تتعلق بالعملية، وأنه وضع العديد من العراقيل على طريق التنفيذ.

بيد أن المحققين لم يكونوا مهتمين بهذه التهم، بل كانوا مهتمين بالجهة المسؤولة عن السلامة، وبصلاحيات كل طرف في إعداد العملية.

وقد انتهت التحقيقات بتوصية الشرطة بتقديم الرائد(ك)، والنقيب(أ) إلى المحاكمة العسكرية بتهمة التسبب بالوفاة، بالإهمال. وتوبيخ اللواءين لافين

وساغي إداريا. وقد تم نقل نتائج تحقيق لجنة لافين وشرطة التحقيقات العسكرية، إلى النائب العسكري العام، ايلان شيف، الذي فاجأ الجميع في أيلول ١٩٩٣-أي في أوج الأحداث التاريخية لاتفاقيات أوسلو، بالمطالبة بمحاكمة (ك وأ) وأيضا اللواء لافين، وتوبيخ ساغي إداريا.

وقد احتج لافين: وطلب الاجتماع برابين وقال له: أن هناك مؤامرة تحاك ضده وطلب إعادة سماع أقواله. كما احتج العديد من كبار الضباط، على قرار النائب العسكري، فتم إكمال القضية إلى لجنة قضائية، والتي أعادت سماع كل من أراد الإدلاء بشهادته.

وفي السابع والعشرين من شباط ١٩٩٤، أعلن (ستيف) نتائج التحقيقات المعدلة، واتضح أن الاتهامات ضد (ك وأ) بقيت على ما هي عليه، وأنهما سيقدمان إلى المحاكمة العسكرية، بتهمة التسبب بالوفاءة بالإهمال، واستخدام السلاح بصورة غير حذرة.

وقد تمت محاكمة الاثنين، ووجدتهما المحكمة مدانين، ولم توجه إلى اللوامين الآخرين أي تهمة. بيد أنها أقرت توبيخهما إداريا.

لم يرض قسم من ذوي الجنود عن النتائج المذكورة في الكارثة التي أسميت "تساليم الثانية" واصلوا تقديم الدعاوى ضد اللواء لافين الذي اعتبروه مسئولا عما حدث.

لقد مسست حادثة تساليم الثانية ببراك مسا خطيرا، ليس لأنها فقط خربت الهدوء الداخلي الذي كانت هيئة أركان الاحلام التي شكلها تحظى بها، بل لأنه لم يتصور وقوع مثل هذا الحادث في الفترة التي يشغل فيها هو، منصب رئيس هيئة الأركان.

الفصل العشرون

فرص السلام ورعب العنف
براك عرض خطة إبعاد زعماء حماس والجهاد

لم تصرف أحداث (تسالييم) رغم صعوبتها- نظر رئيس هيئة الأركان والجيش عن الخطر الحقيقي- خطر الإرهاب.

ففي مطلع كانون الأول ١٩٩٢، كثرت تحذيرات أجهزة الأمن والاستخبارات الإسرائيلية من مغبة حدوث عمليات، لا سيما من طرف حركة حماس، التي كان يتوقع أن تبادر لاختطاف جنود إسرائيليين. ورغم ذلك، تمكنت إحدى خلايا الحركة بتاريخ ١٣-١٢-١٩٩٢، من اختطاف أحد أفراد حرس الحدود ويدعى نسيم توليدانو، بينما كان في طريقه من المنزل إلى القاعدة. وقد طلب المختطفون، أن تطلق إسرائيل سراح زعيم حركة حماس، الشيخ أحمد ياسين، ومئات النشطاء المعتقلين. غير أنه تم العثور، بعد ذلك بيومين على جثة الجندي في طريق القدس-أريحا.

في تلك الأثناء، اجتمع المجلس الوزاري في جلسة طارئة. وقد اعد براك بالتعاون مع جهاز الأمن، خطة تنص على طرد ٣٤٠ نشيطا من حركتي حماس والجهاد الإسلامي. ولقد أيد رئيس الحكومة، اسحق رابين الخطة، وصادقت عليها الحكومة رغم معارضة وزراء ميرتس- شولاميت الوني، يائير تسبان وأمنون روبنشتاين، وامتناع وزير العدل دافيد لبائي عن التصويت.

وعليه، قام جنود الجيش الإسرائيلي بحملة مدامات واسعة، استهدفت منازل نشطاء حماس، وقاموا باعتقال عدد كبير منهم، استعدادا لنقلهم إلى منطقة الشريط الأمني في جنوب لبنان.

كان من المقرر بداية، نقلهم جوا، بيد أن الظروف الجوية، حالت دون ذلك، فاضطروا لنقلهم بالحافلات. ولقد أتاحت رحلة السفر الطويلة، الفرصة، أمام نشطاء حماس، للتوجه إلى محكمة العدل العليا.

وقبل بضعة كيلومترات من وصول الحدود اللبنانية، توقفت الحافلات. كان أمرا من اسحق رابين إلى إيهود براك بالمثل أمام محكمة العدل العليا، ومحاولة إقناع قضاة المحكمة بإتمام عملية الإبعاد، وقد نجح براك في المهمة، وتم إنزال مئات النشطاء في نقطة قريبة من حدود المنطقة الأمنية.

وعلى الرغم من العاصفة الدولية التي أثارها القضية، والضرر الذي لحقته بصورة إسرائيل كان براك على قناعة بأنها كانت خطوة ضرورية، أصابت حركة حماس بالذهول.

تواصلت الضغوطات الدولية واضطرت إسرائيل، بعد بضعة أشهر، للموافقة على إعادة قسم من النشاط المبعدين فيما أبدى رئيس هيئة الأركان براك معارضته لذلك، وزعم بأن إسرائيل غير مجبرة بالخضوع، وأن إعادة نشاط حماس إلى الضفة الغربية وقطاع غزة، سيخلق تصعيدا جديدا في المنطقة. وبالفعل ثبتت صحة هذه التوقعات بعد أشهر قليلة، عندما استقبل العائدون إلى الضفة والقطاع استقبال الأبطال.

كان عام ١٩٩٣ عاما عاصفا، نفذ فيه نشاط حماس في المناطق ومسلحو حزب الله في لبنان عمليات قاسية. وقد شهد شهر آذار على وجه التحديد، موجة عنف عمت أنحاء إسرائيل، حيث قامت خلايا حماس والجهاد الإسلامي غير مرة بزعة أمن السكان، وكانت أبرز نشاطاتها في تلك الفترة، طعن إسرائيليين حتى الموت، وقتل شرطين عقب ذلك رميا بالرصاص، بالقرب من منطقة الخضير، مما أثار المعارضة بزعامة بنيامين نتنياهو، وحدا بها لاتهام اسحق رابين بفقدان زمام السيطرة.

في ظل هذه الظروف، استدعى اسحق رابين يهود براك وقال له: "إذا لم نوقف هذه الموجة فإنها ستصل إلينا".

أخرج براك خطة سرية محفوظة، كانت تنص على فرض الإغلاق التام، حيث لا دخول ولا خروج من وإلى الضفة الغربية وقطاع غزة. وإضافة إلى ذلك، غصت المناطق بوحدات المستعربين وأفراد جهاز الأمن الإسرائيلي، الذين تمكنوا في غضون، بضعة أسابيع، من تصفية ٣٧ مطلوباً. فيما قام العشرات بتسليم أنفسهم.

شهدت جلسات الحكومة مواجهات قاسية بين اسحق رابين ووزراء ميرتس، ووزير العدل، دافيد ليبايتي، الذين لم يسلموا بصلاحيات الطوارئ التي

منحت لأفراد الأمن الإسرائيلي وبالنتائج القاسية التي تمخض عنها الإغلاق. ولقد رأى براك رابين، أكثر من مرة، يفقد السيطرة على نفسه.

وفي الوقت الذي تم فيه قمع موجة العنف بشكل مؤقت، اندلعت المواجهات في لبنان، ففي الثالث عشر من نيسان، قتل ثلاثة جنود جراء انفجار عبوة جانبية على محور دوريات، وعزز مسلحو حزب الله هجماتهم على مواقع الجيش الإسرائيلي وضد الدوريات في جنوب لبنان.

وفي الرابع والعشرين من أيار، سقط خمسة مظليين وليس بتدبير من حزب الله، هذه المرة، فقد تبادلقت قوتان إطلاق النار، في ظروف جوية صعبة، بينما كانتا في طريقهما لتنفيذ عملية. وفيما كان في طريقه إلى جنوب لبنان، علم براك أن وزير الدفاع اسحق رابين ينتظره على مقربة من مكان وقوع الحادث ولدى وصوله صب رابين عليه جام غضبه.

كانت أول مواجهة تتشب بين وزير الدفاع ورئيس هيئة الأركان، فقد اعلم براك، رابين، أنه عين اللواء يورام يائير للتحقيق في ظروف الحادث، غير أن رابين أراد إلغاء التعيين وزعم بأن مهمة التحقيق في (الكارثة)، ينبغي أن تسلم إلى عنصر خارج نطاق الجيش الإسرائيلي.

شعر يهود بنفسه يغلي غضبا، وأعلن لرابين أن عليه البحث عن رئيس هيئة أركان آخر. إن كان لا يثق بالجيش الإسرائيلي وقدرته على التحقيق، في مثل هذه الكارثة.

شعر رابين بالذهول، فالجدل المستمر الذي بلغ مبلغه، جرى على مرأى من قائد القطاع الشمالي، اسحق مردخاي، وعدد من كبار الضباط في القطاع ولواء المظليين. وبعد بضع دقائق، أدرك رابين أنه بالغ قليلا، ثم قال: "يهود على حق. لا ينبغي علينا إخراج ملف التحقيق خارج الجيش الإسرائيلي. ولو كنت رئيس هيئة أركان لفعلت مثله بالضبط".

بقيت الحدود الشمالية في حالة غليان مستمر. ففي الثامن من تموز قتل جنديان من لواء 'جفعاتي'، وسقط، في صبيحة اليوم التالي، ثلاثة مظليين في جبل

سجود، مما حدا بإسرائيل إلى شن هجوم جوي وتوجيه ضربة مدفعية قوية. ولقد تصاعدت حدة التوتر على الحدود وبلغت أوجها بتوجيه قذائف الكاتيوشا إلى "كريات شمونة".

استدعي رئيس هيئة الأركان لحضور جلسة طارئة لمجلس الوزراء، وقد أوصى بتبني رد ساحق، ليس حرباً شاملة على غرار حرب "سلامة الجليل"، بل "ضربة قاصمة"، وإصابة دقيقة لمواقع القيادة، قواعد التدريبات ومعاقل حزب الله. وقد صادق المجلس على الخطة، ودخلت الطائرات والمروحيات المقاتلة إلى العملية، بعد أن تم إنذار السكان بالراديو والمنشورات بضرورة مغادرة المنطقة. ثم بدأت بطاريات المدفعية بتدمير قرى شيعية شمال منطقة الشريط الأمني. وتمركزت قوات مدرعة، مدفعية ومن سلاح المشاة بالقرب من الحدود، كالمادة إلى حكومة لبنان بإمكانية زعزعة أمن بيروت، إذا لم يعم الهدوء "كريات شمونة".

وفي ظل التهديدات بإعادة احتلال جنوب لبنان، تدفق مئات آلاف المواطنين اللبنانيين باتجاه بيروت، وبدأت طائرات سلاح الجو بقصف مواقع قريبة من أهداف استراتيجية في لبنان، مصاف، محطات توليد الطاقة ومنشآت أخرى. شعر رئيس الحكومة اللبناني، رفيق الحريري، بضرورة الاجتماع بالرئيس السوري، حافظ الأسد، وقد ألمحت دمشق إلى واشنطن بوجود ما يمكن الحديث عنه بشأن وقف إطلاق النار.

اعتبرت عملية "يوم الحساب" -باسمها الرسمي- إنجازاً عملياً، لم يترجم إلى نجاح سياسي، غير أن الهدوء عاد إلى "كريات شمونة" ومستوطنات الشمال. وقد كان رئيس هيئة الأركان، يشعر بالرضا إزاء القدرة التنفيذية للجيش، ضرب (الإرهابيين)، مقتل ٦٥ مسلحاً، وفي المقابل انخفاض عدد القتلى الإسرائيليين، حيث قتل جندي واحد وأصيب ثلاثة آخرون بجروح.

وفي الثامن عشر من آب ١٩٩٣، أعلنت شعبة العمليات رئيس هيئة الأركان بسقوط سبعة قتلى من لواء (جولاني) في المنطقة الأمنية شمال لبنان.

وفي غضون بضع دقائق، كان براك وقائد القطاع الشمالي، اللواء اسحق مردخاي في طريقهما إلى المنطقة.

في اليوم التالي، دق صوت الهاتف في منزل براك في ساعة متأخرة من الليل. كان تقريراً جديداً من لبنان حول سقوط جنديين من لواء (جولاني)، وفي ساعات الصباح الباكر، كان براك في طريقه ثانية إلى جنوب لبنان. كان يشعر بالآلم ويحاول مواصلة جنود اللواء لكنه، لم يستطع حبس دموعه.

وفيما كانت المدافع تدوي في الشمال، بدأت في العاصمة النرويجية أوسلو، أول المحادثات السرية بين ممثلين إسرائيليين وفلسطينيين، والتي أجريت رغم التحفظ الذي أبداه مؤيدو بيرس وبيلين ضد رئيس الحكومة ووزير الدفاع، اسحق مردخاي، وقد علم براك من خلال عناصر استخبارية نبأ هذه المحادثات وأبدى تحفظه بداية، بيد أنه سرعان ما دخل إلى صلبها.

تسببت تعقيدات المشاكل الأمنية وموقف رئيس هيئة الأركان، براك بشأن عدم التنازل في النقاط التي يمكن أن تشكل في المستقبل خطراً على أمن الجنود والمدنيين، توترات بينه وبين وزير الخارجية شمعون بيرس أكثر من مرة.

اراد بيرس تسريع المسيرة، وكان يرى أن موجة العنف ستزول عقب اتفاقات أوسلو، لدى الانتقال من الشرق الأوسط القديم إلى الشرق الأوسط الجديد، الذي يرى نفسه مسؤولاً عن بلورته.

وقد عمل براك في تلك الفترة إلى جانب بيرس ساعات طويلة وسمع منه غير مرة انتقادات مبطنة للخطر الشديد الذي يتوخاه رئيس الحكومة، والذي كان يرى أنه لا يقدر الفرصة الكبيرة بالتوصل إلى سلام.

من ناحية ثانية، سمع براك من رئيس الحكومة رابين، أن بيرس ورجاله وعلى وجه الخصوص، أوري سافير، يتنازلون سريعاً. يلهثون ولا يتوقفون، حيث يجب التوقف وإعادة تقييم الوضع. كانت تقديراته، بأنه ينبغي، إلى جانب

فرصة خوض مفاوضات سياسية مباشرة وحقيقية بين إسرائيل والفلسطينيين،
الاستعداد لاحتلال حدوث عمليات.

براك من رئيس لأركان الجيش

إلى رئيس لأركان السلام

أمضى رئيس هيئة الأركان اليوم الذي تم فيه التوقيع على اتفاق أوسلو،
في قطاع غزة إلى جانب قائد قوات الجيش الإسرائيلي العميد (دورون
الموغ)، حيث أعلنت حالة التأهب القصوى، استعدادا لاحتلال حدوث رد
سريع من جانب حماس.

بدأت موجة العمليات في الثاني عشر من أيلول، أي قبل يوم من
المصافحة التاريخية، بين اسحق رابين وعرفات في البيت الأبيض
بواشنطن، حيث قام أحد نشطاء حماس بطعن سائق حافلة في خط (٣٠٠)
بين تل أبيب وعسقلان، فيما قتل عدد من جنود الاحتياط في قطاع غزة
برصاص أفراد حماس.

أدرك براك، رغم العمليات التي وقعت وستقع، أنه أمام مفترق طرق
تاريخي، فتحول بين ليلة وضحاها، من رئيس هيئة أركان يعد الجيش للحرب،
إلى رئيس هيئة أركان يعد للسلام.

شرعت الحكومة الإسرائيلية في الاستعدادات لخوض مفاوضات سريعة
حول تسوية سياسية تؤول إلى انسحاب الجيش الإسرائيلي من غزة وأريحا. وقد
أوضح رئيس هيئة الأركان، لرئيس الحكومة رابين، أن الجيش الإسرائيلي، ينبغي
أن يكون طرفا في المفاوضات، وأن ممثليه يجب أن يكونوا من المستوى الرفيع.

كانت الآراء داخل الحكومة متضاربة بهذا الشأن، حيث زعم شمعون
بيرس أنه ينبغي إبقاء الجيش الإسرائيلي خارج المسيرة السياسية، في حين لم
يخطر ببال اسحق رابين تكليف مدير عام وزارة الخارجية (أوري سافير)
بشؤون الأمن.

تباحث براك مع نائبه اللواء، (امنون ليفكين شاحك)، حول استعدادات الجيش للمفاوضات واختيار ممثليه، وسأله إن كان يرغب في ترؤس الطاقم الأمني المفاوض، بيد أنه رد بالنفي، مشيراً إلى أنه من الأفضل لنائب رئيس هيئة الأركان، المرشح بعد عام لتسلم زمام منصب رئيس هيئة الأركان، ألا يقحم نفسه في مفاوضات لا يوجد إجماع عام بشأنها، ثم سأله براك عن تعيين رئيس شعبة التخطيط اللواء، (عوزي ديان)، فرد بالإيجاب وقال أنه تعيين ممتاز.

خرج براك بعد ذلك للقاء رابين وأطلعته على قراره بشأن تعيين عوزي ديان، رئيساً للطاقم الأمني، كان رابين يعرف ديان جيداً. فهو ابن شقيق موشيه ديان، وقد وافق على تعيينه.

تباحث رابين وبراك حول استراتيجية المفاوضات. وللمرة الأولى، يعرب براك عن خشيته إزاء احتمال حدوث عمليات على محاور الطرق المؤدية إلى (غوش قطيف)، والتي ستبقى معزولة وسط محيط عربي في قطاع غزة.

كانت المشكلة الرئيسية تكمن في مستوطنة (نتساريم) التي تقطن فيها عشرات العائلات المحاطة بمئات آلاف الفلسطينيين، وكانت تقديرات براك بأنه لو كان الائتلاف أكثر قوة، ولا يعتمد على أغلبية عضوي كنيسيت فقط، لكان بمقدور رابين، اتخاذ قرار شجاع وإخلاء (نتساريم)، لكنه لن يستطيع في ظل الوضع السياسي الذي سيعقب الاتفاق، ومقابل غضب اليمين والمستوطنين في المناطق، تحريك أي مستوطنة ولو سننيمترا واحداً.

عاد براك إلى مكتبه، وبعد قليل، اتصل به رابين وطلب منه الحضور.

-رابين: "لماذا لم تقترح على امنون شاحك ترؤس الطاقم الأمني؟".

-براك مندهشاً: "تحدثت مع شاحك وسألته، لكنه لم يكن راغباً في ذلك".

-رابين: "شمعون شيبس (مدير عام مكتب رئيس الحكومة) قال لي أن امنون معني بهذا المنصب". على الفور، استوعب براك ما دار في رأس شمعون شيبس. لم تكن المرة الأولى ولا الأخيرة التي يترك فيها شيبس بضماته على مثل هذه الأمور، فقد حاول قبل ذلك، عندما كان اسحق رابين وزيراً للدفاع، وكان هو

مستشاره، العمل من أجل ترشيح امنون شاحك لرئاسة هيئة الأركان بعد دان شومرون، وعلى أية حال، شعر براك غير مرة، بظل شمعون شيبس في أغلب الأحيان ولكن ليس لصالحه.

رد براك على رابين: "إذا كان شاحك يريد المنصب، فسوف يحصل عليه".

وعندما عاد إلى مكتبه، اتصل براك بشاحك وقال له، أنه اتفق مع وزير الدفاع على تعيينه رئيسا للطاقت الأمنية المفاوض، وقف شاحك حائرا، وأدرك بحكمته أن الفصل بين الجانبين السياسي والأمني، سيكون صعبا وسيكون موضع تفسيرات معادية. ويبدو أن الروحية التي تصرف بها رابين، وربما الفضول للعب دور في حدث تاريخي، غير مسار الأمور، وعلى أية حال، كان براك يشعر بأن المبادرة كانت لمدير عام مكتب رئيس الحكومة، ولا دخل لشاحك أو رابين فيها. وسرعان ما أصبح نائب رئيس هيئة الأركان، الشخصية الرائدة في المفاوضات الأمنية، وقد حرص على استشارة براك وإطلاعه على كل شيء أولا بأول، مما أبقي الثقة قائمة بينهما.

أعرب براك غير مرة، خلال اجتماعاته المغلقة مع رابين وفي رسائله الشخصية، عن قلقه إزاء الطاقم السياسي المفاوض برئاسة مدير عام وزارة الخارجية، (أوري سافير)، الذي يهرول، حسب اعتقاده، ولا يتعمق في المشاكل الأمنية بما فيه الكفاية، حتى إنه، في بعض الأحيان، يتجاهل وبوضوح رأي الجيش الإسرائيلي، ممثلا باللواء (امنون شاحك). كما أوضح لوزير الدفاع، بأن الاتفاق الأمني المتبلور ضبابي للغاية، في القضايا التي يمكن أن توضع على المحك، مثل حق "المطاردة الساخنة"، كما كانت له انتقاداته حول التسويات الخاصة بالحركة في (غوش قطيف)، الدوريات المشتركة وعرض المنطقة منزوعة السلاح، وقد حذرت شعبة الاستخبارات غير مرة، من نية حماس ضرب سيارات على طريق غوش قطيف، وصحت توقعاتها.

ورغم شعوره بإمكانية التوصل إلى اتفاق أممي أفضل، اضطر براك للقبول بما أنجزه الكادر السياسي، ليس خداعاً وإنما من كل قلبه، فقد كان يثق بأنها مسيرة تاريخية لا ينبغي إضاعتها لكن تجسيدها يحتاج إلى يقظة واستعداد أممي دائم.

وفي اليوم الذي أخلى فيه الجيش الإسرائيلي قطاع غزة، دون عثرات، أدرك براك أن أمراً ما حدث في إسرائيل. وفي ذلك اليوم كتب إلى اسحق رابين يقول: "لا يساورني أدنى شك في أن إسرائيل تضع باتفاق "غزة وأريحا أولاً" حجر الأساس لقيام دولة فلسطينية في غزة وأريحا.

ومقابل غبطة وزراء الحكومة، كان رئيس الحكومة ووزير الدفاع رابين، ورئيس هيئة الأركان براك يشعران بالقلق. وخلافاً لشمعون بيرس، لم ينقادا وراء وهم الشرق الأوسط الجديد. فالشرق الأوسط الجديد كان بعيداً، وحماس والجihad الإسلامي أقرب منه بكثير.

في السابع من تشرين أول ١٩٩٣، اجتمع رابين وعرفات في القاهرة وبعد ذلك بيومين، بدأت أعمال العنف القاسية، حيث قتل متزهان إسرائيليان في (وادي القلط)، وقتل بعد ذلك بأسبوعين، جنديان في الاحتياط في (غوش قطيف)، وبعد أربعة أيام، تم اختطاف وقتل مستوطن في (بيت ايل).

في مطلع تشرين الثاني من نفس العام، هوجمت سيارة الحاخام (دروكمان)، مما أسفر عن مقتل السائق وإصابة الحاخام بجروح، وقتل بعد ذلك مستوطن ومربية أطفال من (غوش عتسيون). أما في مطلع كانون أول، فقد قتل مردخاي لبيد وابنه شالوم بالقرب من الخليل، وفي الثاني والعشرين من الشهر نفسه، قتل بالقرب من رام الله إسرائيليان من (بني براك)، وبعد ذلك بيومين قتل المقدم (مائير مينتس) مسؤول العمليات الخاصة لاعتقال المطلوبين في كمين للمسلحين بالقرب من مستوطنة (دوجيت).

في ليلة الثاني عشر من كانون الثاني عام ١٩٩٤، تلقت شعبة العمليات في قيادة القطاع الأوسط، نبأ حول تسلل مسلحين من الحدود الأردنية، فسارع قائد

القطاع، اللواء (نحميا تماري) إلى مطار دوف شمال تل أبيب، حيث كان بانتظاره رئيس مكتبه، صعدا إلى مروحية "سيبان" وحلقا باتجاه غور الأردن. حدث هذا في ليلة عاصفة. وبعد منتصف الليل، قرر قائد القطاع العودة إلى (متسودات كفير) بالقرب من القدس. بيد أن الضباب الكثيف، تسبب في تدني مدى الرؤية، فبدأت المروحية بالتأرجح. أخبر قائد الطائرة اللواء تماري، بأن الرياح شمالية، والضباب كثيف في منطقة الهبوط. كانت تلك آخر الكلمات التي وصلت إلى برج المراقبة، وفي حوالي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، انقطع الاتصال، حاول قائد الطائرة السيطرة عليها. بيد أنها اصطدمت بهوائي قيادة القطاع، ثم سقطت وتحطمت.

في حوالي الساعة الثانية فجرا، دق جرس الهاتف في منزل براك في كوكب يائير، كان رئيس مكتبه، يوني كيرن على الخط الآخر: "رئيس هيئة الأركان، لقد وقعت (كارثة)، مروحية 'سيبان' تحطمت في القطاع الأوسط، وتسبب ذلك في مقتل نحميا تماري.

براك مندهشا: "ماذا تقول؟ هل أنت متأكد؟

يوني: "نعم، قتل نحميا ومعه رئيس مكتبه وطيaron آخرون.

كان نحميا من أحب الضباط إلى براك، عرفه منذ الصغر، عندما كان شقيقه (دوفيك تماري)، قائد دورية هيئة الأركان في الستينات.

في كانون الثاني ١٩٩٤، عين اللواء (داني يتوم) خلفا اللواء نحميا تماري. وقد كان قبل ذلك، السكرتير العسكري لرئيس الحكومة، اسحق رابين، وهذه هي المرة الثانية التي يتسلم فيها زمام قيادة القطاع الأوسط.

مذبحة الإبراهيمي

كانت الكارثة التالية بعد ذلك بحوالي شهر. ففي الخامس والعشرين من شباط ١٩٩٤، أرسلت غرفة العمليات في القطاع رسالة غير واضحة، كانت تتحدث عن مهاجمة عدد من اليهود في ساحة الحرم الإبراهيمي، ووقوع

إصابات- وقد أمر اللواء يتوم، بتجهيز القوات اللازمة، استعدادا للتوجه إلى المكان.

وفي طريقه إلى الخليل، اتصل اللواء يتوم بإيهود براك، وأخبره بأن الحديث لا يدور حول مهاجمة مصليين يهود، بل مصليين عرب في القسم المخصص للمسلمين في الحرم. كان المنظر مريعا. عشرات المصليين العرب يغوصون في دمائهم، عشرات القتلى وعشرات الجرحى، وإلى جوارهم طبيب الخليل. (باروخ غولدشتاين) جثة هامة.

أصيبت الخليل التي كانت تقطنها أقلية يهودية، بصدمة، فمنذ (مذبحة) يهود الخليل في العشرينات، لم تشهد المدينة حدثا بهذه القسوة، لكن الصورة، هذه المرة، كانت مختلفة، فالقاتل طبيب يهودي من نشطاء حركة (كاخ).

بدأت أعمال العنف في المدينة، وقرر يتوم وبراك فرض الإغلاق. بعد ذلك، توجه براك إلى رئيس بلدية الخليل، حيث قدم تعازيه بضحايا المذبحة، الذين بلغ عددهم ٣٠ شهيدا، أعرب عن شجبه واستنكاره، ثم قال: "أنه عمل مقيت، وأتعهد لكم ببذل أقصى جهودنا للحيلولة، دون تكرار ما حدث. وسنتابع مجريات التحقيق في هذه القضية حتى النهاية".

كان رئيس البلدية في حالة ذهول تام، لم يستطع استيعاب حجم الكارثة، براك أيضا، شعر بصعوبة في مواجهة ما حدث وعندما خرج من مكتب الننتشة، اتفق مع اللواء يتوم على مواصلة الإغلاق وتعزيز قوات الأمن، تحسبا لحدوث عمليات انتقامية.

وبعد ذلك، أصدر براك أوامره إلى قائد القطاع، بتشكيل لجنة تحقيق، غير أن الحكومة الإسرائيلية، قررت بعد ذلك، تشكيل لجنة تحقيق يترأسها رئيس محكمة العدل العليا، (مائير شمغار).

كان إيهود، بين أواخر الشهود الذين مثلوا أمام اللجنة، وقد بث قسم من شهادته عبر الراديو والتلفزيون. استعد جيدا لتلك اللحظة، كان يشعر بأنه ممثل الجيش الإسرائيلي كله، الذي يقف على منصة الاتهام بدعوى الفشل في الحيلولة

دون وقوع المذبحة، وقال: "لم نتوقع مذبحة على يد مثل هذا المجنون، ولم نتوقع عملا من هذا القبيل، وأنا أقول، أن الشخص المجنون المستعد لوضع حد لحياته، يمكن أن يقتل مدنيين فلسطينيين أيضا، يمكن أن يسقط طائرة، كما يمكن أن يقتل رئيسا محاطا بحراسة منظمة أمن كاملة.

إنني أترقب ذلك اليوم، الذي يسير فيه الإسرائيليون والفلسطينيون في الخليل بحرية ودون سلاح، دون أن يتوقع الإسرائيلي رصاصة، أو حجرا أو سكيما، ودون أن يتوقع الفلسطيني تحديا أو استفزازا..."

اختطاف وقتل

الجندي فاكسمان

شهد التاسع من تشرين أول ١٩٩٤، وقوع واحدة من أعنف العمليات في تاريخ محاربة المسلمين الفلسطينيين، فقد خرج في ذلك اليوم، الجندي (عشون فاكسمان) من لواء (جولاني)، في إجازة، وتوجه إلى منزل صديقته في الرملة. استقل إحدى سيارات الركوب المجاني، التي كان يجلس فيها ثلاثة شبان فلسطينيين. وبعد بضع مئات الأمتار انقضوا عليه ونجحوا في توثيقه وإغلاق فمه، ثم انطلقوا باتجاه رام الله.

أثار غياب فاكسمان قلق عائلته والمسؤولين في الجيش الإسرائيلي، لا سيما بعد المعلومات الاستخبارية التي تتعلق بنية حركتي حماس والجهاد الإسلامي اختطاف جنود إسرائيليين للمساومة عليهم.

في ساعات الصباح الباكر، وصلت معلومات أولية إلى براك، من شعبة العمليات، تتحدث عن احتمال تعرض الجندي لعملية اختطاف، فدعا إلى عقد جلسة طارئة في مكتبه، حضرها رئيس جهاز الأمن "الشاباك" (يعقوب بيرى)، قائد لواء الضفة الغربية في "الشاباك" (جدعون عزرا)، رئيس شعبة الاستخبارات (أوري ساغي)، رئيس شعبة الأبحاث في قسم الاستخبارات (يعقوب عيدر)، رئيس قسم العمليات في هيئة الأركان (جابي اشكنازي)، المتحدث بلسان الجيش الإسرائيلي (عاموس جلعاد)، رئيس مكتب رئيس الحكومة (يوني كيرن)، وعدد

من كبار الشخصيات في الشاباك، وقد أجمع الحضور على أن الجندي تعرض لعملية اختطاف، من قبل حركة حماس.

بعد بضع ساعات، ثبتت صحة مخاوفهم، فقد أرسل المختطفون إلى التلفزيون الإسرائيلي، شريط فيديو، تم فيه تصوير نحشون فاكسمان في مخابأ، وطالبوا بإطلاق سراح الشيخ أحمد ياسين، الزعيم الروحي لحركة حماس ومئات المعتقلين الفلسطينيين، وإلا فإنهم سيقتلون فاكسمان يوم الجمعة، الرابع عشر من تشرين الأول، الساعة التاسعة.

كان الأمل الوحيد بالنسبة للمحققين، الشريط الذي نقل إلى وكالة الأنباء (رويتر)، والذي نقل بعد ذلك إلى ممثل الوكالة في قطاع غزة.

أصدر إيهود براك أوامره إلى قيادة دورية هيئة الأركان ووحدة مكافحة الإرهاب في الشرطة، بالاستعداد لاحتفال تنفيذ عملية ما. وقد كان جدعون عزرا، قائد لواء الضفة الغربية في جهاز الأمن "الشاباك" أول من تحدث عن احتمال أن يكون فاكسمان محتجزا في مكان آخر غير قطاع غزة، وإن تكون قصة قطاع غزة مجرد محاولة تضليل ليس إلا.

في تلك الليلة، تم اعتقال أحد المشبوهين، وقد اعترف خلال التحقيق معه بأنه تعاون في التخطيط للعملية، وأن الجندي المخطوف محتجز في منطقة رام الله في منزل كبير ومعزول، يعود لعربي مقيم في الولايات المتحدة.

كانت تجمع المتهم علاقات قرابة مع إحدى عائلات الخاطفين الثلاثة. وحسب أقواله، فقد كان حلقة الوصل بين الخاطفين وبقية أفراد الخلية في قطاع غزة، الذين يترأسهم محمد ضيف، أحد كبار المطلوبين للشاباك، وقد أوصل إلى المحققين رسالة تقول، أن الخاطفين يعتزمون تصفية فاكسمان، إذا ما رفضت مطالبهم. وبعدها، رفض التعاون مع المحققين والإدلاء بأي معلومات حول المنزل الذي يختبئ فيه الخاطفون.

أصدر براك أوامره إلى جهاز الأمن (الشاباك)، بالعمل قدر المستطاع، للوصول إلى أي معلومة حول موقع البيت، وتوجه إلى قائد الجيش الإسرائيلي بالضفة الغربية، اللواء (شاؤول موفاز)، وكلفه بالتخطيط لعملية الإنقاذ.

كان أهم مسألة بالنسبة للمحققين كسب الوقت وتضليل الخاطفين ليظنوا بأن رسولهم تأخر بسبب حادث طرق في قطاع غزة، في تلك الأثناء، وصلت إلى (الشاباك) معلومات حول المنزل والغرفة التي يقبع فيها فاكسمان، كان من الواضح أن عملية الاقتحام ستكون معقدة، وأن المدة الفاصلة بين اقتحام الباب والوصول إلى غرفة فاكسمان، قد تكون حاسمة.

أعدت الخطط، وقرر اللواء موفاز تبني خطة دورية هيئة الأركان، وقد صادق رئيس هيئة الأركان على القرار ولم يتدخل في الاعتبارات التي أخذها موفاز في الحسبان، في الوقت الذي احتج فيه على القرار أفراد وحدات الشرطة الخاصة، بينهم نائب قائد الوحدة، الذي كان آنذاك، القائم بأعمال قائد وحدات الشرطة الخاصة- الذي كان في الخارج- وطلب مهلة لإعداد خطة بديلة، غير أن موفاز رفض ذلك.

عقب ذلك، خرج رئيس هيئة الأركان، إلى موقع استعدادات دورية هيئة الأركان. تحدث إلى الجنود عن أهمية العملية ومبدأ عدم الخنوع (للإرهاب) وقال: "أنها مهمة غير عادية، وقد تقع إصابات بين أفراد القوة. لذا عليكم أخذ الحيطة والحذر".

غير أن أمرا ما لم يكن متوقعا حدث فجأة. فقد بعث أحد أبراج المراقبة بمعلومات تتحدث عن سيارة حمراء اللون، تسير باتجاه البيت، ثم تتوقف بالقرب منه. ينزل منها شخص ما، ويبيد كيس يدخل المنزل ثم يخرج دون الكيس، يستقل السيارة ويغادر.

أمر براك بمطاردة المشبوه واعتقاله على مسافة بعيدة من المنزل، ولما تم إلقاء القبض عليه، انهار وانفجر بالبكاء وقال أنه لا علاقة له بالخطفين ولا يعرف شيئا عن العملية، وأنه كلف فقط بإحضار وجبة من الطعام. وقد توسل

إليهم ليبقوا على حياته مقابل أن يعود إلى الخاطفين، ويحاول إقناعهم بإطلاق سراح فاكسمان، بيد أن المحققين تشاوروا فيما بينهم، وأعلموا رئيس هيئة الأركان، وجدعون عزرا، بأنهم لا يتقنون بالمعتقل.

عملية إنقاذ فاشلة

في تلك الأثناء، كانت القوة بقيادة النقيب (نير بوراز)، قد بدأت تحركاتها. باتجاه المنزل حاول أفراد القوة الدخول عبر السطح، بيد أنه كان مغلقاً، فاتجهوا إلى شرفة المطبخ، غير أن ضجتهم أثارت انتباه الخاطفين، الذين بدأوا بتبادل إطلاق النار مع أفراد القوة. ولقد أسفرت العملية عن مقتل النقيب بوراز وإصابة عدد من أفراد القوة بجروح، ومن ثم مقتل الجندي فاكسمان والخطفين..

لقد كانت ليلة قاسية ومؤلمة بالنسبة لرئيس هيئة الأركان، الجيش والدولة على حد سواء. وقد اقترح وزير الدفاع، اسحق رابين، عقد مؤتمر صحفي في تل أبيب، ووافق براك على ذلك وقال "المسؤولية تقع على عاتقي.

عملية ديزنغوف

بعد فشل عملية الإنقاذ بأسبوع، شارك رئيس هيئة الأركان في تحقيق موسّع أجري في دورية هيئة الأركان، وخلال التحقيق، وصل تقرير عاجل: "عملية في (خط ٥) في شارع ديزنغوف في تل أبيب". غادر براك الغرفة واتجه إلى تل أبيب. كان الدخان ما يزال يتصاعد من الحافلة المشتعلة، وإلى جوارها جثث القتلى، لقد كان الوضع مؤلماً بالنسبة له، لا سيما وأنه سينهي مهام منصبه كرئيس لهيئة الأركان في غضون شهرين، وفي ظل هذه الظروف القاسية.

بيد أن الظروف شاعت لايهود براك، أن يحظى بحضور حدثين مهمين، ربما لا يتوقعهما مع دخوله هيئة الأركان قبل أربعة أعوام. فقد حضر مراسيم التوقيع على اتفاق السلام بين إسرائيل والأردن، وكان أول رئيس هيئة أركان يلتقي علناً، رئيس هيئة الأركان السوري.

وخلافا لاتفاق السلام مع عرفات، الذي توصل إليه وزير الخارجية بيرس ورجاله، كان السلام مع الأردن إنجاز شخص واحد فقط- اسحق رابين. وكان براك بين القلة القليلة، الذين عرفوا أسرار الاتفاق.

تعرف براك إلى الملك الحسين خلال لقاء سابق جرى في لندن إبان حرب الخليج، وكان قد تعرف إلى شخصيته قبل ذلك، من خلال التقارير الاستخبارية التي وضعت على مكتبه، منذ سنوات طويلة. وإذا كان من الصعب على رئيس هيئة الأركان- الذي قاد عشرات العمليات الجريئة ضد (الإرهاب)- مصافحة ياسر عرفات، فإن مصافحته للملك كانت أبسط بكثير.

اصطحب رابين براك معه في بعض زيارته السرية إلى العاصمة الأردنية عمان ومدينة العقبة. وعندما تم توقيع اتفاق السلام، في وادي عربة في السادس والعشرين من تشرين الأول ١٩٩٤ بين إسرائيل والأردن، برعاية الرئيس الأمريكي، بيل كلينتون، كان براك يتابع كل حركة من تحركات رئيس الحكومة، اسحق رابين.

في أحد لقاءاته به قبيل اعتزاله الخدمة، من الجيش سال براك عن خطته المستقبلية فقال: "أريد أن أخرج في إجازة مع زوجتي نافا وبناتي بعد ذلك سأوجه إلى مجال الأعمال".

رابين: "وبعد ذلك".

أدرك براك ما يرمي إليه رابين وعرف أنه يقصد الحياة السياسية، فرد عليه قائلا: "ينبغي أن أدرس الأمر بحذر".

رابين: "يهود سافتكوك. وعلى أية حال، أريد رؤيتك إلى جانبي، أنا أعتقد أنه ينبغي عليك الدخول إلى الحياة السياسية إلى الحكومة.

شكره براك، لكنه لم يلتزم أمامه بشيء.

لقد كان رابين بالنسبة له رجل الأمن، الرمز المسؤول، المتزن والحاسم والشخص الذي يستمع إلى من حوله، وكان يشعر بالغبطة، عندما كانوا يهمسون

من ورائه ويقولون بأنه (توأم رابين). كذلك، ألمح رابين وفي أكثر من مرة، إلى أنه يرى في شخص إيهود براك وريثا له.

وبعد أيام فقط من اغتيال اسحق رابين، سمع براك من ليثا رابين وأبناء عائلتها، أن اسحق رابين كان سيعينه وزيرا للدفاع في الحكومة التي سيشكلها عقب انتخابات عام ١٩٩٦. وكما يبدو، لم يكن لدى اسحق رابين شك، في أنه سينتصر على بنيامين نتنياهو في انتخابات ١٩٩٦، وعرف أيضا أنها ستكون آخر فترة ولاية له. لذا، كان يعتزم خلال سنوات الحكم الأربع الأخيرة، تاهيل براك كخلف له.

كان السلام مع الأردن مهما، بيد أن رابين كان يرنو إلى تحقيق ما هو أهم: السلام مع سوريا، ولقد شارك براك في الخطوات الأولى على المسار السوري، وعهد إليه اسحق رابين، في إحدى المحادثات، أن يطرح خطة الأمن الإسرائيلي، كما يراها هو، تمهيدا لتسوية سياسية محتملة في هضبة الجولان، ورغم ذلك، كان يتمنى كرئيس هيئة أركان، أن يحظى بحضور المسيرات الأخيرة قبيل إنجاز هذا السلام.

لقد اشتملت الخارطة التي قدمها براك على عدة بدائل، بيد أن أيا منها لم يتحدث عن إمكانية انسحاب كامل من هضبة الجولان. وكان أهم خيار يتصدر سلم الأولويات -حسب رئيس هيئة الأركان- تواجد الجيش الإسرائيلي على نصف منطقة هضبة الجولان، على الأقل. وأسوأ البدائل، الاحتفاظ بهوامش أمنية تقدر ببضعة كيلومترات في منطقة الهضبة وعلى طول بحيرة طبريا وبصورة أساسية جبل الشيخ.

وقد سمح رابين لإيهود براك، بطرح وجهة نظره خلال جولة قام بها في الولايات المتحدة الأمريكية. كان اتفاقا مسبقا بينهما للإلماح للرئيس السوري، حافظ الأسد بأنه إن لم يسرع سيتأخر.

أثارت أقوال براك سخط عدد من المسؤولين في الحكومة، وأبدى بيرس تحفظه إزاء المواقف المتصلبة التي يطرحها رئيس هيئة الأركان في واشنطن.

بيد أن رابين لم يتراجع وقال: "أنه رأى براك، ومن الأفضل أن يطرحه". وقد كانت أقواله بمثابة رسالة واضحة إلى الرئيس الأسد: إذا أردت دخول مسيرة سلام جدية، فقد تكون هذه الفرصة الأخيرة".

في تلك الأثناء، بدأ وزير الخارجية الأمريكي جولة مكوكية بين إسرائيل وسوريا، تمخضت عن إجراء لقاءات سرية بين السفير الإسرائيلي (إيتمار رابينوفيتش) والسفير السوري (وليد معلم)، في واشنطن.

شهدت الاتصالات السرية حالات من المد والجزر، وقد أوضح الأمريكيون، أن الأسد، طلب من كريستوفر ومعاونيه، التعمق أكثر في موقف ورأي رئيس هيئة الأركان الإسرائيلي، ولما سألته كريستوفر عن سبب ذلك قال الأسد: "إذا عرفت ما يفكر به براك، سيكون بمقدوري تقدير ما يفكر به اسحق رابين، براك توأمه، وأعرف أن رابين يعدده كوريث".

لم يكن براك على علم بتلك الأقوال، وفي لقاءاته العديدة إلى جانب رابين وعدد من كبار الشخصيات في هيئة الأركان مع الطاقم الأمريكي، لم يخف الأمريكيون تحمسهم إزاء أسلوب طرحه لمواقفه، بيد أنهم زعموا بأنه متصلب للغاية. وفي كل مرة كان يقول: 'باعتباري رئيس هيئة الأركان، لن أوصي بالانسحاب من هضبة الجولان، لكنني سوافق على أي قرار يتخذه الكادر السياسي'.

تمخضت الاتصالات السرية عن الاتفاق على إجراء لقاءات على مستوى كبار الضباط، ورتب الأمريكيون لسلسلة من اللقاءات تبدأ بإيهود براك وسفير سوريا في واشنطن وليد معلم ثم السفير الإسرائيلي في واشنطن إيتمار رابينوفيتش مع رئيس هيئة الأركان السوري، وفي الجولة الثانية فقط، سيلتقي رئيسا هيئة الأركان السوري والإسرائيلي.

تقرر إجراء اللقاء بين براك والسفير السوري في واشنطن في الثالث من تشرين الثاني ١٩٩٤ في (بلير هاوس). وقد تتكر براك ومعه السكرتير

العسكري لرابين، داني يتوم، بهيئة رجلي أعمال، وحلقاً إلى أوروبا، ومن ثم إلى واشنطن، دون أن يتسرب أي نبا إلى وسائل الإعلام الإسرائيلية.

كانت المصافحة بين براك ومعلم رسمية وسريعة. وقد استهل معلم-دبلوماسي قديم ومحترف ومن أشد المقربين من الرئيس الأسد- الاجتماع بخطاب قصير حول الموقف السوري الذي يقوم على مبدأ الانسحاب حتى خطوط الرابع من حزيران ١٩٧٦، لكنه لم ينطق ولو مرة واحدة، بكلمة سلام.

من جانبه، طرح براك النظرية الأمنية الإسرائيلية، حيث تحدث عن نزع السلاح من مناطق واسعة على جانبي الحدود وعن منطقة فاصلة بعمق ١٢-١٥ كم في الحدود الشرقية لهضبة الجولان، تواجد أمني إسرائيلي في الجولان، إقامة محطات إنذار إسرائيلية في عمق الأراضي السورية، محطات إنذار سورية في الجليل، قوات دولية وعلى رأسها قوات أمريكية، للحفاظ على الأمن، وتسوية متعددة السنوات لبناء الثقة المتبادلة.

بدا السفير السوري شاحب اللون، وانتهى اللقاء بمصافحة أكثر فتورا وقد كان فضول الجانب الإسرائيلي شديدا لمعرفة طبيعة الرد السوري، وكانت هناك مخاوف إزاء إمكانية إلغاء لقاء رئيس هيئتي الأركان، بيد أن الأسد فاجأ الجميع هذه المرة، ولم يبلغ الاجتماع.

توجه إيهود براك، داني يتوم ورئيس شعبة الاستخبارات، اللواء أوري ساخي ثانية إلى واشنطن، متكرين بهيئة رجال أعمال بسطاء. كان الوفد السوري- رئيس هيئة الأركان الشهابي، السفير معلم ومترجمة سورية تعمل في ديوان الرئيس الأسد- بانتظارهم في (بليز هاوس).

بدأ الاجتماع، جلس براك والشهابي متقابلين. تبادلوا النظرات، لم تكن بينهما أسرار. فكلهما يعرف الآخر من الملفات الاستخبارية. وقد استكمل براك معلوماته عن الشهابي من السفير رابينوفيتش، الخبير الإسرائيلي في شؤون نظام البعث والرئيس السوري، كان الشهابي من أشد المخلصين للأسد، وقد كان في السابق ضابطا رفيع المستوى في استخبارات سلاح الجو السوري. وقبل ذلك

بعشرين عامًا، حقق مع الطيارين الإسرائيليين الذين وقعوا في الأسر السوري، والذين بذل إيهود براك، كقائد لدورية هيئة الأركان، جهودا مضنية لإطلاق سراحهم.

استهل إيهود براك الاجتماع-وكان الوحيد الذي تحدث في الوفد الإسرائيلي- بالثناء على الرئيس حافظ الأسد وعلى استعداده للانضمام إلى ركب المسيرة السلمية. توجه إلى الشهابي واقترح أن يتحدثا كجندي إلى جندي.

أصغى الشهابي بذهول، عندما بدأ براك الحديث عن نزع السلاح من مناطق واسعة في هضبة الجولان وتقليص كبير في حجم القوة السورية بين دمشق وهضبة الجولان. لقد طرح براك نظرية لتقسيم سوريا إلى أجزاء، مناطق منزوعة السلاح، مناطق محددة القوات ومناطق محدودة التسلح.

بدأ الشهابي قليل الصبر وقال: "إن الموقف السوري ينص على وجوب انسحاب إسرائيلي من هضبة الجولان إلى حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧، ولن نتنازل عن سنتمتر واحد من الأراضي السورية".

ظلت الأجواء كدرة حتى الظهيرة، وقد تناول كل وفد طعام غدائه منفردا، بيد أن الجولة الثانية للمحادثات اتسمت بشيء من الهدوء. فقد طرح براك قضية محطات الإنذار كمركب أمني ضروري تحسبا لأي هجمة سورية مفاجئة، وقد استمع الشهابي ودون ملاحظاته.

وبهدف إضفاء شيء من المصالحة على أجواء الاجتماع، دعنا الأمريكيون الضباط للقاء غير مخطط مع الرئيس الأمريكي، بيل كلينتون، حيث تحدث عن فرصة لإنجاز سلام تاريخي، سلام الشجعان.

انتهى اللقاء وقال الشهابي: "سنطلع الرئيس السوري على مجريات الأمور، وسنخبره بإمكانية استئناف المحادثات" شعر إيهود بالرضا، لكنه كان يعرف أنها الخطوة الأولى فقط على طريق صراع شاق، على كل متر في هضبة الجولان.

عاد الشهابي ومعلم إلى دمشق وأطلعوا الرئيس السوري على أقوال براك بشأن نزع السلاح وتخفيض مستوى القوات السورية من دمشق وحتى الهضبة، فاستشاط غضبا.

وقد نقل وزير الخارجية الأمريكي وارن كريستوفر، الذي التقى الأسد بعد ذلك بوقت قصير، عن الأسد قوله: "يريد براك نزع السلاح وإبقاءنا دون جيش حتى الحدود التركية".

واحتجاجا على تلك الأقوال، قرر الأسد تجميد المحادثات، وعاد السفير معلم إلى دمشق لبضعة أسابيع تعبيرا عن عدم شعور الأسد بالرضى. بيد أن كريستوفر أعرب عن تقديراته بأن الأسد سيهدأ وسيستأنف المحادثات.

كان رابين راضيا عن المواقف التي طرحها إيهود براك. وفي إحدى لقاءاته معه، قبل أن ينهي مهامه كرئيس لهيئة الأركان، اقترح رابين أن يترأس براك-كمدني- الوفد الإسرائيلي الأمني. وقد أعجبت الفكرة براك، بيد أنه طلب من رابين التنازل عن الفكرة، كي لا يمس بشعور رئيس هيئة الأركان الجديد، أمنون ليفكين شاحك.

وهكذا، يكون براك قد أنهى ٣٥ عاما بالضبط من الخدمة في الجيش الإسرائيلي.

الفصل الحادي والعشرون

براك في حزب العمل
رايين رأى في أيهود وريثا له ورامون خلفا لبيرس

كلما اقترب موعد تسريح إيهود براك من رئاسة الأركان كلما ازدادت الشائعات حول انضمامه إلى حزب العمل ، وحول اعتزام رابين إقامته فوراً في قيادة الحزب . وكان هو أيضاً يدرك أن هذا ما سيحدث فعلاً .

لقد تبلورت الفكرة ، بادئ ذي بدء ، لدى اسحق رابين ، الذي شرع يتحدث خلال حواراته مع مقربيه عن ضرورة تدعيم الحزب بقوى خارجية لقد بدأت استطلاعات الرأي العام في نهاية عام ١٩٩٤ بالميل لصالح نتياهو ، مما جعل رابين يشعر أن هناك شيئاً ما ناقص . وشعر أحياناً أنه معزول في مواجهة شمعون بيرس ، وأوري سابير ، ويوسي بيلين ، مما يستدعي بأن يكون إلى جواره (رجل أمني قوي يدعمه) .

وكان براك مرشحاً طبيعياً قادراً على تمكين رابين من إنعاش الحزب ، وتعزيزه ، والتأكيد على طابعه الأمني ، ومنح الجماهير شعوراً بالتجدد والأمل . كان رابين يقدر براك ، ويقدر رئيس الأركان الجديد ، الذي تم تعيينه بعده "أمنون ليفكين شاحك" . أحب في براك قدرته التحليلية ، كما أحب طبيعة تفكيره ، وأدرك أن طبيعة تفكيره قريبة منه ، لذا ، قال : أريد هذا الرجل إلى جواربي .

لقد كان رابين يدرك أنه يعد وريثاً له ، على الرغم من أن أياً من زعماء الحزب السابقين لم يعد مثل هذا الوريث . وكان يدرك أنه لن يبقى هو وشمعون بيرس إلى الأبد . وقد قال لأحد مقربيه .. ربما نبقي سنة ، سنتين ، أربعاً ، لكننا لن نبقي للأبد ، وسنضطر في مرحلة معينة ، لإخلاء الطريق للقوى الجديدة . لذا يجب أن نهتم بإعداد الورثة ، ولا يجب بأي حال أن نترك الحزب مشلحاً .

كان الوريثان المرشحان هما : (إيهود براك) و(حاييم رامون) ، واعتقد رابين أن الدمج بين التجربة الأمنية ، والهالة التي تحيط ببراك وبين الشعبية التي يحظى بها رامون سيقدمان الرد الانتخابي اللازم للحزب . لقد كان براك ورامون من وجهة نظره ، هما رابين وبيرس للجيل الحزبي الجديد . وتشاور رابين مع العديد من مقربيه بمن فيهم (جورا عيني) - فجاءت النتائج إيجابية . وقد جعلته

المشاورات التي أجراها مع (عيني) - المقرب إلى بيرس. والوسيط في حل النزاعات التي كانت تنشب بينهما - يدرك أن هناك ضرورة لإشراك بيرس في العملية .

وهكذا ، تم تحديد لقاء ثلاثي بين رابين وبيرس وعيني ، وطرح رابين الأفكار أنفة الذكر، فوافق عليها عيني، وأيدها بيرس بحماس. وهكذا، تم تمهيد الطريق لإحضار إيهود براك إلى الحزب. ولم يبق سوى حل المسائل الفنية، والتحدث إلى براك نفسه .

حال تسريحه، قرر براك بعد التشاور مع مقرييه ألا ينخرط في السياسة فوراً، بل أن يسافر مع عائلته إلى الخارج للتمتع بوقت ما بعد التسريح، وبعد خدمة عسكرية دامت خمساً وثلاثين عاماً. وفي الأول من كانون الثاني ١٩٩٥، أنهى براك خدمته، وبدأت العائلة تستعد للسفر إلى الولايات المتحدة لقضاء إجازة طويلة وبعد أسبوعين من تسريحه دعي إلى مكتب رئيس الحكومة اسحق رابين سرا ، وهناك ، قال له رابين "نحن نطلب منك أن تدرس فكرة الانضمام إلى الحزب . ستنضم إلى الحزب ، وتحصل على مكانة وزير، وعضوية في المجلس الوزاري المصغر، والمشاركة في إدارة المفاوضات. إن الاقتراح الذي أقدمه إليك يأتي تأسيساً على رأيي ورأي شمعون بيرس، لقد تحدثنا في هذه القضية واتفقا حولها. وآمل أن تتفق معنا في آرائنا السياسية والأمنية، أنا أعتقد أنني أعرف آراءك وأقدرك حق قدرك ."

قال براك : أنا موافق ، بيد أن القانون ينص على ضرورة أن يكون هناك هامش زمني فاصل بين التسريح من الخدمة والانخراط في الحياة السياسية .

فقال رابين : أنا أعرف ذلك، سنرسل إليك شخصاً ما، وهو سيقوم بترتيب كل هذه الأمور معك .

في أعقاب هذا اللقاء، توجه براك للقاء شمعون بيرس، الذي قال له: " نعم، هذا رأيي أيضاً نحن بحاجة إليك ."

أدرك براك، أن الأمور قد اتخذت في نهاية المطاف منحاسا المؤكد.
وبعد فترة وجيزة عقد احتفال بمناسبة تسلح شاحك رئاسة الأركان وتسريح براك
حضرتة كل القيادة العسكرية، ورئيس الحكومة أيضا، وبينما كان براك يقف مع
مجموعة من مقربه، قال رابين: "نريد أن ينضم براك إلينا"، ثم اتجه إلى
الصحفية (نيباليز)، صديقتة، وقال: "أرجو أن تذهبي الآن إلى ايهود وتقولي له
ألا يسافر إلى الولايات المتحدة، وأن يبقى هنا".

قالت ليز: هل غدا مناسب؟؟ فقال رابين: نعم، مناسب، أرجو أن
تتوجهي إليه وتقولي له: ألا يؤسس لنفسه أي عمل في الولايات المتحدة، لا
أستطيع أن ألتزم الآن بتعيينه في مكان معين، بيد أننا نريده.

ذهبت ليز في الساعة السادسة من مساء اليوم التالي إلى براك، ونقلت
إليه ما قاله رابين، فقال إنه مضطر للسفر إلى الولايات المتحدة، وقال شيئا ما
عن العروض المقدمة له للالتحاق بمركز الأبحاث الاستراتيجية في واشنطن،
ووعده بالعودة في غضون عدة أشهر.

تحدثت ليز مع رابين هاتفيا، فأرسلها بعد أسبوع مرة أخرى إلى
براك، وحاولت أن تؤكد على برنامج زمني، بيد أنه اتضح لها أن براك سيسافر
إلى الولايات المتحدة وسيعود.

استدعى رابين عيني، وطلب منه أن يذهب ويفهم منه كل ما يريد، وقال
له صراحة: "براك هو الوريث للجيل القادم، وهو الزعيم الذي سيقود الحزب مع
آخرين باتجاه الألفين".

وفي اللقاء بين عيني وبراك، أوضح له عيني جميع الجوانب الفنية
لإنهائه الخدمة، وانضمامه إلى حزب العمل، والهامش الزمني الفاصل بين
العمليتين. وقال له: "رابين وبيرس متفقان في الرأي تجاهك، إنهما يعدانك كي
تصبح جيل التواصل المستقبلي للحزب، وستكون أنت الركيزة التي ستقود الحزب
قدا. أنت معد كي تصبح الزعيم القادم للحزب، وإذا سارت جميع الأمور كما

يجب، فلا يوجد أي سبب يحول دون ذلك، هناك جيل جديد من الشبان التواقين، ويجب أن تكون أنت سند بيرس ورايين في مواجهتهم " .

لقد راقت هذه الأقوال لبراك ، وأدرك أنه سيكون الثقل الموازي لرامون وعوزي برعام وبين اليعيزر وشوحت . وأن عليه أن يساعد رايين وبيرس في قص أجنحتهم . كما أدرك أن اتفاق بيرس ورايين حوله، لم يأت لإعجابهما بعينييه الجميلتين، بل لأنهما كانا بحاجة إلى دعم للحكومة عبر ضم رئيس أركان قوي، وذي شخصية أمنية، لمواجهة الحسم السياسي الصعب القادم، أضف إلى ذلك، أن رايين كان يرغب في تعزيز الجناح الأمني الرئيسي في مواجهة تأثير الحمايم المتزايد، والمتمثل في شمعون بيرس ويوسي بيلين .

قبل سفره، أسس براك بالتعاون مع شقيق زوجته دورون كوهين ، شركة أعمال باسم (Essence) وطبع بطاقات باسمها .

وبعد أن أتم جميع الاتفاقيات والتفاهم بينه وبين رايين بوساطة (عيني) حزم حقائبه وزوجته، واتجه إلى الولايات المتحدة .

وهناك، اتجه إلى مركز الأبحاث الاستراتيجي في واشنطن ، الذي كان رئيس الأركان الأميركي (باول) قد ساعده في العثور على عمل فيه، وحصل على مكتب خاص به، ومساعد للأبحاث يدعى دان مجدر، وهو شاب يهودي. ومن الجدير بالذكر أن مجدر هاجر إلى إسرائيل فيما بعد، وتطوع للعمل في مكتب براك، وساعده في الفوز في الانتخابات برئاسة الحزب .

أخذ براك العمل في المركز بجدية تامة، واهتم بصورة خاصة، بمجال النفط في الشرق الأوسط ، ومدى تأثيره على السياسات العالمية ، وألقى محاضرات ، وأعد دراسات وأبحاث .

الفصل الثاني والعشرون

مواجهة تليفزيونية مباشرة
دافع عن نفسه بجدارة واعتبره الرأي العام صادقاً

عاد براك وعائلته إلى إسرائيل بعد عدة أشهر قضاهما في الولايات المتحدة ، فوجد كومة من الاقتراحات على مكتبه للانخراط في مجالات عمل مختلفة ، بيد أنه كان يرد كل جهة بالقول : إن من المتوقع أن يتغير وضعه قريباً ، مما يجعله غير مناسب لمثل هذا العمل.

أضف إلى ذلك، أن شركة (Essence) التي أقامها مع صهره، كانت تسير على ما يرام، رغم إدراكهما أنه سيضطر قريباً لإغلاقها لنفس السبب .
وخلال فترة الانتظار، سافر إلى الصين مع صهره للاتفاق على بعض المشروعات التي كان يبدي اهتماماً بها .

بدأت اللقاءات مع عيني تعود إلى السطح من جديد ، وقد اقترح عليه رابين خلالها تسلم منصب وزير الداخلية، إضافة إلى تعيينه عضواً في المجلس الوزاري المصغر، والمشاركة في إدارة المفاوضات مع الفلسطينيين. بدأ براك يشعر بالإحباط إلى حد ما، فقد كان يتوقع تلقي عرض أفضل يمكنه من تجسيد تاريخه العسكري، وفي نفس الوقت كان يدرك أنه ليس في حوزة رابين، في الآونة الحالية ملفات وزارية أفضل، كي يعرضها عليه.

عقد براك اجتماعاً تشاورياً مع مقربيه وصهره لاتخاذ قرار فيما، إذا كان عليه قبول المنصب المعروض عليه، أم أنه يتوجب إجراء مفاوضات متشددة رغم الخوف من أن تؤدي مثل هذه المفاوضات إلى الحيلولة دون التحاقه بالحزب ؟؟

وقال : لقد عرض علي رابين وزارة الداخلية وعضوية في المجلس الوزاري المصغر، والمشاركة في المسيرة السلمية ، وأنا أعتقد أن علي قبول العوض .

بيد أن المشاركين لم يكونوا جميعاً متفقين في الرأي ، حيث قال له عيدو ديسنتش – أحد المقربين لرابين " لا يجب أن تقبل، إن المنصب الملائم لك هو وزارة الدفاع، هناك مكانك الطبيعي، وفي هذا المنصب ، تستطيع مساعدة رابين على مواجهة الإرهاب، والمشاكل " .

وقال يوني كيرن - مدير مكتبه إيان شغلته منصب رئيس الأركان :
وزارة الداخلية ستميع مكانتك كرئيس أركان سابق عسكري ، يجب أن تطالب
بوزارة الدفاع .

بيد أن براك كان يدرك أنه لا يستطيع رفض العرض الذي قدمه رابين،
كما أنه درس طبيعة عمل وزارة الداخلية ، وقال : " أستطيع عمل الكثير من
مكاني ، في هذه الوزارة ، فسوف يصبح لدي تأثير قوي على قضايا قومية،
وسأصبح قريباً من جميع الأمور ، وسأشارك في المفاوضات السياسية ، واعتقد أنه
يجب علي قبول العرض " .

وبعد عدة أيام ، نقل لرابين ، عبر عيني ، رداً إيجابياً حول المناصب
المعروضة عليه، وتم الاتفاق على أن يتسلم منصبه الجديد في نهاية شهر تموز
أو مطلع آب، أي حينما تنتهي فترة الأشهر الثلاثة الفاصلة بين منصبه العسكري
وتسلمه لأي مهمة جديدة .

حادثة "تسليم"

تعرّ الأجواء

لم يبق سوى إنهاء بعض الجوانب التقنية، وخصوصاً بالنسبة لشركته،
وكان عليه السفر إلى الصين لإنهاء بعض الارتباطات، لكن في تلك الأونة بدأت
الأرض تميد تحت قدميه .

كانت جريدة "يديعوت احرونوت" قد استكملت في تلك الأونة تحقيقها في
قضية "تسليم"، وبدأت تستعد لنشرها، وعلم براك بذلك، بيد أنه لم يولها اهتماماً،
لأنه لم يكن يدرك ما الذي يخبئه له التحقيق .

كان يفترض أن يتم نشر النتائج في "يديعوت احرونوت"، وفي
التلفزيون، بيد أن مسؤولي التلفزيون قرروا، في أعقاب دراسة التحقيق، أن
يجروا لقاء مع براك، ومع بعض مقربيه، وعدم نشر التحقيق. وقبل سفره،

وجهت إليه الصحيفة عدة أسئلة، بيد أنه لم يرد عليها، ووجه الأسئلة إلى الناطق العسكري، وسافر إلى الصين .

وايان تواجده هناك، نشرت الجريدة التحقيق وأثارت هزة أرضية وموجة إعلامية هائلة .

فقد أفادت التحقيقات أن إيهود براك رئيس الأركان، وأكثر الضباط الإسرائيليين استحوذاً على أوسمة، متهم: بترك الجرحى في تساليم، والفرار من موقع الكارثة .

تلقى براك النبأ في الصين خلال الاتصال الهاتفي الذي أجراه معه كيرن. وبعد يومين تلقى بالفاكس، صورة عن تحقيق الصحيفة. وما كاد يقرؤه، حتى غلى الدم في عروقه، وقال لكيرن: يجب أن يرد الناطق العسكري على هذا النبأ فوراً، أرجو أن تتصل بالناطق العميد عاموس جلعاد .

وسأل براك كيرن: هل تعتقد أن الأضرار التي ألحقها بي جسيمة؟؟ هل يجب أن أعود فوراً؟؟ فأجابه كيرن: "لا ، لا يجب أن تعود فوراً، ينبغي إلا تبدو في حالة فزع".

بدأ براك، من الصين، بإجراء سلسلة من المشاورات : هل يجب أن يعود، كيف يجب أن يتعامل مع الصحيفة؟؟ هل يشن عليها هجوماً كاسحاً؟؟ ولم تقتصر الآثار على براك وعائلته، بل تجاوزتهما إلى حزب العمل، فقد بدأ بعض الشخصيات يلحون لرابين أن براك ليس كنزاً انتخابياً، وخصوصاً في أعقاب ما نشر حول تساليم، ونصحوه بأن يفض الطرف عن إمكانية ضمه إلى الحزب .

اتصل براك لرابين من الصين، وسأل فيما إذا كان يجب عليه العودة فوراً أم لا، فقال له رابين: افعل ما تراه مناسباً، وأنا شخصياً لا أرى أن هناك سبباً لعودتك، فأنت تعرف الحقيقة .

اتصل براك برئيس الأركان أمنون شاحك وطلب منه أن يرد على الصحيفة خصوصاً وأنه كان أثناء الحادث في تساليم . وبعد ثلاثة أيام أجرى

شاحك مقابلة تليفزيونية أكد فيها كذب رواية الجريدة، وقال إن براك لم يتخل في حياته عن جرحى ولم يفر من المكان أبداً .

لقد أظهرته الجريدة في صورة الضابط الرفيع الذي يقف على تلة بلا مبالاة ، يحملق في الجرحى والجنود الذين كانوا في حالة نزع . ثم يغادر المكان بلا مبالاة .

ولأول مرة ، يشعر براك أنه فقد السيطرة على أعصابه ونفسه، فجميع الدلائل تؤكد أنه بقي على أرض المعسكر ، حتى وضع الجرحى في الطائرات، بل إنه ترك طائرته لشاحك، وسافر في طائرة شاحك، كما أن هناك جدولاً زمنياً لموعدي إقلاع الطائرات في هيئة الأركان، لكن كل ذلك دون جدوى .

لقد صفعه الواقع بشدة، فهو لم يكن معتاداً مثل هذه الهجمات الصحفية العميقة، لقد اعتاد طيلة حياته أن تكيل له وسائل الإعلام الثناء والمدح . لقد قلل من شأن الأضرار الجسيمة التي لحقت به، لذا لم يكن على استعداد لمواجهة ما حدث فيما بعد، وهنا يكمن خطؤه الجسيم .

غصت الصحف بصورة مماثلة، بشهادات وشهادات مناقضة من قبل الجرحى والأشخاص الذين تواجدوا آنذاك في المعسكر. وهكذا اتضح له أن هذه المشكلة لن تنتهي وحدها - ويجب عليه أن يهب للقتال بنفسه - وأن لا يوكل الدفاع عنه للزملاء والمؤيدين. فقرر العودة إلى إسرائيل مبكراً .

وإبان المشاورات التي أجراها بينما كان في طريقه إلى إسرائيل، تم اتخاذ قرار بأن يجري لقاء تليفزيونياً مع القناة الأولى في برنامج (سيحات فعيدة) .

وفي المطار، كان بانتظاره عشرات الصحفيين بيد أنه من المتفق عليه، ألا يرد على أي أسئلة.

وفي استديو القناة الأولى ، كان بانتظار براك كبار شخصيات القناة : نسيم مشعل، ومدير عام القناة (مردخاي كرشنباوم) ، والمراسل العسكري الون بن دافيد ، أما براك ، فقد جاء بصحبة دورون كوهين ، ويوني كيرن .

بدأت المشاكل منذ دخول براك غرفة المكياج، فقد طلب أن يمنح له حق الكلام أولاً كي يروي روايته دون أي مقاطعة، بيد أن طاقم التلفزيون رفض ذلك رفضاً باتاً، وقال له نسيم مشعل مدير البرنامج : أنا أمثل خمسة ملايين إسرائيلي هنا ويوجد لديهم أسئلة يجب أن أوجهها إليك . ثارت ثائرة براك ، وأراد مغادرة الاستديو ، بيد أن كيرن هدأ من روعه. وقال له مشعل : أرجو أن تعتمد علي، سأتيح لك الفرصة للإعراب عن وجهة نظرك ورواية قصتك، ولدينا الوقت الكافي لذلك .

وعندما بدأ البرنامج، اتضح أن هدوء براك كان انياً وسطحياً، لقد تحولت المقابلة التي أجراها البرنامج في الثالث عشر من أيار ١٩٩٥، إلى أحد أكبر العروض التلفزيونية التي شهدتها الشاشة الصغيرة في حياتها. فقد تفجر براك أمام النظارة، في حين حرص مشعل على دس سؤال هنا ، وملاحظة هناك. وبدأ أن معركة براك خاسرة منذ البداية، فقد اندلع لسانه غضباً، وتحدث من بطنه وقلبه، وصرخ، ووبخ، وحنق في الكاميرا، بعينين تقدحان جمراً، دفاعاً عن حياته

لقد وصفت وسائل الإعلام المقابلة " بمسرحية الرعب " وارتبط اسم براك أثرها بالعدوانية والعنف. بيد أن الجماهير أحبت ذلك، وقد أثبتت الاستطلاعات التي جرت فيما بعد بأن الجماهير صدقت براك. لقد أكدت الاستطلاعات أن براك صادق في روايته، ونفت الوصمة التي كادت ترتبط باسمه، وجعلت الطريق أمامه إلى الحكومة ممهداً .

الفصل الثالث والعشرون

براك ... وزيراً

امتنع عن التصويت لصالح الانسحابات الإضافية مخالفاً راين ويبرس



بدا أن براك سينخرط في الحياة السياسية بسهولة فقد كان هذا الرجل الملقب "برئيس الأركان" الأكثر سياسة في تاريخ إسرائيل يعرف غالبية الكوادر السياسية العاملة، عدا عن كونه مقرباً إلى الكثير من السياسيين من جميع الأحزاب ، وكان يعرف شيئاً ما حول البنية الداخلية وتركيبه دهاليز القوة في إسرائيل .

ورغم كونه عسكرياً إلا أن تفكيره كان سياسياً ويتحلى بقدرة خطابية غنية، وكفاءة تحليل رائعة ومحبة خاصة للحوارات الفلسطينية الطويلة ، وتمكن اليهود براك من بناء علاقات واسعة مع العديد من السياسيين. وكان الوزراء قد اعتادوا الاتصال به والتشاور معه، وسؤاله عن رأيه في المجال الأمني .

وخلال الفترة التي سبقت انخراطه في حكومة حزب العمل، أجرى حواراً هادئاً مع يوسي بيلين توطئة لانخراط الاثنين في إطار حكومة رابين .

وخيل لبراك ، أن بيلين يسعى إلى ضمه إليه وإلى حاييم رامون ، كي يقود الثلاثة ثورة الشباب والجيل الجديد في مواجهة جيل الوسط الذي بدأ يهرم ويشيخ، من أمثال شوحط وعوزي برعام وبن اليعيزر، على الرغم من أن براك أقرب في عمره إلى جيل الوسط من جيل الشباب .

لقد كان يوم تعيينه هو ويوسي بيلين وزيرين في حكومة رابين ، بمثابة يوم عيد لحزب العمل وقد كان براك يدرك، أن رابين سيعرض اسمه واسم بيلين على مركز الحزب.

كانت أول المهام التي يتوجب عليه إتمامها ، هي بلورة طاقم شخصي مقرب منه. وكان أول المعينين هو يوني كيرن ، فقد عينه براك مديراً لمكتبه وعين (يرون يعكس) مستشاراً رفيعاً - وهو شاب متدين عمل ضابطاً في شعبة الاستخبارات العسكرية إبان ترؤس براك للشعبة ، ثم حصل على رسالة الماجستير والدكتوراة في العلوم القضائية.

كان براك لا يزال غرا سياسياً، لذا كان يحتاج إلى مستشار سياسي كفء، قادر على إدارة دفة الأمور. وقد اختار لهذا المنصب شاباً مغموراً يدعى

رولي بوندي بتوصية من عيني. ومن الجدير بالذكر أن بوندي لا زال مع براك حتى اليوم . وبقي منصب المساعد الشخصي، فمنحه لأمير تماري، وهو جاره، وحاصل على الليسانس في العلوم السياسية والحقوق . وقد أوصى به صهره .

وفي نهاية آب ١٩٩٥ تسلم براك منصبه وزيراً للداخلية. وبعد حوالي شهر، جمع جميع رؤساء البلديات والمدن والقرى في إحدى القاعات الكبيرة في تل أبيب ، وقرأ عليهم خطاباً مؤلفاً من أربع وعشرين صفحة ، حلل فيها فهمه ، ما يتعلق بوزارة الداخلية، وحل المشاكل والميزانيات، والمهام التي يلقي بعينها على نفسه وعلى مكتبه، وأساليب العمل .

كان براك، وعلى عكس غالبية الوزراء، يدرك التفاصيل، وبوصفه رئيساً للأركان، في فترة إجراء المفاوضات السلمية، فقد كان مطلعاً على الكثير من الأمور، وإن لم يكن دائماً راضياً عن الخطوات المتبعة .

وقبل التصويت في الحكومة، عاش ليلة صعبة للغاية، فقد كان يدرك أنه لا يستطيع التصويت لصالح القرار. وقد اجتمع لهذا السبب في غضون الأسبوع الماضي مع بيرس ورايين ، ورغم أنهما كانا يدركان موقفه تمام الإدراك . إلا أنه أراد إعطاء نفسه فرصة أخرى . وخلال لقائه مع بيرس ، قال له : لن أستطيع التصويت لصالح الانسحابات الإضافية، وقد أبدى بيرس استياءً شديداً، وثار بين الاثنين جدل شديد .

أما رايين فقد أصغى إليه حينما قال له ذلك بهدوء، ولم يعقب . ولم يخف براك رأيه خلال الاجتماعات المغلقة، فقد أبدى معارضته لأسلوب الانسحابات السريعة . وقال إن تسليم الفلسطينيين غالبية مناطق الضفة الغربية والقطاع في غضون عام ونصف العام ، وقبل بدء مناقشة القضايا الصعبة المتمثلة في القدس ، وحقوق العودة ، والحدود الدائمة .. إلخ - يعتبر خطأ تكتيكياً جسيماً . 'مناطق الضفة الغربية هي أفضل ورقة مساومة في أيدينا وها نحن نتخلى عن هذه الورقة قبل أن تبدأ المساومة الحقيقية. واقترح إطالة مدة الانسحابات ، ونشرها على المدة الفاصلة حتى الانتهاء من النقاشات حول التسوية

الدائمة أو تقديم التسوية الدائمة ، بحيث يتم تنفيذها في نفس الوقت الذي ستسلم فيه الأراضي ، أو خلال زمن قريب منها .

كان براك يدرك أن من الصعب إقناع شمعون بيرس ، بيد أنه كان يأمل أن يجد أذناً صاغية لدى اسحق رابين ، الذي كان بينهما لغة مشتركة معه . لكن آماله خابت ، حيث أصغى رابين إليه ، لكنه لم يقتنع .

لم يغمض لبراك جفن ليلة التصويت على القرار وكان يقول لنفسه : هذا أول تصويت لي في الحكومة، ويجب علي أن أصوت ضد الرجلين اللذين يقودان المسيرة، وأدخلني إلى الحكومة وفي نفس الوقت لا أستطيع التصويت لصالح القوار .

وكان براك يدرك أن التصويت ضد القرار سيعتبر بمثابة تحد لرابين وبيرس، بل وبمثابة خيانة لهما، لكنه وكلمة قتل الوضع تمحيصا ودراسة، كلما أدرك، أكثر فأكثر، أنه لا يستطيع أن يكذب على نفسه .

بدأت الجلسة في التاسعة صباحا، وأعطى لبراك حق الكلام في نهايتها، فقام وألقى خطابا مطولا برر فيه موقفه ، وعندما راقب وجوه الوزراء المرهقة، لم يلاحظ تفهما لما يقول غير لدى يوسي سريد ومائير شطريت .

وأجمل كلمته بالقول : لقد أصغيت إلى كلمات الوزراء، خلال النقاش، وأنا أدرك المزاج السائد وأعرف ماهية القرار الذي ستتخذه الحكومة اليوم، ورغم ذلك لا أستطيع أن أصوت لصالح القرار .

كان براك على قناعة بأن اسحق رابين يعرف بأنه يعتزم التصويت ضد القرار أو سيمتنع عن التصويت . حينما وصلتته ورقتان صغيرتان ، احدهما من مني حريش والثانية شوحط ، وقد كتب الاثنان له : " لا تصوت ضد القرار، ولا تمتنع عن التصويت، أنت ترتكب خطأ جسيما، يجب أن تؤيد رئيس الحكومة " .

وحينما حلت لحظة التصويت امتنع براك وشطريت عن التصويت على القرار، في حين وافق باقي الوزراء عليه. وبينما الحكومة لا زالت منعقدة، خرج رئيس الحكومة من غرفة الاجتماعات وطلب أن يحضروا له جيورا عيني، وقال

له: " أنظر ما الذي فعله بي ، في أول تصويت في الحكومة، فعل بي ذلك ". فقال عيني : " دعني أتحدث معه ". وقد أدرك عيني أن عليه بذل قصارى جهده بغية إطفاء الحريق ، الذي أوقده براك.

بدا رابين شديد الغضب ، فهو لم يكن يتصور أن براك يعترف حقاً بالامتناع عن التصويت . لقد شعر أنه مس به وخانه .

لم يتكلم رابين مع براك، ولم ينظر نحوه، بل اتجه إلى مكتبه مباشرة، بيد أن إيتان هابر همس لبراك: هل جننت؟؟ في أول تصويت تفعل ذلك؟؟ فقال براك: " لا أستطيع التصويت ضد ضميري، ورايين يعرف موقفى ، لقد تحدثت معه ومع بيرس، ولم أستطع النوم طيلة الليل، ولو أن رابين بعث لي بورقة يرجو مني أن أصوت لصالح القرار، لما استطعت رفض ذلك، بيد أنه لم يفعل ذلك، وأنا واثق من أنه يتفهمني، كما أن عدم تصويتي لن يضر بنا على المدى البعيد " .

أثار امتناع براك ضجة إعلامية كبيرة، حيث أشارت وسائل الإعلام، إلى أن وزير الداخلية يعارض اتفاقيات أوسلو. وهكذا وجد براك نفسه في حالة دفاع عن النفس، فقال : "كان في اتفاقيات أوسلو حسم تاريخي، وأنا أؤيد هذا الحسم من كل قلبي، بيد أنه يجب أن نتفهم التفاصيل فالخير والشر موجودان في التفاصيل الصغيرة " .

لقد استخدم براك هذا التصويت في مرحلة لاحقة كي يوضح الفارق بينه وبين بيرس، فقال : إن بيرس لا يقف أمام التفاصيل الصغيرة، فهو يرى الهدف الاستراتيجي، يرى الحلم، والنبوءة، أما أنا فأرى التفاصيل الدقيقة، وأتعامل وكأنني في ساحة قتال، على النمط الروماني- اليوناني القديم : قواعد محددة وتقدم صعب، ومثابرة داخل حلبة محدودة، مع ضرورة النضال بشدة من أجل الفوز. بيد أن كل ذلك لم يساعده في تسوية الأمور مع رابين.

وبعد عدة أيام عمل عيني على عقد اجتماع مصالحة بينهما. وبدا رابين شديد الإرهاق بعد أسبوع متواصل من العمل. وأخذ يذخن ويشرب بشراهة، وبعد زجاجة البيرة الثانية التي تناولها براك معه، قال : " أنا آسف جداً حقاً لما سببته

لك ، فلا أود أبداً أن أغضبك أنا لست آسفاً على موقعي المبدئي، لكن لو أنك بعثت إلي ورقة صغيرة أثناء الجلسة لصوت معك ، لقد اعتدت خلال الجلسات التي جمعتنا معا ، أن ترسل لي الأوراق وتوجهني، فلماذا لم تفعل ذلك هذه المرة أيضاً؟؟".

فقال رابين : 'يجب أن تعلم أنني لم أعمد في أي جلسة إلى إرسال بطاقة لوزير كي أقول له كيف يصوت ، فالوزراء يصوتون حسب ضمائرهم '. وبعد ساعة من الحديث ، بدا أن الأمور تسير باتجاه المصالحة، بيد أن براك كان يدرك في داخله، أن رابين لا زال يحمل شعوراً بخيبة الأمل والإحباط تجاهه، وقد ساعد في تكريس هذا الشعور، بعض مقربي رابين، الذين ما كانوا يضيعون فرصته دون التغني بخيانة براك .

وبوصفه وزيراً للداخلية أكثر براك من التجوال هنا وهناك، فقد كان يحب الاحتكاك بالمواطنين وسماع مشاكلهم عن قرب .

وفي أول جولة لبراك إلى بلدة راهط البدوية ذهب مع رابين، وهناك استقبل بالترحاب الشديد، ثم توجه الاثنان إلى أوفليم، وهناك استقبلهم حاخامات البلدة على أبوابها بالخبز والملح . ومن الجانب الآخر ، كان متظاهرو الليكود يقفون لهم بالمرصاد، حاملين الشعارات القائلة : 'رابين خائن، رابين سافل ' كانت تلك أول مرة يرى فيها براك هذه الأقوال والياطات ضد رئيس الحكومة، رغم أنه كان يسمع من وسائل الإعلام أن متظاهري اليمين والليكود ينتظرون رابين في كل زاوية لإهانته وتوجيه أذع السباب له .

وقد وجد متنفساً لمشاعر الغضب التي اجتاحتها في الاجتماع الحزبي الذي عقد في تل أبيب في نفس الليلة، وقف إيهود براك على المنصة، وقال : " أي وقاحة تلك أن يصفوا رابين بالخائن، إن رابين هو أحد محطمي أسوار القدس عام ١٩٤٨ في الوقت الذي كان ننتياهو ما يزال في المهده، ورابين كرئيس للأركان وحّد القدس قبل أن يلتحق ننتياهو بالجيش، لا يجب أن نسمح لذلك بالحدوث، ولا يجب أن نغض الطرف عنه .

وتطرق براك إلى نظريته السياسية فتحدث عن حق الإسرائيليين في هذه البلاد بما فيها غالبية المستوطنات وقال إننا نعيش في مرحلة يمكننا فيها التنازل من موقف القوة والثقة الذاتية بالنفس، من أجل إنجاز السلام، والذي سيوفر لإسرائيل الأمن الشامل .

وخلال الجولات التي كان يقوم بها في مجالس المستوطنات كان براك يستقبل بحفاوة كبيرة . وكان المستوطنون لا زالوا يذكرون العلاقات المتينة التي أقاموها معه إبان توليه منصب قائد القطاع الأوسط ، وكان براك يطرح عليهم نظريته الأمنية ، فيقولون له نحن نعرفك ونقدرك لأنك تقول لنا وتطرح أمامنا الأمور كما هي، ولا تحاول تجميل الوقائع .

كانت الزيارة للقدس مثيرة بشكل خاص، وقد استقبله رئيس البلدية، ورئيس شركة تطوير القدس الشرقية، وقام بجولة في نفق القدس. وقد حاول إيلي سويّا - مسئول اللواء والبلدية، ووزير الداخلية حالياً - تجنيد موافقة براك لصالح مشروعات مثل البناء في جبل أبو غنيم ورأس العمود وفتح نفق القدس .

واصطحب مئاي دان - ممثل المليونير اليهودي إرفيني موسكوفيتش براك في جولة بالقدس الشرقية، مثلما يلاحظ . كما حاول إيلي سويّا إغراء براك على الموافقة على البناء في رأس العمود. وقد تلت هذه المحاولات محادثات هاتفية من ميامي من المليونير نفسه ، صاحب الأرض .

لقد لاحظ براك فوراً المادة السياسية المتفجرة الكامنة في هذه القضية، ورغم ذلك، أثنى على مواصلة أعمال البناء في القدس من ناحية، وواصل التشاور مع اسحق رابين من الجانب الآخر، وقد اتفق الاثنان بالتعاون مع المستشار السياسي لوزارة الداخلية، على إرجاء مشروع رأس العمود إلى إشعار آخر .

كان نفق القدس مكتملاً، ويحتاج إلى عمل لمدة نصف يوم فقط من أجل فتحه، بيد أن الكادر السياسي لم يصادق على ذلك. ولم يستطع براك إبان الجولة التي قام بها في النفق، أن يخفي تأثره الشديد من ذلك، وقال: من المهم أن يتم

افتتاح هذا النفق للجماهير في أسرع وقت ممكن، إننا نخوض طريقا سبق أن خاضه آلاف اليهود وهم في طريقهم إلى الصلاة في الهيكل إنني أشعر بارتفاع معنويات تاريخي .

بيد أن المشاعر والجولات شيء، والواقع شيء آخر، حيث لم تعتمد الحكومة إلى إشعال الضوء الأخضر خلال النقاشات التي أجرتها حول فتح المغامرة فقد قرر بيرس ورايين، وإيهود ، الانتظار لموعد أفضل . وبشأن جبل أبو غنيم، كان الوضع أيضا مماثلا، فقد عرض إيلي سوييا على براك خطة البناء لليهود في جبل أبو غنيم، وللمرب في رأس العامود، كما طرحت مسألة هدم المنازل غير المشروعة في القدس الشرقية. وقد أقر براك بالعمل على دفع المخططين - للمرب واليهود - إلى الأمام. كما طلب تقديم إنذار قبل اثنتين وسبعين ساعة من هدم أي منزل عربي غير شرعي وبالتعاون مع مساعده يعكبتس. وهكذا، وفي كل مرة كانوا يعتزمون هدم منزل عربي، كانوا يطرحون الأمر للتشاور لدى وزير الداخلية .

بذل براك جهودا مضنية جدا في وزارة الداخلية، ولم يكن يعلم أنه سيضطر لمغادرتها قبل مضي ستة أشهر على توليه . لقد أراد أن يترك بصماته على الوزارة، لذا تجاوز الصغائر، وعكف على المشروعات الكبيرة والأفكار والقضايا الهامة. بيد أن جميع الجهود التي بذلها، لم تكن تعدد لما كان سيحدث في الرابع من تشرين الثاني ١٩٩٥.

الفصل الرابع والعشرون

اليمن الإسرائيلي يقتل رابين
اغتيال رابين أذهل براك وحال دون تجسيد طموحاته

أخذت الأوضاع تتدهور تدهورا خطيرا، فكلما تقدمت عملية تنفيذ اتفاقيات أوسلو، كلما تصاعدت الأعمال الإرهابية التي تقوم بها حماس. مما حدا بنشطاء اليمين الإسرائيلي للخروج إلى الشوارع. وكانت المظاهرات التي تلاحق اسحق رابين أينما ولى وجهه، شديدة جدا، ومطلقة العنان. وأشد تلك المظاهرات كانت تلك التي يعقدها نشطاء اليمين المتطرف بالقرب من منزل رابين ظهر يوم الجمعة، بانتظار عودته، كي يكيلوا له السباب والشتم والتهديدات.

وفي أعقاب المظاهرة التي شهدها براك في أوفكيم، قرر عدم السكوت، بل التحدث مع رابين، وقال لـ"كيرن" يجب أن يتحمل رابين المسؤولية، لأن هذه الأحداث، لن تنتهي بما يحمد عقباه.

ثم وقع حادث معهد (واينجيت)، فقد كان رابين في زيارة للمعهد، وهناك كان المتظاهرون بأعداد كبيرة في حين كان حراس رابين قلة قليلة، مما مكن المتظاهرين من الاقتراب من رابين إلى درجة مهددة ومخيفة. لقد اصطدم رابين عن كثب، بجماهير غاضبة حاقدة تطل الكراهية من عينيها، والتي أخذت تسبه وتشتمه.

حاول ايهود براك تنظيم مجموعات من مؤيدي الحزب لمرافقة رابين، أينما حل، للدفاع عنه، وقد اقترح عليه (كيرن) تشكيل مجموعة من خريجي الوحدات المقاتلة المؤيدين لحزب العمل لمصاحبة رابين في تجواله. فتحدث (كيرن) مع عומר بارليف-ابن رئيس الأركان السابق، وبالتعاون مع (بني كبلان) سكرتير مجلس عمال بيسان، حاولوا إخراج المشروع إلى حيز التنفيذ الفعلي، والذي اقترح أن يتم العمل على تجنيد وحدات حماية بواسطة الهستدروت. بيد أن وسائل الإعلام اكتشفت المحاولة، وجعلت منها رواية كبيرة، مما اضطر القاتمين عليها لإلغائها.

في الثاني من تشرين الثاني-الموافق يوم الخميس- اجتمع ايهود براك ورايين في مكتب رئيس الحكومة، حيث كان على براك أن يسافر إلى الولايات المتحدة، للتشاور وقد خصص لها رابين ربع ساعة فقط.

استغرقت المقابلة بين رابين وبراك ساعة ونصف الساعة، تحدثا فيها عن كل شيء: المسيرة السياسية، الحزب، الحياة، وجميع المناحي الأخرى، وقد سجل براك خلال اللقاء، عدة ملاحظات على ورقة جاء فيها: داني يتوم لرئاسة الموساد، حاييم رامون يجب أن يعود إلى الحزب، إيتان بن الياهو قائدا لسلاح الجو.

وحينما طرحت القضية السياسية قال براك: أنه يشعر بالقلق الشديد جراء وضع الشارع، بيد أن رابين بدا أقل قلقا، وقال: لا أولي استطلاعات الرأي العام أي اهتمام، ولست قلقا من منافستي لتنتياهو على رئاسة الحكومة، وفي نفس الوقت أدرك أن هناك ضرورة لإجراء تغييرات داخل الحزب، لتتشيطة.

قال براك: اسحق، لقد وعدت الجماهير بصنع السلام، وها نحن قبل الانتخابات بسنة واحدة، والمفاوضات مع السوريين تراوح مكانها وليس من الواضح، فيما إذا كنا سنتمكن من استكمال المسيرة مع الفلسطينيين أم لا؟ وأضاف: "المفاوضات حول التسوية الدائمة ستبدأ في أيار ١٩٩٦، أي قبل ستة أشهر من الانتخابات، ولا شك في أن الفلسطينيين سيقدمون خلالها مطالبهم، بشأن القدس واللاجئين وغير ذلك وهذا الوضع غير صحي، فقد تجد نفسك قبل الانتخابات بستة أشهر، أمام طريق مغلق، مع السوريين، وأيضا مع الفلسطينيين، والإرهاب يتجول في ربوعنا حرا، وفي هذه الحالة، لا أدري ما الذي سيحدث".

سأل رابين، براك، ما الذي يقترحه عليه؟؟ فلم يتردد براك، وقال: "اقتراح أن نتوقف، وأن نقول للجماهير الحقيقة الآن، وليس في أيار ١٩٩٦، لأن هذا التاريخ، سيكون قريبا جدا من الانتخابات، وسيبدو وكأنه مناورة، ولا شك أن الأمر لن يكون صعبا بالنسبة لك، نظرا للتاريخ العسكري الذي تحمله، أما بالنسبة لبيرس، فسوف يكون الأمر أصعب".

وأضاف: "يجب على الجماهير أن تفيق من حلم السلام السريع، ويجب عليك أن تقول لهم ذلك، أن تقول لهم: اعتمدوا علي، وأنتك ستجلب لهم السلام في نهاية المطاف، بيد أن الأمور يجب أن تسير بصورة أبطأ، وأن تدافع عن أمن الدولة ولا تتخلي عنه، شريطة أن يكون الطريق طويلا وآمنا.

اقترح براك على رابين أن يعمل على إرجاء بدء مفاوضات التسوية الدائمة من أيار ١٩٩٦، إلى كانون الثاني ١٩٩٧، وقال له: ليس جيدا أن تبدأ المفاوضات قبل الانتخابات. إن هذه المفاوضات صعبة للغاية، ولا شك أن بدايتها ستشهد انفجارات، وهذه الانفجارات ستعكس نفسها على الانتخابات لذا ليس جيدا أن تبدأ المفاوضات قبل الانتخابات".

وتحدث براك عن ضرورة الوصول إلى الناخب الشاب، وجماهير المهاجرين الروس، وأكد ضرورة إعادة حاييم رامون إلى الحزب. وافق رابين على غالبية مقترحات براك، أما بشأن القضية المركزية المتمثلة في تهدئة وتيرة المفاوضات ومخاطبة الجماهير فقد أصغى، ووعد بالتفكير في ذلك.

وفي نفس الليلة، سافر براك إلى نيويورك، حيث كان سيحل ضيف شرف، وخطيبا مركزيا على رابطة أصدقاء متحف المحرقة، في الولايات المتحدة وقد صاحبه كيرن في رحلته.

وفي الرابع من تشرين الثاني، خرج الاثنان للتجول، ثم عادا في ساعات المساء، حيث دخل براك إلى غرفته لوضع اللمسات الأخيرة على الكلمة التي يعتزم إلقاءها، وفجأة دق جرس الهاتف، ومن الطرف الآخر جاء صوت زوجته نافا: براك لقد أطلقوا النار على اسحق".

براك: أطلقوا النار على من؟؟

نافا: على اسحق، هل تصدق؟؟ وسمع براك البكاء في صوتها وهي تقول: أنا في الطريق إلى ليثا زوجته، فنحن لا ندري بعد ما حدث.
براك: وكيف حاله؟

نافا: لا أدري، إنه في الطريق إلى المستشفى، كما يبدو أنهم أطلقوا عليه النار من مسدس. وما كاد يهود براك يضع السماعة، حتى دق جرس الهاتف، وجاء صوت داني يتوم-السكرتير العسكري لرابي، وصديق براك الشخصي: "يهود انتبه لقد أطلقوا النار على رابين، ثلاثة عيارات من مسافة قريبة، والذي أطلق النار يهودي، الوضع صعب وخطير للغاية، وهو في طريقه إلى المستشفى.

أخذ براك يدور في الغرفة كاسد سجين، ويضرب رأسه بين الفينة والأخرى متمتماً: رابين؟ لماذا رابين؟ أنا لا أعرف الكثير من الناس الذين أطلقت عليهم ثلاثة عيارات عن قرب ونجوا من الموت.

فتح براك وكيرن التلفزيون وأخذا يراقبان بث شبكة(سي إن إن) من تل أبيب مباشرة، وفجأة شاهد أحد حراس رابين الشخصيين ينفجر بالبكاء، فقال لكيرن: هذا هو، لقد قتل رابين. وفي نفس اللحظة دق جرس الهاتف، ومن الطرف الآخر جاء صوت يتوم قائلاً: لقد توفي رابين، حالاً سيتم الإعلان عن ذلك، وقطع الاتصال.

وفيما كان يفكر في الكلمات التي سمعها، ظهر على شاشة التلفزيون وجه (إيتان هابر) أمام شاشة التلفزيون، وقال: "حكومة إسرائيل تعلن بذهول تام.....".

وضع براك يديه على وجهه وقال لكيرن: لماذا لم تتجح في مشروع الحماية؟؟ لماذا لم تعد مجموعات لمرافقته وحمايته؟؟ لو أننا فعلنا ذلك، لما نجح القاتل في الاقتراب منه.

اتصل براك (بليثا رابين)، التي عادت لتوها من المستشفى تاركة خلفها جثمان زوجها: (ليثا) قلبي يغص بالحزن والأسى، ونحن نعيش ألمك.

فكانت: نعم، نعم أنا أعرف، لقد بدا أنها لا زالت تحت تأثير الصدمة.

ثم اتصل ببيرس: "شمعون لقد وقع على رأسك جبل، العبء كله الآن على كاهلك، وسنبذل كل ما في وسعنا لمساعدتك، (يوسي بيلين) هنا في الفندق، وسنعود فوراً لمساعدتك".

بدا بيرس هاتجا، مسعورا، وقال: سأعقد جلسة فورية للحكومة وستعد مراسيم الجنازة، ثم سنعمل على موازنة الوضع في إسرائيل".

وحال شيوع نبأ مقتل (رابين)، تدفقت قوات الأمن الأميركية إلى الفندق وأحاطت به، وأخذت تفتش الداخلين والخارجين. وقد أدرك (براك) أن الأمر لا يتعلق بإجراء أمني عابر، بل لقد تم بالترتيب مع جهاز الأمن العام الإسرائيلي، فقد خشي الجهاز أن تكون عملية الاغتيال جزءاً من انقلاب واسع في إسرائيل. وحتى (شمعون بيرس) الذي أصبح بمجرد وفاة رابين رئيساً للحكومة أخذ من قبل مسؤولي جهاز الأمن العام رغم أنه، ووضع في مكان آمن حتى تمر العاصفة. أما الأميركيون فقد احضروا (يوسي بيلين)، الذي كان هو الآخر ينزل في نفس الفندق، ووضعوه في جناح براك، وأغلقوا جميع مداخل ومخارج الجناح.

ولن ينسى براك طيلة حياته رحلة العودة إلى إسرائيل، فقد تجمع في الطائرة حشد كبير من الإسرائيليين والحزن يخيم عليهم، وبينهم (بيلين) و(براك).

وفي طريقه طلب براك من يعكبس أن يستوضح الوضع القانوني في أعقاب مقتل (رابين)، فاتصل (يعكبس) بالمحامي (حاييم تصدوق)، الذي أوضح له أن الوضع القانوني الآن يتمثل في تعيين قائم بأعمال رئيس الحكومة، وتشكيل حكومة انتقالية، ثم إجراء انتخابات ٠٠٠ السخ.

وسأل يعكبس: متى بالإمكان إجراء انتخابات؟ فقال المحامي: في غضون ستين يوماً. وحال هبوطه في المطار وجد براك بانتظاره زوجته ويعكبس. الذي أعلمه بالوضع القانوني في أعقاب مقتل رابين.

أيد براك إجراء الانتخابات فوراً، وفي غضون شهرين. أو أقصى حد في غضون ثلاثة أشهر، للحصول على ثقة الشعب.

كانت العلاقة بين رابين وبين الملك الحسين وطيدة بشكل خاص. فقد عمل الحسين، الذي كان يقدر العسكريين جداً، على تنمية علاقات ثقة وتقارب فريدة من نوعها مع رابين. كان لديهما لغة مشتركة، وقضيا ساعات طويلة في

أحاديث خاصة. وكان الملك يثق برايين ويدرك أنه صاحب كلمة جادة، وفي إحدى اللحظات، قرر الملك أن يبرم مع رايين سلاماً حقيقياً وعلنياً.

وعندما تلقى الملك الحسين نبأ مقتل رايين، بلغ به الأسى والحزن الذروة. بل أن مقربيه لم يسبق لهم أن رأوه في مثل هذا الوضع من الحزن. لقد رفض تصديق النبأ، وأصيب بصدمة.

كان الحسين طيلة الوقت يخشى على حياته هو، فقد جرت عشرات المحاولات لا اغتياله من قبل معارضيه المختلفين، بيد أنه تمكن في كل مرة، بطريقة أو أخرى، من النجاة، ولم يكن يعتقد أن بالإمكان وقوع حادث اغتيال في إسرائيل، وخصوصاً لاسحق رايين، رئيس الأركان المجيد، المولود في إسرائيل والذي يحظى بشعبية كبيرة، والشجاع، والمحبوب، والذي شق لأبناء شعبة طريق السلام.

وهاهي الرصاصات الثلاث التي أطلقها ييغال عمير تصيب منه مقتلاً، لقد شعر الحسين وكأنها أصابته هو، وأدرك أنه إذا كانت الرصاصات قد أصابت رايين، فإن أي شخص آخر قد يتعرض لها أيضاً، وأدرك أن الطريق إلى السلام، منذ الآن، ستصبح أصعب.

وصلت العائلة الملكية إلى منزل ليثا رايين تحت حراسة متشددة جداً، وبينما وجد صعوبة بالغة في إخفاء دموعه، توجه الحسين إلى ليثا رايين وقبل وجنتيها، ثم جلس الملك والملكة في إحدى زوايا مكان الجلوس في الشقة الكبيرة، مرتبكين مهمومين، يراقبان ما يدور حولهما.

بدأت ليثا تحت تأثير الصدمة، وكانت بين الفينة والأخرى تتمم لنفسها ثلاثة عبارات، لقد أطلق عليه ثلاثة عبارات، وكان أحد المعزيين يتوجه إليها بين الفينة والأخرى ويهمس بشيء ما، وسط الأجواء الحزينة، أجواء الكارثة الثقيلة والصدمة والحزن العميق.

وفجأة لاحظت ليثا أن الملك والملكة جالسان في إحدى الزوايا مصدومين وخجلين، فقالت: " ليقدم لهم أحد شيئاً ما يأكلانه"، فتذوق الملك والملكة

مما قدم لهما، في حين حاول براك ونافا التخفيف عنهما، قدر المستطاع. لقد بدا على وجه الملك، أن هذا الحادث كان أحد الأحداث القاسية في حياته، وكان حزنه بادياً للعيان، ويمسح بين لحظة وأخرى دموعه. لقد تكلل الحسين أحد حلفائه واشد أصدقائه المقربين.

قرر بيرس في أعقاب مقتل رابين أن يسعى لتشكيل حكومة سلام حقيقية" مثملاً طلب منه أعضاء حزب ميرتس وأعضاء الكنيسة من اليسار، وعدم إجراء انتخابات مبكرة وأمن بأن بمقدوره إحلال السلام، أو على الأقل التوصل إلى اتفاق ما مع سورية قبل الانتخابات ولم يرغب في أن يتم انتخابه رئيساً على دماء رابين المسفوحة. لقد حلم بشرق أوسط جديد، وحلم بلقاء درامي مع الرئيس الأسد، وحلم بالسلام الشامل والكلي. لقد أراد أن يفوز بالانتخابات لأول مرة في حياته، بقواه الذاتية، لذا لم يستطع الالتزام أمام المفدال، بتجميد المبادرات السياسية.

كان براك يدرك في أعماقه أن قرار بيرس خاطئ- رغم أنه لم يجادله. كانت هناك ضرورة لتشكيل حكومة جديدة، والسؤال الذي كان يقض مضاجع إيهود براك هو: هل سيعينه بيرس وزيراً للدفاع، أم سيحتفظ بالمنصب لنفسه؟ كان يبدو ظاهرياً، أن تسليم ملف وزارة الدفاع إلى براك، هو مسألة طبيعية، فبراك كان رئيساً للأركان، وبالتالي، فإن بمقدوره إعفاء بيرس من عبء العمليات الإرهابية والجانب الأمني ويتيح له الفرصة لقيادة المسيرة السلمية. وقد أيد عدد من أعضاء الكنيسة، وعلى رأسهم عوزي برعام، الفكرة، كما شرعت وسائل الإعلام بالإشارة إليه، وأخذ مقربو براك يتحدثون عنه، أما براك، فقد حاول الحفاظ على هدوئه التام.

وبعد عدة أيام من الاغتيال، التقى بيرس وبراك في مكتب رئيس الحكومة، وبدأ بيرس منهمكاً ومتوتراً وحزيناً، وقال لبراك: "لقد بقيت وحيداً، صدقني إنني أفتقد اسحق جداً، لقد كنت على استعداد للتخلي عن منصب رئيس الحكومة برضاً تام. لقد سلمت بشراكتنا، كنا نعيش فترة جيدة وتعاوننا، وعملنا

معاً، لقد تعلمنا كيف يقدر كل منا الآخر، وفجأة يحدث ذلك. في أعقاب جميع النزاعات التي وقعت بيننا، وبعد جميع الرواسب، أدركنا أننا نستطيع، معاً فقط، أن نجلب السلام، وأنها بحاجة أجدنا إلى الآخر.

والآن، لم يعد موجوداً. بعد عدة أيام ساعلن عن تشكيل الحكومة الجديدة، وقبل أن أعلن عنها أرغب في سماع رأيك".

كان براك يدرك أن بيرس لازال مترددا بشأن وزارة الدفاع، ولم يرغب في ممارسة ضغوط عليه، لأنه آمن بأنه سيتخذ قراره بهذا الشأن لأسباب موضوعية، فقال: "أنا أدرك جسامه المسؤولية التي تتحملها، ولا أحسدك عليها، ولا أعتزم ممارسة أي ضغوط عليك، وكل قرار تتخذه سأقبله، وزير الدفاع، وزير الخارجية، لا، أجد غضاضة في ذلك، لكن قبل أن تتخذ قرارك أود أن أقول لك عدة أشياء.

ألمح براك خلال حديثه أن تسليمه وزارة الدفاع، سيعتبر بالنسبة له بمثابة خطوة طبيعية جدا في ظل الأوضاع الحالية، رغم أنه أكد قبوله للقرار الذي سيتخذه بيرس أيا كان. "قبل أن تتخذ قراراً: فكر في الفترة التي ستخوض غمارها، ونحن سنخوض مرحلة قاسية جداً، وستقع عمليات صعبة للغاية. وسترى حاقلات تتفجر، وربما منازل تهوي في عمليات (الإرهاب)، بل أن الأمر لم يكن سهلاً على اسحق، لقد مزقته العمليات، ومزقت قلبه، في حين كان أقوى منك على الصعيد الجماهيري في مواجهة هذه الأحداث. وأنا على استعداد لتحمل هذا العبء، ولدي الخلفية الأمنية المطلوبة، ولا أتردد للحظة في الوقوف أمام الجماهير، في مثل هذا الوضع. والآن الوضع رهن بك، فيما إذا كنت تريد الاقتداء بأسحق رايبين، وتتسلم وزارة الدفاع، إلى جانب منصبك كرئيس للحكومة، أو تقتدي بأسحق شامير وتكتفي بمنصبك كرئيس للحكومة، ولا شك أن هناك ميزة في الاحتفاظ بوزارة الدفاع، حيث سيمكنك الإشراف دون وساطات الجهاز الأمني مما سيساعدك في تنفيذ الاتفاقيات مع الفلسطينيين".

ومن الجانب الآخر لن تتمتع بالمزايا التي تمتع بها شامير في حينه، حيث لم يكن عليه الوقوف في وجه المستوطنين مثلاً.

لقد قال براك ما ينبغي قوله، كانت أحاسيسه مختلطة ومتضاربة، فمن ناحية، كان تواقاً جداً لتولي منصب وزير الدفاع، في هذا المنصب، سيجد نفسه، لأنه نما وترعرع في هذا المجال، ويعرف جميع خباياه، أضف إلى ذلك، أن توليه هذا المنصب، سيتيح له مواصلة بناء نفسه على الصعيدين السياسي والجهادى.

ومن الناحية الأخرى. أدرك براك، أن المنصب قد يصبح بالنسبة له مصيدة قاتلة، فهو يدرك أن الفترة القادمة ستشهد عمليات انتحارية خطيرة، وبوصفه وزيراً للدفاع، سيتوجب عليه أن يدفع الحساب، إزاء كل ما سيحدث.

وفي نفس الوقت، كان براك يدرك أنه لن يحظى بمنصب وزير للدفاع، وأن بيرس سيتوق لهذا المنصب لأنه يريد الاقتداء برابين، وارتداء رداءه، كي يحظى بالتقدير الذي تاق إليه طيلة حياته.

إن الرجل الذي أسهم أكبر الإسهامات في بناء أمن إسرائيل، يبدو في نظر الإسرائيليين كسياسي ليس إلا.

وقبل يوم من إعلان بيرس حكومته، قال لبراك: أنه يعتزم تعيينه وزيراً للخارجية، فشكره براك، رغم الإحباط الذي شعر به، وقال له: "أرجو ألا يندم أي منا على هذا التعيين".

الفصل الخامس والعشرون

براك وزيراً للخارجية

أيهود بدا غرا سياسيا في مواجهة أحداث حساسة

قدم رئيس الحكومة شمعون بيرس حكومته الجديدة أمام أعضاء مركز الحزب في قاعة "أهل-شم" في تل أبيب وقرأ أسماء الوزراء وسط مظاهر الحداد العميقة على اسحق رابين: بيلين وزير في مكتب رئيس الحكومة، إيهود براك وزير للخارجية حاييم رامون وزيراً للدخلية.

وفي نفس الليلة، أعلن مكتب رئيس الحكومة عن تعيين (أوري سابير)- عراب اتفاقيات أوسلو، منسقاً أعلى لمحادثات السلام، وخاضعاً مباشرة لمكتب رئيس الحكومة.

بدأت الشائعات تفيد بأن أوري سابير مطلع على الأمور أكثر من رئيسه- إيهود براك، وأن الأمور بشأن اتفاقية السلام، ستمر عبر سابير وبيرس، وتتجاوز براك، لذا عمد براك إلى قطع الشك باليقين، وطلب من سابير البقاء في منصبه كمدير عام لوزارة الخارجية، واعداد إياه بالتعاون فيما بينهما، وأنه في حاجة إليه، في هذا المنصب، فوافق سابير على ذلك.

وخلال المقابلة بينهما، قال له سابير: أود أن أوضح لك شيئاً، أنا ساكون خاضعاً لك ولرئيس الحكومة، وأعدك أنك ستكون أول من يطلع على مجريات الأمور. فوافق براك على أن يصدر هو، وليس بيرس كتاب تعيين سابير منسقاً أعلى لمحادثات السلام. وهكذا، أكد براك، على الصعيد الرمزي، مسئوليته عن سابير، وعن المسيرة السلمية، رغم أن سابير كان في الحقيقة يعمل مع بيرس.

وعاد براك للاجتماع ببيرس، وطلب هذه المرة أن يطلع على المعلومات السرية، التي يزود بها الجهاز الأمني رئيس الحكومة، فوافق بيرس على ذلك على أن يتلقى براك هذه المعلومات مباشرة من شعبة الاستخبارات العسكرية، كي لا يخضع لرغبات مسئول مكتب بيرس. وعد بيرس، بإطلاعها على الصورة بأكملها وأوفى بوعده.

وخلال مراسيم تسليم براك وزارة الخارجية بدأ بيرس حميماً مع براك، وسأله عن طبيعة الانتخابات التي سيتم إجراؤها، وسأله بصورة مفاجئة: ما رأيك

أن تتولى الحملة الانتخابية؟ وهكذا ولدت في هذه اللحظات الفكرة التي أثارت خلافاً جمة بين براك وحاييم رامون.

لقد قبل براك المهمة، وقال لبيرس: سأساعد بذلك، وليست لدي أي مشكلة. بيد أنه اكتشف حال اقتراب موعد الانتخابات أن حاييم رامون قد تسلم هذا المنصب.

لم تمض سوى ثلاثة أيام على توليه منصبه الجديد، حتى كان عليه أن يحضر مؤتمر برشلونه. وهي المهمة التي كانت تبدو مستحيلة. فالمؤتمر هو مبادرة من مبادرات الاتحاد الأوروبي، وهي ترمي إلى عقد لقاء بين وزراء خارجية حوض البحر المتوسط: أوروبيين وعرب وإسرائيليين ومسيحيين ومسلمين ويهود. والمؤتمر هو أحد الأحداث العالمية النادرة، التي يمكن أن نعثر خلالها على وزراء خارجية من سورية ولبنان وإسرائيل حول طاولة واحدة، وهم جميعاً يجلسون مع بعضهم البعض، متظاهرين بأن جميع الأمور على ما يرام.

وقد أعلم مسئولو وزارة الخارجية براك، بأن الوزير السابق - شمعون بيرس - كان يعكف على إعداد خطاب مؤتمر برشلونه اشهرًا طويلاً. فقد كان يعتبر هذا المؤتمر، بمثابة فرصة لا تعوض لدفع الشرق الأوسط إلى الأمام باتجاه الشرق الأوسط الجديد، ولإقامة اتصالات مع وزير الخارجية السوري واللبناني.

كان براك غرا جاهلاً في الشؤون الخارجية، والدبلوماسية - ولم يدر ما الذي يجري الحديث حوله وكيف ولماذا ورغم ذلك قرر أن يمثل إسرائيل في المؤتمر.

وحال توليه منصبه عقد براك اجتماعاً لكبار مسئولي الوزارة حضره: أوري سابير المدير العام، ونائبه إيتان بن تسور، ومدير شعبة أوروبا ميكى بابلي، وسرعان ما تلاشت الشكوك التي كانت تملأ قلوب هؤلاء المسئولين تجاه قدرة براك.

وفي برشلونه قابل ايهورد براك ياسر عرفات لأول مرة. لقد تعرف على عرفات قبل ذلك عبر عمله كرئيس لشعبة الاستخبارات العسكرية. وخلال المفاوضات، كان أمنون شاحك هو الذي يحتك بالفلسطينيين، أما براك فقد حافظ على بعد معين من عرفات.

دعا ملك إسبانيا جميع وزراء الخارجية إلى مقره لحضور حفل استقبال لهم. وقد قدم جميع الوزراء في السيارات المعدة، باستثناء اثنين، قدما في سيارات مصفحة، وتحت حماية مشددة: عرفات وبراك.

كان القصر لا يزال خاليا من الضيوف عندما وصل براك، فتجول في جنباته متأملا الصور المعلقة، وفجأة شاهد بيانو في إحدى زوايا القاعة وبدأ يعزف. وفجأة، لاحظ أن حارسه الشخصي يبدي عدم ارتياح، فسأله عن الأمر، فقال الحارس: يجب أن تدرك أن عرفات سيصل إلى القاعة بعد قليل. وقبل أن يكمل الحارس كلامه، كان عرفات يقف إلى جوار البيانو.

ألقي عرفات السلام، وقال: لقد سمعت عنك الكثير، وأنا سعيد بلقائك، وأمل أن تتاح لنا فرصة للحوار.

صافح براك عرفات وقال: أنا أيضا سمعت عنك الكثير، وقبل زمن طويل من استقبالك في القصور الأوروبية، لقد تتبعتك كمسكري وكرئيس لجهاز المخابرات. وأنا سعيد للقاءك في الوقت الذي أصبح كل شيء وراء ظهورنا، ورغم أنني أدرك أن أمامنا خلافات صعبة، ولحظات قاسية.

حاول براك طيلة الجلسات إجراء اتصال مع وزير الخارجية السوري، دون جدوى، فقد كان الشرع يتهرب منه ويتجاهله، ويحرص على عدم إجراء أي اتصال مباشر معه، وكان وزير الخارجية الهولندي يتولى أعمال الوساطة بينهما. جرى اللقاء الأول بين براك وعرفات في جناح عرفات. وقد جرت اللقاءات التمهيدية للمقابلة بين مساعدي براك، وعرفات، وعلى رأسهم مروان كنفاني. وقد وصل براك إليها بصحبة كيرن، ويعكبس وإيتان بن تسور، في حين أحيط عرفات بمساعديه ومن بينهم أبو مازن وكنفاني.

وخلال اللقاء الذي استغرق حوالي ثلاث ساعات، عقد عرفات وبراك اجتماعا مغلقا استغرق حوالي ساعة. وفي حوالي الساعة الخامسة صباحا عقد الاثنان مؤتمرا صحفيا. لقد اتضح لبراك أن (الشيطان) لم يكن سيئا إلى هذا الحد الكبير، الذي كان يظنه.

لقد بلغ براك الذروة خلال مؤتمر برشلونه عندما ألقى كلمته الختامية أمام الحضور، فقد وجه نظرة مباشرة إلى وزير الخارجية السوري، ودعاه إلى استئناف الحوار بين الدولتين، وأن يتحدث معه بصورة مباشرة، ودون أي شروط مسبقة. حول السلام، وأن يوقف الدائرة الدموية، وقال: "إسرائيل تمد يد السلام إليكم".

شهدت فترة خدمة براك في وزارة الخارجية عدة قضايا مثيرة، من بينها، افتتاح مكتب المصالح التونسي. وقد أدار براك المحادثات مع وزير الخارجية التونسي الحبيب بن يحيى، بوساطة أميركية فاعلة. وفي كانون الأول ١٩٩٥، وإبان الزيارة الرسمية التي قام بها إلى بودابست، اجتمع براك مع بن يحيى. وقد عقد الاجتماع في جناح براك في فندق (فوروم) في العاصمة الهنغارية، وتم خلاله الاتفاق على عملية فتح ممثلات متبادلة، والاتفاق على توقيع الاتفاق خلال شهر كانون الثاني في واشنطن.

وفي الثاني والعشرين من كانون الثاني ١٩٩٦ استضاف وزير الخارجية الأميركي وارن كريستوفر وزير الخارجية الإسرائيلي والتونسي. كانت الوثائق معدة سلفا، ومن الواضح للطرفين أن الاجتماع هو اجتماع مراسيم رمزي، سيقع الوزيران في نهايته على الاتفاق، ويتصاقحان أمام عدسات أجهزة التصوير.

وعندما جاء دور بن يحيى لإلقاء كلمته، كاد الحاضرون أن يغفوا عليهم، فقد فتح بن يحيى المفاوضات من جديد، وكأنه لم تجر طيلة أشهر مناقشات واتصالات، وكان سيئا لم يحدد سلفا، وتحدث عن شهر رمضان وعن الصيام، وعن المشاكل العديدة التي تحول دون فتح المكتب التونسي في تل أبيب.

لقد تم الاتفاق على أن يفتتح البلدان ممثلين في آن واحد، بيد أن بن يحيى قال في حقيقة الامر: أن بلاده لا تستطيع فتح المكتب في تل أبيب، أو بمعنى آخر قال: هناك صفقة متفق عليها، لكن لا توجد بضائع للتبادل.

وفي ساعات ما بعد الظهر، بدأ روس أعمال الوساطة بين الطرفين، وفي نهايتها تم التوصل إلى تسوية، تنص على استكمال الطرفين الإجراءات الخاصة بفتح المكتبين حتى الخامس عشر من نيسان.

أوفت إسرائيل بتعهداتها، وقام ممثلها بفتح المكتب الإسرائيلي في تونس في الخامس عشر من نيسان، في حين تأخرت تونس في فتحه، ولم يصل ممثلها إلى إسرائيل إلا بعد حوالي شهر من الموعد المذكور. وتم فتح المكتب في نهاية المطاف قبل وقت قصير من الانتخابات الإسرائيلية، التي جرت في التاسع والعشرين من أيار ١٩٩٦.

وفي الثامن من أيار - ثلاثة أسابيع قبل الانتخابات الإسرائيلية - استضاف براك في جناحه في واشنطن وزير الخارجية العماني يوسف بن علوي. وقد أعرب بن علوي عن قلقه على الرئيس السوري حافظ الأسد، وقال أنه مريض ويتعاطى كمية كبيرة من (الكورتيزون)، وأن ذاكرته بدأت تخونه، وفي لحظة ما، سينسى كل شيء، وتذهب جميع تفاهماتكم معهم أدراج الرياح^٣.

تواصلت الاتصالات الإسرائيلية في تلك الأونة مع الكويت والبحرين. وعلى عكس سلطنة عمان وقطر - اللتين أقامتا علاقات مباشرة مع حكومة اسحق رابين وبيرس - فقد فضلت الكويت والبحرين إقامة علاقات سرية.

وكان هناك على جداول الأعمال لقاء محتمل بين براك وولي العهد البحريني، إضافة إلى العديد من اللقاءات التي أجراها ممثلو هاتين الدولتين مع ممثلين إسرائيلي

الفصل السادس والعشرون

-الصراع على الرئاسة-

العمليات الانتخابية تمزق شعبة بيرس

وتمهد الطريق أمام براك لزعامة حزب العمل

منذ أن خسر براك قيادة الحملة الانتخابية لصالح حاييم رامون، وهو يشعر بعدم الارتياح للتصورات الانتخابية الحزبية، لقد اعتقد أن من الضروري مهاجمة نتنياهو جبهويا، قبل أن يحظى بانتشار جماهيري.

وفجأة، بدأت العمليات الانتحارية التي شنتها حركة حماس في قلب إسرائيل، وقد تمكنت أول هذه العمليات من تدمير حافلة على (خط ١٨) في القدس. وأسفرت عن مقتل، وجرح عشرات الأشخاص، وأخذت الصحف ووسائل الإعلام تنشر صور الرعب على صفحاتها الأولى.

بدا شمعون بيرس مهموما، إثر الحادث، وقد اتصل به براك قبل أن يغادر بيته إلى مكتبه، وطلب منه عدم الذهاب إلى مكان الحادث، وقال له : "شمعون لا يوجد ما يجب عليك أن تذهب من أجله، فحتى إسحق رابين، ما كان ليذهب إلى هناك في مثل هذه الحالات ولأنه إذا ما ذهب الآن، فسوف تحدد نمطا يصعب عليك، في المستقبل عدم العمل به، وأول ما يجب عليك عمله، هو تجميد المحادثات السياسية حتى إشعار آخر، وأن تفعل ذلك الآن فوراً، وقبل أن تفحص أو تدرس شيئا، فنحن لا نتحدث عن السلام في الوقت الذي تقع في العمليات الانتحارية، فالجماهير لن تتحمل إجراء مفاوضات، في الوقت الذي تتناثر فيه الجثث اليهودية، يجب أن تعقد اجتماعا طارئا لجميع الجهات الأمنية، وأن تعطي انطبعا بوجود حالة طوارئ، وتعلن عن إغلاق المناطق، وتتخذ خطوات أخرى لإعطاء الجماهير انطبعا، بأنك تعالج القضية".

لم يقبل بيرس الاقتراحات التي قدمها إليه براك، وذهب صبيحة نفس اليوم، إلى مكان العملية، وقد كانت هناك حاجة لتخصيص قوة أمن كبيرة جدا، للفصل بينه وبين المتظاهرين الهائجين، الذين أطلقوا الشعارات المعادية والشاحبة لشمعون بيرس.

وقد اختلق شمعون بيرس آنذاك المقولة المعروفة : "سنوات السلام وكان الإرهاب غير موجود أو سنحارب الإرهاب وكان السلام غير قائم".

كان بيرس يصر على مواصلة المسيرة السلمية وعدم منح حماس جائزة، وعدم صب الحب في طاحونة الإرهاب بتجميد المسيرة السلمية. وبعد أن أفاق بيرس من الصدمة، أمر كبار وزرائه بأن يعدوا خطة فصل عن الفلسطينيين فقد كان يدرك أن عليه إقناع الجماهير الإسرائيلية بأن لديه حلاً، لقد كان يعارض طيلة حياته، الفصل عن الفلسطينيين ويؤمن بدمج الأجهزة وبالتعاون في "الشرق الأوسط الجديد" أما الآن - وأمام الجثث الممزقة، وتدني شخصيته في نسب استطلاعات الرأي العام، فقد أدرك أن عليه تغيير اتجاهه، فطلب من اليهود براك جمع الوزراء، وعرض خطة فصل.

وقعت العملية الانتحارية الأولى، يوم الأحد الموافق الخامس والعشرين من شباط ١٩٩٦، وفي الثاني من آذار ١٩٩٦، عقد براك اجتماعاً في مكتبه حضره حاييم رامون وبنيامين بن اليعيزر ويوسي سرير وموشيه شاحل ويوسي بيلين، وقد حضر وزير الداخلية شاحل - الذي كان أحد أشد أنصار الفصل بين إسرائيل والفلسطينيين - خطة فصل متكاملة ومطبوعة وتنتظر فقط التوقيع، بيد أن الحاضرين رفضوها رفضاً مطلقاً، فلم يكن أي منهم على استعداد لمنح شاحل شرف القول بأنه تنبأ بما سيحدث وأعد العدة لمواجهته.

وفي نهاية الجدل الذي نشب بين الحاضرين، تم الاتفاق على قيام المجموعة، ببلورة خطة فصل مفصلة يتم حفظها سراً، وفي صبيحة اليوم الثاني يعقد شمعون بيرس اجتماعاً للحكومة، ويتم إبعاد الصحفيين والتعتيم بصورة متكاملة على النقاشات، وتتواصل الاجتماعات والنقاشات حتى ساعات المساء، دون تسريب أي شيء، ثم يعقد بيرس مؤتمراً صحفياً، يعلن فيه عن الفصل بين الجانبين، كحل للإرهاب، وتعلن الحكومة أنها تأمل في علاقة حسن جوار مع الفلسطينيين، بيد أنها معنية بالفصل التام بين الجماهير.

ويقوم بيرس بتعيين طاقم وزاري لتطبيق الخطة، في أسرع وقت ممكن، مما سيؤدي إلى تهدئة روع الجماهير، وعودة بيرس للسيطرة على الوضع.

كان الاعتقاد السائد، أنه لن نقع أي عمليات أخرى حتى الانتخابات، كما أن خطة الفصل ستكون بمثابة مهدئ فعال، يساعد بيرس في إعادة تحسين وضعه، وقد سأل الوزير بن اليعيزر : ما الذي سيحدث إذا ما عارض عرفات هذه الخطة؟ فقال براك يجب أن نعد بندا مناسباً للرد على هذا الرفض في الخطة نفسها، وفعلاً تم صياغة بند ينص على أن تُنفَّذ خطة الفصل سيأتي متوافقاً مع جميع الاتفاقيات التي وقعت عليها إسرائيل، بما فيها اتفاقيات أوسلو.

وفي حوالي الساعة الثالثة صباحاً، تمت بلورة خطة الفصل التي يجب على حكومة إسرائيل أن تصادق عليها، على النحو التالي :

١- أن العمل من أجل بلورة واقع تعايش سلمي بأمن وسلام بين إسرائيل والفلسطينيين يجعل الحكومة تتخذ قراراً ينص على العمل للفصل بين الجماهير الإسرائيلية والفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة.

٢- على طول مساحات الفصل، ولغرض الرقابة والسيطرة على وسائل النقل، والمشاة والبضائع العابرة من الضفة الغربية وغزة إلى إسرائيل والعكس، يتم إقامة معابر منظمة.

٣- ضمان صورة مناسبة لعبور وسائل النقل والبضائع وفقاً للتصاريح الخاصة بذلك.

٤- بذل الجهود للحيلولة دون الدخول غير المشروع لوسائل النقل، والأشخاص من المناطق الواقعة بين المعابر.

٥- تعزيز الوضع الأمني في القدس عبر تعزيز الجهات الاستخبارية وتعزيز الشرطة في المدينة.

٦- المصادقة على ميزانية لتنفيذ القرار بقيمة ٢٤٧ مليون شيكل على سنتين، ويقوم رئيس الحكومة ووزير المالية ووزير الداخلية، بتحديد مصادر التمويل.

٧- يتم تنفيذ القرارات المذكورة مع احترام الاتفاقيات الدولية التي وقعت عليها إسرائيل بما فيها اتفاقيات أوسلو.

٨- يقوم وزير الأمن الداخلي، وبالتنسيق مع الجهات المختصة بالعمل على تنفيذ القرار.

وفي حوالي الساعة الثالثة والنصف، توجه براك إلى منزل بيرس، الذي قرأ الخطة ووافق عليها، ثم أخذها براك بعد أن أعلمه بما سيتم غدا خلال جلسة الحكومة، وتوجه إلى فندقه في القدس، واستلقى ليأخذ قسطا من النوم قبل بدء جلسة الحكومة.

ما كاد براك يغمض عينيه، حتى سمع صوت انفجار كبير في مركز المدينة، لقد وقع انفجار اخر بعد أسبوع بالضبط من الحادث الأول، وفي نفس حفلات الخط ١٨ ومرة أخرى، في ساعات الصباح الباكر، ومرة أخرى عشرات القتلى والجرحى وأعضاء بشرية متناثرة، وهيجان جماهيري وغضب عارم، قوض الانفجار الثاني نظرية بيرس حول إمكانية السير إلى الأمام، وأدرك أنه يخوض حربا، ويجب أن يزيل القفزات من يديه، لذا أمر بفرض الإغلاق التام على الضفة وغزة، لقد أدرك أن المنظمات المتطرفة، تسعى لإهارة حكومته وتخريب المسيرة السلمية، في الوقت الذي وقف عاجزا دون حول أو قوة، فيما الكوارث تتوالى فوق رأسه.

عرض شارون اقتراحا على بيرس بين الانفجارين، ينص على توليته وزارة الدفاع، كانت الفكرة مثيرة للاهتمام، أن يتم تشكيل حكومة وحدة وطنية إزاء الوضع الأمني المتدهور، ويقوم شارون، عبر وزارة الدفاع، بمعالجة الوضع الأمني.

وقد سأل أحد الأشخاص المشاركين في الاتصالات السرية شارون : وماذا نفعل مع نتنياهو؟ فقال شارون : دعوه لي، أنا سأتدبر الأمور معه.

استدعى بيرس يهود براك، وقال له : شارون اقترح أن نوليّه وزارة الدفاع، خذ يوسي بيلين وحاييم رامون، وتشاورا، وعودوا إليّ بعد الظهر بآرائكم. طرح بيلين مزايا وعيوب ضم شارون إلى الحكومة كوزير للدفاع، فوجد الثلاثة ان العيوب أكثر من المزايا، وجاء ردهم سلبيا.

وبينما الإسرائيليون لا زالوا يلحقون جراحهم وقع الحادث الثالث، والذي كان أشد وأخطر من الحادثين السابقين، فقد وصل الانتحاري هذه المرة إلى قلب تل أبيب، وفي شارع ديزنغوف عشية عيد المساخر، وبدأ أن الرعب والفرع الذي أخذ بتلاييب الجماهير الإسرائيلية هو أكبر من القدرة على التحمل.

اتصل يوسي بيلين بإيهود براك، وقال له : تعال نجلس مرة أخرى أنا وأنت وحاييم رمون لنتدارس الأمر من جديد، وألح إلى أنه يرغب في إعادة النظر بقضية تعيين شارون وزيرا للدفاع.

اتصل براك بجيورا عيني، وقال له : إن يوسي يقترح عليه الاجتماع به هو وحاييم رمون، فسأله عيني، هل بيرس يعرف بذلك؟؟ فقال براك "لا، إنه لا يعرف"، فنصحته عيني بعدم الذهاب قائلا : تخيل أن بيرس سيعلم أنكم تجتمعون من وراء ظهره، وسيفكر بما ستقولونه وحكمكم".

أخذت الجماهير تتجمع في مظاهرات عضوية وهي تصرخ بملاء الفم : لا نريد سلاما، نريد حربا.

اتصل بيرس ببراك، وقال له أنه يريد أن يراه على انفراد، فذهب إليه براك، وبدأ أن هناك اتهاما يلحق في جو الغرفة، ويتعلق بعدم تعيين بيرس لبراك وزيرا للدفاع، وبدأ أن بيرس نادى على ذلك، بيد أن الأوان كان قد فات، لقد فقد بيرس مرة واحدة، المكانة والإجماع الكبير الذي التف حوله في أعقاب مقتل رابين.

لقد حطمت الانفجارات الشعور بالسلام والأمن، وحولت بيرس بين عشية وضحاها إلى عدو الجماهير.

انضم إلى المقابلة رئيس الأركان ورئيس شعبة الاستخبارات العسكرية وضباط آخرون، وحاولوا بلورة خطة، أمنية ماء، كان من الواضح للجميع ضرورة عمل شيء ما، لكن لا يوجد من يدري ما هو.

وفي حوالي الساعة الخامسة والنصف، عقدت الحكومة جلستها، ونقلت شبكات التلفزيون في بث حي الأحداث الدرامية التي تحدث.

فجأة بدأت أجهزة الإرسال الموجودة بحوزة عدد من الصحفيين في إصدار ذبذبتها، وأفادت أن حاييم رامون وبراك ويوسي بيلين عقدوا اجتماعا في مكتب رامون، وخططوا لمؤامرة ضد بيرس، يجبرونه خلالها، على تعيين براك وزيرا للدفاع، فسارع المراسلون إلى بث هذا النبأ على الهواء مباشرة، مما أشاع جوا من الثورة والتمرد والانقلاب داخل الحكومة الإسرائيلية.

قدم آفي بينهو، مستشار رئيس الحكومة لشئون الإعلام وهمس في أذان بيرس بالنبأ الشائع، فالتفت بيرس إلى براك، وقال بغضب: ما هذا؟؟

- براك : لا توجد لدي أي فكرة عما تتحدث عنه.
- بيرس: إذا أخرج إلى الصحفيين وكذب النبأ..
- براك : لقد سمعته لتوي، قل لمن سربه أن يكذبه لا علاقة لي به أبدا.
- لم يدرك براك بوصفه غرا سياسيا حقيقة ما يحدث، لم يدرك أن من سرب النبأ يقصد الإيحاء إلى بيرس بأن براك يسمى للإطاحة به.
- وفي النهاية خرج بينهو إلى الصحفيين وأكد أن الخبر عار عن الصحة تماما.

كانت الأيام التي تلت الانفجارات الثلاثة شديدة المرارة، فقد قام الجهاز الأمني الإسرائيلي بأمر مباشر من بيرس بتشديد قبضته على الفلسطينيين، وأصبح الإغلاق محكما، ووصل الوضع في الضفة إلى حافة الجوع. بدأت العملية الانتخابية تدخل مرحلة سريعة جدا، وعاد براك للمطالبة باتحاد إجراءات متشددة في مواجهة نتنياهو، لقد أقلقه الخطر المعتدل الذي انتجه مسئولو الحملة الانتخابية.

وفي الحادي عشر من نيسان، شن الجيش الإسرائيلي حرب "عناقيد الغضب"، على أرضية قيام حزب الله بقصف مستوطنات الشمال بالكاتوشا كانت تلك الحرب شبيهة بحرب "يوم الحساب" التي قادها براك، إيان توليه منصب رئاسة الأركان.

وعادت المناظر المألوفة إلى الظهور، من جديد، طائرات سلاح الجو الإسرائيلي تهاجم القرى اللبنانية، وآلاف اللاجئين يتدفقون شمالا، والحكومة اللبنانية تستغيث طلبا للنجدة، ودول العالم تشجب إسرائيل.

بيد أن العملية انهارت في أعقاب قيام الجيش الإسرائيلي بقصف معسكر الأمم المتحدة في قرية (قانا) ومقتل مائة شخص من اللاجئين، وإصابة العشرات بجراح، وهكذا، شاهد بيرس مرة أخرى عمله يذهب أدراج الرياح، وفقدت إسرائيل مبرراتها لشن الحرب على الصعيد العالمي، كما فقد بيرس أصوات الناخبين العرب في إسرائيل.

ورغم ذلك، أمل أن يكون نجاح في تحسين صورته الأمنية، حيث أخذ يتجول، إبان الحرب وبين وحدات الجيش، وهو يرتدي سترة عسكرية زرقاء، وكان يأمل أن يحظى بفترة راحة من العمليات، لأنه كان يدرك أن الانفجار القادم سيقضي على أي فرصة أخرى بالفوز في الانتخابات.

وفي الثامن والعشرين من أيار، أي قبل يوم واحد من التوجه إلى صناديق الاقتراع توجه براك إلى (بني براك) واجتمع هناك مع مقربي الحاخام أليشيب كبير الحاخامات الحرايم وقال لهم : لقد أتيت إليكم نظيف اليدين، غدا الانتخابات وبالتالي لا أستطيع أن أكسب شيئا من هذه الزيارة، بيد أنني أؤكد بها على أن بيننا حوارا، وأمل أن يتواصل بعد الانتخابات. وظهر نفس اليوم وصل بعكبتس الى مكتب براك في تل أبيب، وأحضر معه نتائج الاستطلاع الذي أجراه (حانوخ سميث) الليلة الماضية، وكانت النتائج تشير الى أن نتنياهو حصل على ١٠,١% في حين حصل بيرس على ٤٨,٥% كان هذا الاستطلاع أول استطلاع لمكتب براك الذي يشير الى فوز نتنياهو، وقد حدث ذلك عشية الانتخابات.

وصل براك الى مركز الحملة الانتخابية الذي يديره حزب العمل، وبدلا من أن يجد عملا منظما وجد كومة من الناس، غالبيتهم قدموا لقتل الوقت. وفي داخل المكتب الرئيسي، بدا (موشيه شاحل) رئيس يوم الانتخابات وكأنه نصف نائم، في حين كان بيرس يتصل بصورة نصف هستيرية برؤساء البلديات

والمجالس المحلية العربية، في محاولة لدفعهم للتصويت، كانت التقارير تشير الى وجود نسب ضئيلة من المصوتين العرب، مما يعني هزيمة ساحقة لبيرس، لقد وصلت حالة اليأس ببيرس إلى الدرجة التي جعلته يتصل بالعرب الذين يعرفهم، وكاد أن يتوسل إليهم لإنقاذه.

عاد براك الى فندقه، فقد أدرك أنه لم يعد هناك ما يمكن عمله، وهناك شاهد ، مع كورن وبعكبتس، النموذج الانتخابي للقناة الأولى والثانية، واللذين أكدا على تفوق طفيف لبيرس.

توجه براك الى مركز الحملة الانتخابية فوجد زعامة الحزب كلها هناك، سعداء بالنتائج التي عرضها التلفزيون، وفي حوالي منتصف الليل بدأ الفارق بين الاثنين يتقلص.

ذهب براك للنوم، وفي الساعة الخامسة والنصف، وصل الى الفندق روني بوندي، وقال له لم يعد هناك أي أمل لقد فاز نتنياهو.

وفي حوالي الساعة العاشرة صباحا اجتمع براك مع بن اليعيزر وشوحت لتناول وجبة الإفطار كانت الأجواء صعبة للغاية، وجوه الزعماء الثلاثة عابسة، وفجأة قال شوحت وبن اليعيزر، "براك، لقد انتهى الأمر، يجب أن تمسك بزمام الأمور"، كان الاثنان يدركان معنى الهزيمة التي مني بها بيرس، إن الهزيمة تعني أنه انتهى، والأمور لن تسير دون نضال "جميع العيون ستترنو إليك ويجب عليك ان تأخذ الأمور، بيدك، ويجب أن تدرس أيضا إمكانية تشكيل حكومة الوحدة الوطنية، أدرس ما الذي يفكر فيه نتنياهو بهذا الصدد".

وهكذا تشكل التحالف الأول بعد الانتخابات بين إيهود براك وبن اليعيزر وشوحت، وقد وقفا الى جانبه في المسيرة التي قادته الى رئاسة الحزب.

عقد اللقاء الجدي الأول بين بيرس وبراك بعد أسبوع من الانتخابات في منزل بيرس، وقد استهل بيرس الحديث قائلا : إيهود أنا أدرك مغزى ما حدث، سنضطر للامساك بالأعنة وقيادة الحزب في مواجهة نتنياهو، أما أنا فسأجد ما أفعله، لا أعتزم البقاء في البيت، سأحاول مواصلة العمل من أجل السلام، وأمل

أن تتجح في معالجة نتتياهو، إن هذا الرجل لا يفقه شيئا مما يفعل، وسرعان ما سيجد نفسه خاضعا لشارون الذي سيتحول الى أقوى شخصية في الحكومة، لقد جلب له ارئيل شارون أصوات الحزاديم، لذا فإنه مدين له بالفوز، وأنا، رغم ذلك، أتوقع له أن يتحطم.

فقال براك : بيرس، أنت مخطئ، أنت تعرف ارئيل شارون، والجهاز القديم للعمل، أما أنا فأعرف القانون الجديد والانتخاب المباشر، لقد قرأت عنه بصورة موسعة، وكذلك نتتياهو يعرفه حقاً نتتياهو لا يتمتع بخبرة على صعيد إدارة الدولة، لكن لديه قدرة جيدة على صعيد استخدام القوة الممنوحة له شرعياً ولا أعتقد أن شارون أو أي جهة أخرى تستطيع إيقافه، فالقانون يمنحه قوة غير محدودة بل إن نتتياهو سيحاول بادئ ذي بدء، إبعاد شارون نظراً لكونه قوياً.

عاد بيرس الى الوضع الحزبي، فقال : أنا أدرك مغزى ما حدث، وسأنتقل إليك عصا القيادة يجب العثور على أسلوب لنقلها إليك بسرعة، وسأعمل على تقديم جميع المساعدات التي تطلبها مني.

عاد براك الى منزله، في ساعات الفجر الأولى وقال لزوجته : تبدو الأمور جيدة جداً فهو يعتزم نقل القيادة لسي إرادته الحرة بيد أن زوجته رفضت تصديق ذلك.

وبعد عدة أيام اجتمع براك بعدد من مقربيه فأتضح له أن بيرس تراجع عن فكرة تسليمه زمام الأمور، وأنه بدأ يتحدث عن إرجاء الانتخابات التمهيدية الداخلية (البرايمرز) لرئاسة الحزب، وعن ضرورة العمل على ترميم الحزب، والانضمام الى حكومة وحدة وطنية، لقد أدرك براك، أن بيرس لن يترك منصبه بإرادته ويجب أن يريه الطريق.

اجتمع عضو الكنيست دان مريدور ليكود قبل يوم واحد من الانتخابات بنتتياهو، وقال له : إذا فزت غدا يجب أن تشكل حكومة وحدة وطنية فوافق نتتياهو.

وفي صبيحة يوم الفوز استدعى نتتياهو مريدور وقال له : اذهب الى براك وتحدث معه حول تشكيل حكومة وحدة وطنية فسأله مريدور، فيما إذا كان جادا؟؟ فقال نتتياهو أنا جاد جدا، تحدثوا حاليا حول الشروط والنية، لكن ليس عن الوزارات. اجتمع مريدور ببراك وبعد أن حصل براك على موافقة متحفظة من بيرس وناقش صورة تشكيل حكومته وحدة وطنية وبنيتها واتفقا على أن تكون مختلفة عن حكومة الوحدة الوطنية السابقة.

عاد مريدور الى نتتياهو وأعلمه بالتقدم الذي حدث على صعيد مباحثاته مع براك فقال له نتتياهو : "جميل وأصل التفاوض"، وقد اجتمع مريدور، بهذا الخصوص، مع شوحط وبيلين وحينما عاد الى نتتياهو أبدى حماسا بالغاً لما آلت اليه الأمور.

وبعد حوالي أسبوع، اكتشف مريدور، أنه يدور في حلقة مفرغة، فقد كاد نتتياهو يستكمل تشكيل حكومته، دون أن يشير الى حزب العمل، واتضح له أن نتتياهو كان يستغله في عملية تضليل لأشغال حزب العمل، ولم يفكر أبدا في تشكيل حكومة وحدة وطنية.

اجتمع براك وبيرس عدة مرات في محاولة لتحديد تاريخ متفق عليه لانتخاب رئيس للحزب ولبلورة الإجراءات وفي نهاية هذه الاجتماعات بقي بيرس جريحا ومهاناً، وهو منذ ذلك اليوم يحتقر براك، ويرفض سماع اسمه، ترى ما الذي حدث خلال هذه اللقاءات؟؟

حاول بيرس في البداية، المساومة على تاريخ لانتخاب رئيس الحزب الجديد، وذكر عام ١٩٩٩ ثم تراجع الى كانون الثاني ١٩٩٨، بيد أن براك وانطلاقاً من القوة، أفهمه أنه لا يوجد ما يمكن الحديث حوله، هناك قانون للحزب، وسنعمل وفقاً له، يجب أن نعيد ترميم الحزب ولا وقت لدينا.

وفي نهاية المطاف تم الاتفاق على انتخابات داخلية مبكرة في الثالث من حزيران ١٩٩٧.

ثم نشب جدل جديد، تم الاتفاق في نهايته على أن تحدد فترة انتقالية بعد الانتخابات يكون هناك الحق للرئيس القديم وبالتشاور مع الرئيس الجديد، اختيار الوزراء الذين سيشاركون في حكومة الوحدة الوطنية إذا ما تشكلت مثل هذه الحكومة.

لقد التقى بيرس وبراك لإجمال الإجراءات والاتفاق عليها، ويطلق المطلعون على خفايا تلك المقابلة اسم (المحادثة الصعبة)، وهي التي تركت بيرس جريحا حتى اليوم.

طالب بيرس إن تمتد الفترة الانتقالية انفة الذكر لمدة ستة أشهر، من شهر حزيران موعد انتخاب الرئيس الجديد، وحتى كانون الأول بيد أن براك عارض ذلك فتنازل بيرس حتى تشرين الثاني، بيد أن براك عارض حتى وصلت الأمور إلى أيلول، ثم بدأ الجدل حول الأيام، فاقترح براك الخامس عشر من أيلول، بيد أن بيرس أراد أن يحدد اليوم بنهاية شهر أيلول، نظرا لأن عيد رأس السنة صادف نهاية أيلول، وأراد بيرس أن يقضي العيد وهو يحمل شعورا بإمكانية تشكيل حكومة وحدة وطنية.

رفض براك ذلك رفضا باتا، فقال له بيرس لا اعتقد أن عدة أيام هي مسألة مهمة، فقال براك: إذا لم يكن مهما فلماذا لا تتنازل وإذا كان مهما لك، فلماذا لا يكون مهما لي أيضا؟

بيرس : "أنت تجادل على مسألة هامشية وتافهة على عدة أيام؟"
براك : شمعون، هذه ليست مسألة شخصية أنت تعرف أنني أكن لك احتراما كبيرا، بيد أنه يجب وضع حد للوضع في مرحلة ما، ويجب عمل ذلك، وهذه مسألة مبدئية بالنسبة لي، ولست على استعداد للتنازل.

وانتهت المقابلة حتى هنا، وبيرس يتسعر أنه جريح ومهان إهانة لا تغتفر.

قال له عيني : لقد بالغت مع بيرس.

براك : لم أبالغ، لقد كان من الضرورة وضع خط أحمر في لحظة ما، ولو لم أفعل ذلك، لوجد شيئا آخر.

وهكذا تم الاتفاق على أن يظل بيرس حتى الخامس عشر من أيلول بالصفة التي أشرنا إليها آنفا.

وفي اليوم نفسه، دعا بيرس مسؤولي الحزب كسي يعلمهم بما تم الاتفاق عليه، بينه وبين براك، بيد أنه استدعى براك قبلهم بمساعة، وهناك بدا الجو هادئا، وبدأ بيرس مسلما بالأمر وراضيا، وجرت المقابلة على احسن وجه، وفي الثالث من حزيران تم انتخاب براك رئيسا لحزب العمل بأغلبية ضئيلة تزيد قليلا عن ٥٠% من أصوات أعضاء الحزب، وفي المكانة الثانية جاء يوسي بيلين وفي المكانة الثالثة شلومو بن عامي، وفي المكانة الرابعة أفرايم سنية.

الفصل السابع والعشرون

- معركة حياته -

براك ارتكب أخطاء جسيمة وخيب ظن حزب العمل

في أوج أزمة الخليج استدعي رئيس الحكومة نتنياهو، براك لإطلاعه على الأوضاع، وفي أعقاب المقابلة، وجد براك خارج قاعة الاجتماعات، عددا كبيرا من الصحفيين والمصورين بانتظاره، كي يلقي كلمة ما، أو يدلي بحديث، وبدأ يتكلم وهو قريب جدا من أجهزة التصوير التلفزيونية، ويحملق فيها، وفجأة اقترب منه شاي براك مستشار رئيس الحكومة للشئون الإعلامية - وهمس في أذنه بشيء ما، وتراجع الى الخلف، لقد قال له : لا تقترب الى هذا الحد من الكاميرات، لأن صورك ستخرج الى الشاشة بشعة كعين السمكة.

ولانجد أدق من هذا الوضع كي يشهد على وضع أهود براك، في نهاية عام من تسلمه مقاليد الرئاسة في حزب العمل، إن الرجل الذي كان أمل الحزب في تحقيق الانتصارات في المستقبل، بقي مصلوبا على المدرج، ولم يستطع التحليق أبدا.

لقد ارتكب سلسلة من الأخطاء الجسيمة، وأدلى بالعديد من التصريحات الفاشلة، وارتكب أعمالا خاطئة، مما حوله الى هدف للهجمات والانتقادات من الداخل، والخارج، لقد توقع أعضاء حزبه أن يقودهم الى عودة سريعة للسلطة، بيد أن هذا لم يحدث، وبدلا من ذلك، حصلوا على استقالات من قبل موظفي وعمال الحزب، وتصريحات بانسة في البرنامج التلفزيوني الذي حضره مع جدعون ليفي، حينما قال : لو كنت شابا فلسطينيا لالتحقت بمنظمة إرهابية. وسلسلة من التعيينات الفاشلة، والعقبات، بل لقد كان بمقدور شخص كسكرتير الحزب رعان كوهين أن يتحداه في أوج الأزمة ويخرج من المعصة بسلام.

ترى ما الذي حدث ليهود براك؟ وماذا لم ينجح في التحليق؟؟ واين اختفت الامال الكبيرة التي جالت في قلوب مؤيدي الحزب عندما حظي براك برئاسة الحزب؟؟

لقد سيطر براك على الحزب بصورة تذكرنا بالأسلوب الذي سيطر فيه بنيامين نتنياهو على حزب الليكود، بالإصرار، والتخطيط الدقيق، واستغلال الأوضاع، والقسوة، والوحشية، لقد كان يدرك أن الهزيمة في الانتخابات أهارت

الحزب وخلقت فراغا، وأدرك أنه إذا لم يحتل هذا الفراغ، فسيحتله شخص آخر، فاندفع قدما، مستغلا نقاط الضعف لدى الخصم، ونجح في مسعاه وحينها اكتشف براك حزب العمل، والفوارق القائمة بينه وبين الليكود.

فحزب العمل على عكس حزب الليكود الذي يمكن السيطرة عليه بسهولة نسبية، حزب مفرق ديموقراطي بصورة خاصة، ذو مؤسسات كثيرة، وبيروقراطية الى حد كبير، يستحيل السيطرة عليها من قبل شخص وحيد، وعلى وجه الخصوص عندما يتعلق الأمر بغر سياسي كايهود براك، والذي لا يوجد الى جانبه حتى شخصية كافيغدور ليبيرمان يشد أزره.

وأول سقطات براك تمثلت في رسائل الإقالة التي بعث بها الى موظفي الحزب، هذه القضية التي خرج منها مهانا وجريحا، ومعتزفا بأنه ارتكب خطأ. وعندما تسلم براك رئاسة الحزب، اكتشف وضع الحزب المالي، والذي كان مأساة في حد ذاته، كانت العجوزات الحزبية تتضخم شهريا بمعدل ١,٢ مليون شيكل، ونفقاته تصل الى ٣,٧ مليون شيكل شهريا، مقابل دخول لا تزيد عن ٢,٥ مليون شهريا، ووجد ديونا متراكمة تربو على مائة مليون شيكل اخذة في النمو والزيادة، وأدرك أنه لا يستطيع العمل في هذا الوضع.

وفي أعقاب المشاورات التي أجراها، اتفق الجميع على ضرورة عمل شيء ما عاجل، يجب بتر قسم من اللحم الحي، وعندما طلب من مسئول الحزب المساعدة في تقليص النفقات، تهربوا منه ولم يلق أذانا صاغية.

قام براك بتشكيل لجنة لفحص الوضع المالي للحزب واقتراح الحلول، ولم يجد أمامه إلا أن يقبل عمالا من الحزب، وقبل أن تنتهي اللجنة من وضع تقريرها النهائي، ومن مكان تواجدته آنذاك في باريس أصدر أوامر الإقالة للعمال، لقد تصرف كعسكري وليس كسياسي، كان في الجيش يعرف أنه يجب أن يحافظ على روحية المبادرة، وأن الجبهة التي توجه الضربة الأولى تحظى بالنصر، لقد سمع أن العمال سيقدمون التماسا الى المحكمة لاستصدار أمر يمنعه من إقالتهم، فقرر استبقاهم، وأصدر أوامر الإقالة، ولو أنه انتظر حتى تتشر اللجنة نتائج

الفحص، لحظي، في حالة إصدار أوامر الإقالة بالتأييد، على أساس أن هذا الحل هو المخرج الوحيد، بيد أن هذا لم يحدث، لقد تلقى نصائح غير مناسبة واضطر في نهاية المطاف للاعتراف بخطئه.

لقد ورث العجز من سلفيه بيرس ورايين، بيد أنه رفض توجيه أصابع الاتهام عليهما، وتحمل وحده جميع الانتقادات.

إن أزمة إقالة العمال تعكس بصورة جيدة مشاكل إيهود براك، منذ أن خاض غمار السياسة، فهو عديم التجربة، متردد، في الوقت الذي لا ينفع فيه التردد، وباتر حينما لا يجب البتر، ويصغي أكثر مما ينبغي للنصائح السيئة، ويحيط نفسه أكثر مما ينبغي بأناس غير محترمين، ويفتخرون إلى التجربة، وهو جنتلمان في عالم من المخادعين، ويحاول أن يثيق طريقه في غابة السياسة الكثيفة، وهو يرتدي قفازا أبيض بدلا من التسليح بسكين باتر قاطع.

وعلى الصعيد الإعلامي، فقد استبدل مستشاريه الإعلاميين مثلما تستبدل أوراق الشجر في الخريف، وهو لا يولي أهمية كبيرة للاستشارات الإعلامية، لأنه لا يدرك، حتى الآن، القوة الهائلة التي تتمتع بها وسائل الإعلام في المجتمع العصري، وهو يؤمن بأن في مقدوره الفوز بالانتخابات بقوة الجوهر وليس بقوة التلفزيون.

لقد كان على براك أن يستقي العبر، فيتخذ من شمعون بيرس قدوة، فيوسي بيلين وأفي جيل، وأوري سابير، كانوا جميعا وسائل ناجعة، مؤهلة، وكفاءة ومخلصة تفرش الطريق أمام بيرس في العالم الدبلوماسي والسياسي، ولم يقم أي منهم بتدبير المكائد له، أو يعمل على إحباطه، بل بذلوا قصارى جهدهم لإنجاحه، وإعلاء شأنه.

ورغم أن الكثيرين يعتقدون أنه توأم لنتنياهو إلا أنه في الحقيقة يختلف عنه، وهناك أيضا جوانب مشتركة بينهما، فهما خريجا دورية الأركان وهما شكاكان، ومركزيان في تعاملهما، بيد أن براك قضى حياته كلها في الجيش، في حين قضى نتنياهو معظم حياته أمام التلفزيون.

ونتتياهو إنسان ميكانيكي أتوماتيكي كالإنسان الآلي، وهو آلة إعلامية رهيبة وفذة، ولا يمكن أن يضبط وهو غير مستعد، ولا يمكن إجراجه علنا، وهو يتحدث بلباقة، ويقول لكل شخص ما يود أن يسمعه، ويضفي جوا من الضبابية على الأشياء حينما يرغب في ذلك، ويخطط مسبقا لكل إيماة وحركة، وكل كلمة يتفوه بها.

أما براك، فهو إنسان خجل، منطو، على نفسه، مغلق، ولا يميل للكشف عن شخصيته ويكثر من الملاطفة.

وعندما سألته المراسل : ماذا كان سيفعل لو أنه كان شابا فلسطينيا؟؟ لم يتردد ورد ردا حقيقيا، وهو الأمر الذي ما كان يحدث أبدا لنتتياهو، وبراك لم يح. ويدرك الأمور فورا، بيد أنه يتخذ القرار أحيانا بصورة بطيئة، وهو يكثر من التشاور، والارتباك، والتخبط، وإشراك الدنيا بأسرها في قراراته، في حين تؤدي زيادة المعلومات في بعض الأحيان إلى تشويش الوقائع الاستراتيجية.

وبراك على عكس نتتياهو، على استعداد للضحك على نفسه، وبراك مثل رابين يحب الحزب فعندما يكون في الحزب، لا يكون حقيقيا ويشبه عصفورا في قفص.

وعلى عكس نتتياهو، فإن براك لا يجتاز المقابلات التلفزيونية بصورة طبيعية ويرفض بشدة اتخاذ دورات بهذا الصدد، وهو يدرك الثمن الباهظ الذي يدفعه جراء ذلك، بيد أنه يؤمن بأنه قادر على الانتصار، بالصدق والمصداقية التي يحملها.

وهناك نوع من السذاجة في شخصيته، فهو لا يعد بما لا يستطيع تنفيذه، ويقول ما يشعر به فعلا.

وعندما ينظر براك إلى الخلف يمكنه أن يتسم فقد وصل إلى قيادة الحزب في وقت قياسي وهو في موقف الانطلاق إلى المكانة التي تاق إليها توكا شديدا وبراك المعروف بعدم تأثره تحت الضغط، يحاول ضبط نفسه، بحيث لا يتأثر، وهو يحاول تعلم الكثير عن الحركة، واستقاء العبر، وتجنيب مؤيديه وهو

بانتظار الزلّة القادمة لتنتياهو، وهو لا زال الأمل الكبير لحزب العمل في العودة
الى السلطة في إسرائيل في عام الألفين، أو حتى قبل ذلك.

الفصل الثامن والعشرون

براك في منتصف حياته

يبلغ إيهود براك من العمر ٥٦ عاما، وهو الآن يواجه أكبر التحديات في حياته : الصراع على قيادة الدولة.

لقد مرت ثلاث سنوات منذ أن دعاه اسحق رابين وشمعون بيرس آخر عمالقة حزب العمل، للانضمام الى الحزب، لا سيما وأنهما وجدا في شخصيته ما كانا يبحثان عنه في شخص الزعيم القادم للحزب من عميق التفكير، الفهم التاريخي، الاتزان، الشعور بالمسؤولية، وحسن القيادة.

لقد عمل رابين وبيرس مع براك منذ سنوات طويلة، رابين - منذ أيام دورية هيئة الأركان، عندما كان إيهود ملازما صغيرا، وبيرس - منذ عملية إطلاق سراح رهائن (سايبنا) وعندما كان وزيرا للمواصلات.

وفي غضون أقل من ثلاث سنوات، شغل براك منصب وزير الداخلية، ووزير الخارجية، انتخب للمركز الأول في الانتخابات الداخلية الحزبية (البرايمرز)، وانتخب زعيما للحزب ومرشحا لرئاسة الحكومة بأغلبية كبيرة، تفوق ما حظي به رابين وننتياهو في السابق.

وقد احتفظ براك في استطلاعات الرأي العام التي تجري منذ عدة أشهر بالتفوق الواضح على بنيامين نتتياهو، وفي اللحظات الحاسمة، كالاحتفالات بمرور خمسين عاما على قيام الدولة اليهودية، كانت استطلاعات الرأي العام تشير الى تساوي النسب بينهما، وكما يبدو، فإن الجمهور يمنح براك، أفضلية واضحة مقابل نتتياهو، أو مقابل أي مرشح آخر في الساحة السياسية، في كل استفتاء ثقة أو مصداقية، بيد أن الاستطلاعات لا تحسم الانتخابات فوزا أو خسارة، لذا يدرك براك أنه ما يزال في منتصف الطريق.

وللحقيقة، اعتاد براك حتى اليوم الفوز في المنافسات السياسية التي خاضها ليس هذا فحسب، بل اعتاد الفوز في كل حياته، فهو شخصية تتمتع بالذكاء وسرعة البديهة، تجيد التعلم من الأخطاء، وإصلاح ما ينبغي إصلاحه.

في بعض الأحيان، يميل براك الى استعادة فكراياته في دورية هيئة الأركان، الجيش، الحروب، العمليات، ذكريات الأصدقاء والقادة، ذكريات النصر وذكريات الألم لفقدان الأصدقاء.

وإذا ما تمكن براك من الفوز في انتخابات عام ٢٠٠٠، أو قبل ذلك، فسيكون أسرع زعيم يصل الى مكتب رئيس الحكومة، منذ دخوله الحياة السياسية في تاريخ إسرائيل، فاسحق شامير انتخب بعد سبع سنوات من دخوله الحياة السياسية، نتانيا هو بعد ثماني سنوات من عودته من الأمم المتحدة، أما اسحق رابين فقد انتخب بعد حرب تشرين ١٩٧٣، فيما وصل بيرس الى مكتب رئيس الحكومة، في إطار حكومة الوحدة الوطنية التي تشكلت عام ١٩٨٤.

ويثق براك بأنه يبني خطأ سليما وجازما، وهو لا يخشى القيام بخطوات لم يخطها سابقوه، أو ربما لم يجروا على ذلك، كطلب العفو من أبناء الطوائف الشرقية على المعاناة القاسية التي عاشوها في الخمسينات، المعارضة الشديدة لقانون التهويد وقانون العفو العام، رغم الضغوطات الكثيرة التي مورست عليه.

كذلك، يبدو موقف براك على المسار السياسي، أكثر وضوحا وحدة من سابقه فهو يتحدث عن فصل طبيعي بين الإسرائيليين والفلسطينيين مع الحفاظ على خطوط حمراء، تسوية مؤلمة، لكن يفرضها الواقع، من وجهة نظره.

في أيار ١٩٩٨، بادر براك الى طرح مشروع لتجنيد المتدينين الوريين (الحراديم) في الجيش الإسرائيلي كانت خطوة شجاعة، لم يجرو أحد من زعماء حزب العمل في السابق على طرحها، وهو يثق بأن القانون المقترح، سيحظى في نهاية المطاف، ليس فقط بقبول الجمهور العلماني، بل بقبول المتدينين الوريين (الحراديم)، الذين سيرون فيه منفذا للخروج من الضائقة: ومسح الوصمة التي التصقت به كمجتمع فقير.

لا شك في أن براك يدرك طبيعة الانتقادات الموجهة إليه من داخل الحزب وخارجه، وخلافا لشمعون بيرس، وكما كانت الحال عليه بالسبة لرايين، لم يتجاهل براك الانتقادات، ولم يتهرب من مواجهة واقع صعب، لكن وضع

الحزب اليوم، أفضل بكثير مما كان عليه في السبعينيات والثمانينات، عندما دمر كل معسكر رابين ومعسكر بيرس الآخر، الأمر الذي ألقى بالحزب إلى المعارضة.

يحب براك المقولة التالية : "يختار الإسرائيليون الزعيم بالقلب والعقل معا، وثلاثة أسئلة فقط ستحسم الاختيار :

- بمن أثق.
 - على من اعتمد في قيادة الدولة.
 - من أكثر اهتماما مني كمواطن وإنسان، من يشعرني بالاحترام وأشعر بأنه يخدمني أكثر مما أخدمه.
- ويثق براك بأن الإجابات عن الأسئلة الثلاثة، ستحوله في وقت قريب جدا، من جندي (رقم ١) إلى زعيم من الطراز الأول.

👉 الكتب الصادرة عن دار الجليل 👈

الرقم المتسلسل	اسم الكتاب	المؤلف	المترجم
١-	عمود النار ، الأسطورة التي قامت عليها اسرائيل	عبد الرحمن ابو عرفة	غازي السعدي
٢-	الأستيطان ، التطبيق العملي للصهيونية طبعة جديدة (مزيده ومنقحة)		
٣-	حرب الجليل ، الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية ، تموز ١٩٨١	بدر عبد الحق وغازي السعدي	
٤-	الكتاب السنوي ١٩٨١ ، توثيق لأبرز المعلومات والأحداث في فلسطين المحتلة .	هيئة الرصد والتحرير غازي السعدي ، نواف الزرو ، غسان كمال	
٥-	الكتاب السنوي ١٩٨٢ ، توثيق لأبرز المعلومات والأحداث في فلسطين المحتلة	هيئة الرصد والتحرير غازي السعدي ، نواف الزرو ، غسان كمال	
٦-	الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية في لبنان (١) شهادات ميدانية لضباط وجنود العدو	بدر عبد الحق وغازي السعدي	
٧-	الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية في لبنان (٢)	مايكل جانسن	محمود برهوم
٨-	الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية في لبنان (٣) وثيقة جرم وادانة	غازي السعدي	
٩-	الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية في لبنان (٤) اهداف لم تتحقق	غازي السعدي	
١٠-	الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية في لبنان (٥) معتقل انصار - وصراع الارادات	سليم الجندي	
١١-	الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية في لبنان (٦) الحرب المضللة	زئيف شيف و ايهود يعاري	غازي السعدي
١٢-	الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية في لبنان (٧) فضائع الحرب اللبنانية		زكي درويش
١٣-	الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية في لبنان (٨) هزيمة المنتصرين وانتصار القضية	اللجنة ضد الحرب في لبنان	
١٤-	الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية في لبنان (٩) الأسرى اليهود وصفقات المبادلة	غازي السعدي	
١٥-	رسائل من قلب الحصار من ابو عمار الى الجميع		
١٦-	يوميات من سجون الاحتلال - زنزانه رقم (٧)	فاضل يونس	

- ١٧- المثلث الايراني : العلاقات السرية الاسرائيلية - الصحفي شموئيل سيجف
غازي السعدي الأمريكية الايرانية في عهد الشاه
- ١٨- هل يوجد حل للقضية الفلسطينية ؟
غازي السعدي الوف هراين مواقف اسرائيلية
- ١٩- عملية الدبوا كما يرويها منفذوها
المحامي درويش ناصر
- ٢٠- مراكز القوى في اسرائيل ١٩٦٣-١٩٨٣
دكتور نظام بركات ونموذج صنع القرار السياسي في اسرائيل
- ٢١- مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية ١٩٤٧-١٩٨٥
منير الهور وطارق الموسى
- ٢٢- غوش ايمنيم - الوجه الحقيقي للصهيونية
غازي السعدي داني روينشتاين
- ٢٣- عش المصفور - قصة للأطفال
منير الهور
- ٢٤- رؤى مستقبلية عربية في الثمانينات
د . احمد صدقي الدجاني
- ٢٥- أيام دامية في المسجد الأقصى المبارك
الدكتور احمد العلمي
- ٢٦- حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير
يوسف قراين
- ٢٧- الأحد الأسود: تصور امريكي صهيوني للعمل
حسن اسماعيل مشعل
الفدائي الفلسطيني
- ٢٨- خارطة فلسطين - وهي خارطة تمثل سهول
وهضاب وجبال ووديان ومدن وقرى فلسطين
(ملونة)
- ٢٩- بروتوكولات حكماء صهيون - المجلد الاول
عجاج نويهض
- ٣٠- بروتوكولات حكماء صهيون - المجلد الثاني
عجاج نويهض
- ٣١- الاردن وفلسطين - وجهة نظر عربية
د . سعيد التل
- ٣٢- الاقتصاد الاسرائيلي بين دوافع الحرب والسلام
د . فؤاد حمدي بسيسو
- ٣٣- الاستعمار وفلسطين
رفيق شاكر التنتشة
- ٣٤- الحرب من اجل السلام
غازي السعدي عمير وايزمن
- ٣٥- الموساد ، جهاز المخابرات الاسرائيلي السري
دنيس اينبرغ ، ايلي لاندوا
اوري دان
- ٣٦- التوازن العسكري في الشرق الاوسط
نبيه الجزائري مركز الدراسات الاستراتيجية
- ٣٧- بطاقات فنية (لوحات فنية تعبر عن الانتماء
الفلسطيني)
د . كامل قمبر
- ٣٨- بطاقات فنية (مجموعة)
د . كامل قمبر
- ٣٩- بطاقات على شكل دفتر الشيكات
الكتاب الأسود
- ٤٠- عن يوم الأرض ٣٠ آذار ١٩٧٦
سميح القاسم في سرية الصحراء

- ٤١- الخيار النووي الاسرائيلي شاي فيلدمان
٤٢- انتهاك حقوق الانسان في الأراضي المحتلة شاي فيلدمان
شهادات مشفوعة بالقسم
٤٣- نقاط فوق الحروف
مناقشة لردود الفعل تجاه مبادرتي الأمير فهد خالد الحسن
وبريجنيف
٤٤- قرارة سياسية في مبادرة ريفان خالد الحسن
٤٥- فلسطينيات خالد الحسن
٤٦- الاتفاق الأردني الفلسطيني للتحرك المشترك خالد الحسن
٤٧- من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين (١) يعقوب الياب
جرائم الأرغون وليحي ١٩٣٧- ١٩٤٨
٤٨- من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين (٢)
مجازر وممارسات ١٩٣٦- ١٩٨٣
٤٩- من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين (٣) د. حمدان بدر
دور الهاغاناه في انشاء اسرائيل
٥٠- ملصق يوم الأرض سليمان منصور
٥١- ملصق جمل المحامل سليمان منصور
٥٢- ملصق قبة الصخرة - صورة تبرز معالمنا التاريخية
والدينية في القدس
٥٣- فلسطين تاريخاً ونضالاً نجيب الأحمد
٥٤- فلسطينيات في سجن النساء الاسرائيلي طيور المعامي وليد الفاهوم
نفي ترتسا
٥٥- المؤسسة العسكرية الصهيونية في دائرة الضوء بشير البرغوثي
اسرائيل عسكر وسلاح (١)
٥٦- اتفاقيات السلم المصرية - الاسرائيلية في نظر
القانون الدولي محمد الرفاعي
٥٧- الجذور - وثيقة الأوقاف الاسلامية فتحي فوراني
٥٨- فلسطين .. الأرض والوطن (١) قرية الدوايمة موسى عبدالسلام هديب
٥٩- خط الدفاع في الضفة الغربية أريه شليف
وجهة نظر إسرائيلية
٦٠- تشريفة بني مازن د. عبداللطيف عقل
٦١- القمع والتنكيل في سجن الفارعة لجنة الحقوقيين الدوليين
القانون من أجل الانسان
٦٢- صورة العربي في الأدب اليهودي (١) الدكتور ريزا دومب
٦٣- الشخصية العربية (٢) في الأدب العبري الحديث غانم مزعل
١٩٤٨- ١٩٨٥

- ٦٤- فلسطين أرض وتاريخ د . محمد النحال
- ٦٥- القدس ماضيها ، حاضرها ، مستقبلها فايز فهد جابر
- ٦٦- القضية الفلسطينية في القانون الدولي .. والوضع د . جابر الراوي
الراهن
- ٦٧- شوكة في عيونكم منير كهانا غازي السعدي
- ٦٨- حرب الاستنزاف د . محمد حمزة
- ٦٩- القرار - ألفان وإثنا عشر يوما في سجون الاحتلال رشاد أحمد الصغير
- ٧٠- المطامع الاسرائيلية في مياه فلسطين والدول العربية بشير شريف البرغوثي
المجاورة
- ٧١- أزمة الاستخبارات الاسرائيلية تسفي لنير قسم الدراسات
- ٧٢- اسرائيل عام ٢٠٠٠ (تصورات اسرائيلية)
- ٧٣- دعوى نزع الملكية الاستيطان اليهودي . والعرب أريه . ل . افنيري بشير البرغوثي
- في الفترة ١٨٧٨-١٩٤٨
- ٧٤- ندوة مشاكل التعليم الجامعي في الوطن المحتل
- والروح الجماعية
- ٧٥- سميح القاسم - قصائد -
- شخص غير مرغوب فيه
- ٧٦- القضية الفلسطينية أكرم زعيتر
- ٧٧- فلسطين الأم وابنها البار - عبدالقادر الحسيني عيسى خليل محسن
- ٧٨- عرب التركمان - أبناء مرج ابن عامر علياء الخطيب
- ٧٩- المرأة الفلسطينية والاحتلال الاسرائيلي ميسون العطاونة الوحيد
- ٨٠- نادية برادلي - الفدائية المفربة الشقراء غسان كمال
- ٨١- الاعلام الاسرائيلي غازي السعدي ومنير الهور
- ٨٢- تقرير الأرض المحتلة المقدم الى الدورة (١٨)
- للمجلس الوطني الفلسطيني قسم الدراسات والأبحاث
- ٨٣- الوجه الحقيقي للموساد د . وجيه الحاج سالم
وانور خلف
- ٨٤- العمق الاستراتيجي في الحروب الحديثة بدر عقيلي
- ٨٥- شخصيات صهيونية (١) مذكرات الجنرال رفائيل ايتان غازي السعدي
- ٨٦- شخصيات صهيونية (٢) وتهجير يهود العراق شلومو هيلل غازي السعدي
- ٨٧- شخصيات صهيونية (٣) ثيودور هيرتسل قسم الدراسات
- عراق الحركة الصهيونية
- ٨٨- شخصيات صهيونية (٤) شارون غازي السعدي
- بلدوزر الارهاب الصهيوني
- ٨٩- شخصيات صهيونية (٥) آباء الحركة الصهيونية عبدالكريم النقيب
- ٩٠- شخصيات صهيونية (٦) غازي السعدي
- موشيه ديان .. أنا وكامب ديفيد

- ١١١- النزاع العربي - الاسرائيلي
بين فكّي كماشة الدول العظمى
دار الجليل
- ١١٢- تحت السياط
فاضل يونس
- ١١٣- الغضب
اكرم النجار
- ١١٤- جلسات في رغدان
د . يوسف هيكل
- ١١٥- منجل في النجمة السداسية
(التجسس السوفياتي في اسرائيل)
ايسر هرنيل
بدر عقيلي
- ١١٦- اشكالية الديمقراطية والبديل
الاسلامي في الوطن العربي
خالد الحسن
- ١١٧- تعليم الفلسطينيين ماضيها وحاضرها ومستقبلها
د . عبدالقادر يوسف
- ١١٨- صرخة في وجه العالم
(اليوم الانتفاضة)
دار الجليل
- ١١٩- الاستخبارات والأمن القومي
المقدم احتياط تسفي عوفر
دار الجليل
- ١٢٠- الاحزاب والحكم في اسرائيل
والرائد آفي كوبر
- ١٢١- ربيع الحياة
غازي السعدي
- ١٢٢- قبس من تراث المدينة والقرية الفلسطينية
د . يوسف هيكل
- ١٢٣- اشتعالات حمدان - مجموعة قصصية
صباح السيد عزازي
- ١٢٤- الحافلة رقم ٣٠٠ (فضيحة الشين بيت)
اكرم النجار
- ١٢٥- آه يابلدي - رواية
احمد بركات
- ١٢٦- معجم المصطلحات الصهيونية
اكرم النجار
- ١٢٧- من القمع الى السلطة الثورية
افرايم ومناحم تلمي
- ١٢٨- أيام الصا
قدري أبو بكر
- صورة من الحياة وصفحات من التاريخ
د . يوسف هيكل
- ١٢٩- معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية
فؤاد ابراهيم عباس وعمر شاهين
- ١٣٠- صناعة قرارات الأمن الوطني في اسرائيل
بدر عقيلي
- ١٣١- قمع شعب
شمير شريف السريغوثي
- شهادات مهادنية مشفوعة بالقسم
اكرم النجار
- ١٣٢- جليلة .. وهج في جذور الانتفاضة - رواية
دار الجليل
- ١٣٣- اسلحة وأرهاب
وجهات نظر اسرائيلية في ثلاثة ابحاث
- ١٣٤- حدود (أرض اسرائيل)
موشيه رافر
- ١٣٥- هذه قضيتك ياولدي
سليم عبدالعال القزق
- ١٣٦- حرب سيناء ١٩٥٦ - تصورات اسرائيلية
بدر عقيلي
- ١٣٧- المثلث الايراني - الكتاب الثاني - دراما العلاقات
الايرائية - الاسرائيلية - الامريكية
شموئيل سيجف
- ١٣٨- الفاشية الاسرائيلية
المحامي درويش ناصر

- ١٣٩- النظرية العسكرية الاسرائيلية - دفاع وهجوم
 ١٤٠- الأمن القومي العربي
 ونظرية تطبيقه في مواجهة الامن الاسرائيلي
 ١٤١- سياسة اسرائيل الأمنية
 ١٤٢- دقيقتان فوق تل ابيب
 ١٤٣- الهجرة اليهودية حقائق وارقام
 ١٤٤- انتفاضة
 ١٤٥- جواسيس المخابرات الاسرائيلية
 تاريخ .. وجغرافيا
 ١٤٦- ' دولة ' اسرائيل - زائلة
 ١٤٧- الجماعة الأوروبية والقضية الفلسطينية
 ١٤٨- بقايا من خبز وكتاب
 ١٤٩- اسرائيل في حرب الخليج
 ١٥٠- المثلث المحتوم
 الولايات المتحدة - اسرائيل والفلسطينيين
 ١٥١- الاستيطان الاسرائيلي جغرافيا وسياسيا
 ١٥٢- حرب السكاكين في نظر الاسرائيليين
 ١٥٣- انتفاضة المصافير
 ١٥٤- موسوعة عشائر وعائلات فلسطين (١)
 القدس مدنها وقراها
 ١٥٥- انهيار نظرية الأمن الاسرائيلية
 ١٥٦- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٦)
 سلاح الدروع
 ١٥٧- بولارد
 قصة جاسوس
 ١٥٨- أبو عجاج العينيوسي
 الدكتور الثائر
 ١٥٩- قناع القناع
 ١٦٠- الأسلحة الكيميائية والبيولوجية
 - وتأثيراتها البيئية -
 ١٦١- دولة مجدو
 ١٦٢- الشبح
 ١٦٣- طرد الفلسطينيين وولادة مشكلة اللاجئين
 - وثيقة اسرائيلية -
 ١٦٤- الاستشراق وابحاث الصراع لدى اسرائيل
 ١٦٥- دليل المستوطنات الاسرائيلية في الاراضي
 العربية المحتلة (١٩٦٧- ١٩٩١)
 ارشيل ليفيتا
 العميد محمد يوسف العملة
 المحرر زئيف كلاين
 محمد أزوقة
 د . عمران أبو صبيح
 زئيف شيف وايهود يعاري
 يوسي مهلمان ودان رافيف
 يعقوب شريت
 محمد خالد الأزعر
 اكرم النجار
 غازي السعدي
 احمد عزالدين بركات
 بروفيسور أليشم إيفرات
 زياد ابو صالح ورشاد المدني
 نجوى قعوار فرح
 فائز أبو فردة
 عمونييل فالد
 حشافيا أرييه
 برنارد ر، هندرسون
 عيسى خليل محسن
 محمد نورالدين شحادة
 د . عادل احمد جرار
 عبدالله عواد
 عبدالله عواد
 بني مورييس
 ابراهيم عبدالكريم
 د . عمران ابو صبيح

- ١٦٦- حرب في الخليل
(ابعاد على اسرائيل)
- ١٦٧- فلسطين في سيرة البطل عبدالحليم الجيلاني
- ١٦٨- ثلاثون قضية استخبارية وأمنية في اسرائيل
- ١٦٩- الادب العربي في جزر البليار
- ١٧٠- الشرق الاوسط الجديد
- ١٧١- الاعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود
- ١٧٢- اسلحة الدمار الشامل
- ١٧٣- المفصل في تعلم اللغة العبرية بمعلم ويدون معلم
- ١٧٤- القاموس العلمي / عبري - عربي
- ١٧٥- مكان تحت الشمس
- ١٧٦- احاديث في العلم والقيم
- ١٧٧- فلسطين بلا هوية
- ١٧٨- الحوار الفلسطيني - الامريكي
- ١٧٩- دوائر القمر
- ١٨٠- قرية. جزو
- ١٨١- الانقلاب السياسي في اسرائيل الاسرار والخفايا
- ١٨٢- مشكلة الاراضي في النزاع الفرمي بين اليهود والعرب منذ وعد بلقور
- ١٨٣- المواسد في العراق انهيار الامال الاسرائيلية والكردية
- ١٨٤- دولة فلسطين الوصع القانوني
- ١٨٥- اسحق رابين اغتيال سياسي
- ١٨٦- نايف حواتمة يتحدث
- ١٨٧- سوغخي قصة للشبيبة عن الحب والمغامرات
- تقرير طاقم مركز الأبحاث بدر عقيلي
- الاستراتيجية الاسرائيلي : يافه
- د. حسن صالح عثمان
- يوسف أرجمان دار الجليل
- د. عبدالرزاق حسين دار الجليل
- شمعون بيرس دار الجليل
- غازي السعدي
- وليام بوروس دار الجليل
- وروبرت ويندرم
- بدر عقيلي
- امين ابو عيسى دار الجليل
- بنيامين تتيهاو محمد عودة الدويري
- يشعياهو ليفوفيتش سلمان الناطور
- صلاح خلف دار الجليل
- د. محمد ربيع دار الجليل
- عبد الرزاق حسين دار الجليل
- يوسف النجار دار الجليل
- اورلي ازولاي بدر عقيلي
- جاك كنو محمد عودة الدويري
- شلومو نكديمون بدر عقيلي
- سالم أحمد قواطين
- د. أمثون كابليون بدر عقيلي
- عماد نداف
- عاموس عوز دار الجليل

دار الجليل	بنيامين تموز	١٨٨ - البستان
ليا وهيب	البروفيسور موشيه ماعور	١٨٩ - سورية واسرائيل
دار الجليل		من الحرب الى صناعة السلام
		١٩٠ - اتفاقيات أوصلو
		الاتفاقيات الاسرائيلية الفلسطينية
		حول الضفة الغربية وقطاع غزة
محمد الدويري	يوفال اليتسور	١٩١ - الحرب الاقتصادية
بدر عقيلي		(١٠٠) سنة من المواجهة الاقتصادية
دار الجليل		بين اليهود والعرب
		١٩٢ - انشولوجيا الوجه الآخر
		قصص عبرية مختارة
بدر عقيلي	أوري سير	١٩٣ - المسيرة
		خفايا أوصلو . . . من الألف الى الياء
	نايف حواتمة	١٩٤ - أوصلو
		والسلام الآخر المتوازن
بدر عقيلي	بن كسييت وإيلان كفير	١٩٥ - ايهود براك . . . الجندي الأول
ونور البواطلة		رئيس الوزراء الاسرائيلي المحتمل



المنظمة العامة لمكتبة الإسكندرية
The National Library of Alexandria

طبع في شركة الشرق الأوسط للطباعة - هاتف ٤٨٩٤٩٤١ - ص.ب ١٥٢٨٦





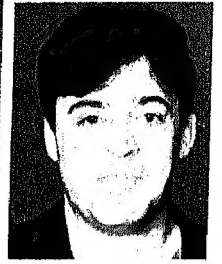


أيهود براك .. الجندي الأول

رئيس الوزراء الإسرائيلي المحتمل



ايلان كفيز



بن كسبيت

هذا الكتاب

يضع الجنرال أيهود براك تحت المجهر ، استعداداً للانتخابات القادمة ، حيث ظلت إنجازاته العسكرية طي الكتمان ، باعتبارها سرّاً لا يمكن أن يجتاز مقص الرقيب .

يعتبر أيهود براك عسكرياً من الصف الأول ، يرصد الكتاب بعضاً من إنجازاته ، والعمليات التي قادها أو خطط لها ، إضافة إلى ترجمة حياة الرجل ، بمراحلها المختلفة والمراكز التي تبوأها من خلال سجل عسكري حافل ، يرى فيه اليهودي المحقون بالخوف صمام أمان وأمن .

يتزامن صدور هذا الكتاب ، مع الاستعدادات الإسرائيلية لخوض الانتخابات المبكرة ، المقررة في ١٧ أيار ١٩٩٩ ، ولأن براك يعتبر قطب الرحى ، ومنافس نتنياهو الأول ، كرئيس لحزب العمل المعارض ، فإن الضرورة تقضي باطلاع جمهور القراء العرب ، على مسيرة حياة رجل ربما يكون رئيس وزراء إسرائيل القادم ، وقد كنا فعلنا ذلك ، قبيل الانتخابات الماضية عام ١٩٩٦ ، حيث نشرنا كتاب «مكان تحت الشمس» لنتنياهو ، الذي تنبأنا فيه باحتمالات نجاحه ، الأمر الذي يكسب كتاب براك أهمية خاصة ، ذلك أننا نحن العرب ، بتنا ننتظر نتائج الانتخابات الإسرائيلية على أحر من الجمر ، أو ربما نضرع إلى الله ، أن يكون رئيس الوزراء القادم ، حماسة وليس صقراً .

المؤلفان :

بن كسبيت : عمل في السابق مراسلاً لجريدة معاريف في نيويورك ، ويعمل حالياً محرراً سياسياً في الصحيفة ، يقدم برنامجاً صباحياً في التلفزيون الإسرائيلي ، ومقرب من الزعامة .
ايلان كفيز : كان مراسلاً صحفياً لـ «معاريف» و«حداشوت» ، يعمل اليوم مخرجاً إعلامياً .
ويصنف المؤلفان من كبار الصحفيين الإسرائيليين ، والعمل المشترك الذي يجمعهما يعتبر تحفة رائعة جديرة بالقراءة .

وكتاب (أيهود براك) ، هو العمل المشترك للثلاثين حيث أصدرنا عام ١٩٩٦ كتاب «الانتحار» الذي يتحدث عن قصة حزب العمل منذ مقتل رابين ، وحتى فقدانه السلطة ، وفي عام ١٩٩٧ صدر لهما كتاب «نتنياهو .. الطريق إلى القوة» ، كما شاركا في العام ذاته ، في إعداد اليوم (إسرائيل - ٥٠) .
هل سيكون أيهود براك رئيس وزراء إسرائيل القادم ؟ ربما .

فمن هو هذا الجنرال الذي انتزع كرسي رئاسة حزب العمل . وهل هو خليفة رابين حقاً ؟ الكتاب كفيل بالرد ويستأهل القراءة المتأنية .

بدر عقيلي ونور البواطلة من أسرة الدار ، وهما ينقلان مادة الكتاب من العبرية إلى «الضاد» ، يضعان بين يدي المواطن العربي ، كتاباً يجمع بين أمانة الترجمة وصدق المشاعر الوطنية ، فجاء سلساً يشد القارئ إلى المتابعة من الألف إلى الياء .

